

مذكرة المرشدين والمسترشدين

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة 002 022 3901030

١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م

للإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبو العزائم رحمته الله

الحمد لله العطوف الرؤوف الرحيم المنعم، من عجزت العقول الموهوبة من جمال هباته أن تدرك قدر تعطفاته على أهل خصوصيته الذين صافاهم واصطفاهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلاة تحفظنا بها في قولنا وعملنا وحالنا وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد فيقول أحمد ماضي أبو العزائم رحمته الله بما أني قد أكرمني الله تعالى من نعمة أظافري بتربيته في حضانة سيدي ووالدي الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم رحمته الله أطال الله عمره، وعلمت مدى احتياج المسترشد في طريق الله إلى معرفة مقامات الدين الإسلامي، وهي الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان، وكيف يبدأ بالجاهدات والذكر حتى يكون من أهل الطريق؟ فيتحلى بأدابهم ويتعلم اصطلاحاتهم ومعارفهم، وما هي الطريقة المستقيمة التي يحفظ بها في حصون الأمن مع ولي مرشد؟

وفي جامعة المرشد والمسترشد آداب، يتعين على المسترشد في طريق الله معرفتها، وعلى الداعي منهم أن يتحلى بآداب الدعوة إلى الله، ثم يترقى بعد ذلك إلى تزكية النفس وهي هدف المتقين، وعليها مدار النجاة والهلاك عند الله عز وجل.

ولقد اخترت أن يملئ الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم رحمته الله كتاباً حول هذه المعاني فأجاب رحمته الله ملتصقي وأملئ كتاب « مذكرة المرشدين والمسترشدين ». فكان هذا الكتاب علاجاً لكثير من مشكلات عصرنا التي أبرزها الخواء الروحي وتغليب الشهوات.

أرجو من الله أن يكون هذا الكتاب دواء للكثير من أمراض العصر بل كل عصر،
وأرجو أن يكتب لي أجر الدال على الخير كفاعله، ولا أطيل عليك فأنت مع الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام في كتابه « مذكرة المرشدين والمسترشدين » وجهاً لوجه.
والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق.

تم إملاؤه بمدينة المنيا في يوم الاثنين

٢٧ رمضان ١٣٣٠هـ الموافق ٩ سبتمبر ١٩١٢م

فاتحة الكتاب

الحمد لله ذي الحمد والثناء، والفخر والبهاء، والجد والثناء، والعهد والوفاء، والعفو والرضا، والمن والعطاء، والفضل والقضاء، والعز والبقاء، والجود والسخاء، والآلاء والنعماء، والصلاة والسلام على نورك المشرق للدلالة عليك والصراط المستقيم للوصول إليك. وعلى آله الطيبين الطاهرين، سادات أهل الجنة أجمعين، وأئمة أهل الأرض على اليقين. وصحابته الأولياء الأصفياء، ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام سليل بيت النبوة، وبقية العترة والصفوة، إمام هذا الزمان ومظهر الإيمان، وملقن أسرار القرآن. ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبو العزائم عليه السلام آمين.

وبعد

فتقدم دار المدينة المنورة وهي إحدى الهيئات التابعة لمشيخة السادة العزمية، الطبعة الثانية من كتاب «مذكرة المرشدين والمسترشدين» بعد أن صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١٢ م ثم أعاد مجمع البحوث الإسلامية طبعة عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م بعد أن قدم له من غير أهله الذين دائماً ما يعثون بكتب الإمام المجدد بالتعديل والتغيير والحذف والإضافة فجاء بعد الطبع محرراً أبسط ما يقال عنه أنه تشويه لآثار الإمام المجدد العلمية، ومنع لوصول مفاهيم معينة أرادها عليه السلام أن تصل إلى الناس. لذلك قامت دار المدينة المنورة بإعادة طبعه للمرة الثانية متوخية في ذلك الأمانة العلمية والدقة في النقل.

و هذا الكتاب يتناول قضية اليوم التي تشغل بال الغيورين على الإسلام، ألا وهي ظاهرة الغلو في الدين، الذي يهدف إلى إيجاد حالة من الرعب والإرهاب الفكري، التي تشل انتشار الإسلام وتشكك في تعاليمه. لأن هذا الإرهاب الفكري يتبنى التشديد والتضييق، وتحجير ما وسع الله، وتعسير ما يسر على عباده، ولذلك وقف المجتمع الإسلامي من ظاهرة الغلو في الدين موقف الجفاء والخصام.

و هذا الغلو في الدين، يستمد وجوده من فكر الخوارج، الذي تسلل إلى العالم الإسلامي، فأحاط الأمة الإسلامية بجو من الإرهاب، وحمل شعارات التكفير والتشريك

والتحقير. هذه الشعارات التي لا تخرج في حقيقتها عما قاله الخوارج في صدر الإسلام، الذين وقعوا في الغلو والتطرف، والتحريف والتأويل الفاسد، والتدين المغشوش، فاستباحوا دماء وأموال غيرهم. وهذا قمة التطرف الذي يجعل صاحبة في واد وسائر الأمة في واد آخر. وذلك بعد أن زين لهم سوء عملهم فأروه حسناً، وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وقد تنبأ بهم النبي ﷺ وآله^(١) « فعن أبي سعيد الخدري قال: بينا رسول الله ﷺ وآله يقسم قسماً - قال ابن عباس، كانت غنائم هوازن يوم حنين إذ جاءه رجل من تميم^(٢) مقلص الثياب ذو شيماء، بين عينيه أثر السجود فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذ لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، ثم قال: يوشك أن يأتي قوم مثل هذا يحسنون القيل ويسئون الفعل، هم شرار الخلق والخليقة » ثم وصف ﷺ وآله صلتهم بالقرآن فقال: « يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسبونه لهم وهو عليهم » ثم كشف النقاب ﷺ وآله عن عبادهم المغشوشة فقال: « ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء » ثم أراح النبي ﷺ وآله عن أهدافهم فقال: « يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » ثم أعطانا النبي ﷺ وآله وصفاً مجسماً لسيماهم فقال: « حلقين رؤوسهم وشواربهم، أزرهم إلى أنصاف سوقهم » ثم ذكر النبي ﷺ وآله علامتهم المميزة فقال: « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ». ثم طالبنا رسول الله ﷺ وآله إذا لقيناهم أن نقاتلهم فقال: « فمن لقيهم فليقاتلهم، فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله الشهادة ».

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق وعلامات النبوة، والنسائي في خصائصه ص ٤٣، ٤٤ ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب التحذير من زينة الدنيا وأحمد في مسنده ح ١ ص ٧٨، ٨٨، ٩١ - وابن ماجه في صحيحه باب ذكر الخوارج - والحاكم في المستدرک ح ٢ ص ١٤٥ وقال حديث صحيح على شرط مسلم. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ح ١ ص ١٥٩ وأبي نعيم في الحلية ح ٤ ص ١٨٦ وكثر العمال ح ١ ص ٩٢ .

(٢) ذو الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج .

وهذه العلامات هي التي جعلت أحد علماء المسلمين حين وقع مرة في يد بعض الخوارج فسألوه عن هويته فقال: « مشرك مستحير يريد أن يسمع كلام الله وهنا قالوا له: حق علينا أن نجيرك ونبلغك مأمنك وتلوا قول الله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾. »

بهذه الكلمات نجا (مشرك مستحير) ولو قال لهم مسلم: « لقطعوا رأسه »

وبذلك كان الامتداد التاريخي لفكر الخوارج هو رأس الحربة في تاريخنا الإسلامي الذي أهلك الأمة الإسلامية وشل قواها وشغلها عن عدوها ومتابعة أداء رسالتها الإنسانية.

ورؤوس الفتن من خلف الخوارج هم الذين بذروا بذور الغلو والتطرف في عقول شبابنا المسلم ببحث ودهاء وحرصوا على تنمية هذه البذور لتكبر وتنمو، ورموا لها بالوقود لتظل متأججة ملتهبة، وبذلك شغلوا شبابنا المسلم بالمسائل الجزئية والقضايا الجانبية وتبديد جهوده الفكرية، وطاقته العملية في الدعوة بحرارة لهذه الفرعيات والمجادلة عنها والمخاصمة و بذلك تعارضت الهيئات الإسلامية مع غيرها وتراشقت بالتهم حتى وصل الأمر إلى حد تأنيب بعضهم البعض وتكفير بعضهم البعض، وبهذا يهدم بعضنا بعضا ويخربون بيوتهم بأيديهم.

وخلف الخوارج في عصرنا هذا هم المسئولون عن ذلك فهم الذين هياؤا الفرصة للمجادلة والمخاصمة في هذه الفرعيات — وإلقاء شبابنا المسلم عن القضايا المصرية التي تتصل ببقاء الإسلام وسيادة أمته وتحرير أوطانه.

فليس من العدل أن نحمل المسترشدين من شبابنا المسلم، مسئولية ما تورطوا فيه من غلو وتطرف، وتحريف وتأويل فاسد، وتدين مغشوش بل إن المرشدين من خلف الخوارج هم الذين يحملون قبلهم المسئولية.

وقد عالج كثير من أئمة المسلمين ظاهرة الغلو والتطرف ولكن هذه المعالجة كانت قاصرة على آثار هذه الظاهرة دون البحث عن أسبابها. ولكن الإمام المجدد السيد محمد ماضي

أبو العزائم عليه السلام أراد في كتابه « مذكرة المرشدين والمسترشدين » أن يأخذ بيد الجيل المسلم وترشيده، للالتزام بمنهج الإسلام مرشداً ومسترشداً. ولذلك جاء هذا الكتاب في أيامنا هذه مصداقاً لقول الرسول ﷺ وآله عليهم السلام « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين »

وما كتبت فاتحه الكتاب هذه إلا لأبين أن الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام يرى أن يأخذ المسترشدين من شباب الإسلام والمرشدين من شيوخه بالدعوة الوسطية وهي دعوة الصوفية التي هي وسط بين فكر البغاة وفكر الغلاة حتى يجتمع المسلمون جميعاً في طريق واحد تتكتل فيه قواهم، وتتحد أفكارهم، وتتلاقى أرواحهم، وتتجاوب عواطفهم.

فاللهم يا ولي المؤمنين اجعل « مذكرة المرشدين والمسترشدين » إنقاذاً للحيارى المترددين، وتقريباً للوصول لمن بعد عنهم الصراط المستقيم، وهداية لعبادك المتقين.

والله نسأل التوفيق، وسداد الخطأ، والإخلاص في العمل، فهو وحده المسئول، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

الخليفة الثاني

الإمام السيد عز الدين ماضي أبو العزائم عليه السلام

دار الكتاب الصوفي

في يوم الخميس

١٩ رمضان ١٤٠٣ هـ

٣٠ يونيو ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الهادي لأقوم طريق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - الذي أرسله الله بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله - وآله وسلم.

وبعد.

فيقول الخويدم المسكين، محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام: الحمد لله قد شرح الله صدري لأن أكتب مذكرة للإخوان، أبين فيها ما لا بد منه لمريد طريق الله تعالى إجمالاً، والذكرى تنفع المؤمنين، ملاحظاً في ذلك التوسط من كل شيء، وأقدم بعض حِكَمٍ تنبه فكر المريد لقبول الذكرى، مبتهلاً إلى الله تعالى أن يمنحني التوفيق والهداية، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني وينفع أخوتي المؤمنين جميعاً به، على أني أذكر المطلع أنها وضعت للمريدين السالكين طريق الله تعالى، أهل التسليم. ولذلك فليني وضعتها سهلة العبارة، خالية من المباحث النظرية، رغبة نفع الخاصة والعامة، والله تعالى وليي عليه توكلت، وبه استعنت، وإليه أنيب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شرح الله صدري لها، قياماً بواجب الله سبحانه وتعالى عليّ، أقوم به لوجهه الكريم في عشيرتي الأقربين الذين هم أولى الناس بالشفقة عليهم ورحمتهم، يسرني أن أكون أنا وهم على الصراط المستقيم في الدنيا، ومع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء في الآخرة، وعملاً بقوله ﷺ وآله: ﴿خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي﴾ ^(١)

(١) هذا الحديث أورده السيوطي وقامه: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهائهن إلا لئيم» وهذا الحديث رواه ابن عساكر عن علي، وهو حديث صحيح، انظر الجامع الصغير ج ١ ص ٥٥٥ رقم ٤١٠٢.

ونفعا عاما لجميع أخوتي المؤمنين، والله أسأل أن ينفعني وينفع أهلي وجميع المسلمين إنه مجيب الدعاء.

حكمة

رحمة الله بك أولى من رحمتك بنفسك، فالزم ما أمرك الله به، وارض باختياره، تكن أحسنت إلى نفسك.

الصانع أعلم بما به حِفْظُ وجمال صنعته، فاسكن إلى مولاك وحافظ على أوامره، تُحَفَظْ في سعادة.

الغريب الذي يظن أنه سيعود إلى بلده يدّخر نفائس الأموال ليرجع بها لأهله، وينتفع بها في داره. فالمتيقن بالعيان أنه سيرجع إلى ربه، أولى أن ييخل بالنفْس والحركة أن يصرفهما إلا في طاعة.

كل حي مشغول بما به سعادته في غد، مهموم في تدبيره مع شكٍّ في بقاءه لغد، فكيف بمن ييقن بقاءه في درئ سعادته فيها متوقفة على ما يُحَصِّلُه من هنا ؟ .

الوالد الحكيم الرحيم يسعى بلطف وحنانة وترغيب في سعادة ولده الأحق، فلا يقبل من والده ويتهم به، وينفر منه. حتى إذا أصابته مصيبة سوء عاقبة المخالفة ندم ندامتين: ندامة على مخالفة أرحم الناس به، والإساءة إليه، وندامة على ما أصابه من المكروه. وهذا أمر مشاهد بالعيان. فالله سبحانه أحنُّ على خلقه، وأرحم بهم من والد رحيم بولد وحيد، فيتزل

وهناك رواية أخرى أوردها الترمذي عن عائشة، دون الزيادة الأخيرة، وابن ماجه عن ابن عباس، والطبراني عن معاوية، وهي متفقة مع الرواية التي أوردها الإمام هنا .

سبحانه ويرغب العبد ويحسن إليه، ويرسل الرسل وورثتهم^(١) بالحكمة والبيان، فيأبى المبعود متكبراً حتى إذا جاء الموت وحشر إلى النار قال: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا حَلِيلًا﴾^(٢) فمولاك غنى عنك، لا يضره كفرك ولا تنفعه طاعتك، ولكنه جل وعز رءوف لطيف حنان رحمن رحيم، يدعوك ليرفع درجتك ويمتلك في دار البقاء ومنازل السعداء فضلاً منه إليك وإحساناً عليك، فسبحان المنعم المتفضل المعطي الوهاب الرءوف الكريم اللطيف الخبير.

(١) وهم العلماء لأهم ورثة الأنبياء والرسل، كما يقول عليه الصلاة والسلام: " العلماء ورثة الأنبياء " وهذا الحديث رواه أحمد والأربعة عن أبي الدرداء وزاد بعضهم فيه: " .. إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينار إنما ورثوا العلم " ورواه الديلمي عن البراء بن عازب .

(٢) من الآيتين ٢٧، ٢٨ من سورة الفرقان .

الباب الأول

مقامات الدين الإسلامي

الإسلام – الإيمان – الإحسان – الإيقان

أولاً: الإسلام

المسلم:

المسلم إنسان آمن بالله وحده، وأسلم له سبحانه وجهه، وانقاد لأوامره، مؤمناً بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والقضاء والقدر.. خيره وشره من الله تعالى، معتقداً أن كل من لم يكن على هذا فهو مشرك ضال. والإيمان هذا يوجب عليه القيام بما أمره به بقدر الاستطاعة، والتباعد عما نهى عنه جملة واحدة، إلا ما اضطر إليه اضطراراً يُقَدَّرُ بهلاك نفسه أو ما يساويها .

أوامر الله تعالى:

وأوامر الله تعالى تنحصر في أربعة أمور:

١- العقيدة:

أمر بعقيدة لا بد وأن تُتَلَقَّى من كلامه سبحانه، وكلام رسوله ﷺ وآله، حتى يتحقق المسلم أنه كامل الإيمان، مؤمن بحقيقة ما يجب عليه الإيمان به. على أن العقيدة التي يتلقاها عن الله سبحانه، وعن رسوله ﷺ وآله، هي العقيدة التي يسلمها العقل الكامل، المجرد عن الحظ والهوى، والتقليد للأهل، والعصبية للجنس، لأنها نور يضيء، وحق جلى بمرتلة

المحسوسات بالنسبة للعقول السليمة من الأمراض النفسانية والعلل الفكرية، وقد فصلتها في باب العقيدة من كتاب "أصول الأصول" ^(١).

٢- العبادة:

وأمر بعبادة للحق جل جلاله، من تعظيم لذاته، وذكر له سبحانه. ورياضيات للنفس بإمساك عن الطعام بياض النهار. وبذله جزءاً مما يملكه. وهجرة إلى مكان مخصوص، وعمل مخصوص، وهي الحج في آتات مخصوصة، لا يخرج عن تكبير ودعاء وتلاوة كلامه سبحانه وتعالى بخشوع وخضوع لعظمة هذا الإله العلي الكبير الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، والأمر بالعبادة من أخص أركان الإسلام، حتى أن المسلم الذي يتهاون بأمر العبادة مثلته كمتزلة من لم يعتقد، لأن تكرار العبادات مذكّر للقلب، مزيل للغفلة، يُقوّي اليقين، ويزيد الإيمان، ويقرب العبد لمقام القرب وحسن الأخلاق .

فالعبادات هي الصفات التي تجعل المسلم مسلماً في عين إخوانه، وعند الله تعالى، وهي الواجبة عليه لربه النعم المتفضل، وبالتهاون فيها يكون المسلم منافقاً كاذباً مدعياً، وسينكشف الأمر ويضطر أن يندم حين لا ينفع الندم، وإن المتساهل أضّر على المسلمين من عدوهم، بل من الشيطان، لأنه قد يكون رئيس قوم، أو كبير عائلة، أو والد جماعة، أو محبوباً لخصوصيته، فيُقلد في أعماله وأحواله، فيُنشَرُ ضرره، ويعم الفساد به، والله يحفظ المسلمين بسرعة الانتقام من المتساهل بالعبادة والمتجاهر بالمعصية، ليكون عبرة لغيره، ووقاية من شره، إنه مجيب الدعاء.

٣- المعاملة:

المعاملات هي المقام العلي الذي يتفاضل فيه المسلمون، ويتسابق فيه أهل النفوس العالية، لأنه نتيجة اليقين الكامل بالتوحيد الخالص من شوائب الشكوك، وأدران الحظوظ، ورين التقليد والعصبية، حتى أن الإنسان ليكون أقرب من الملائكة عند الله تعالى، وأحب إلى

(١) تطلب جميع مؤلفات الإمام المجدد: السيد محمد ماضي أبي العزائم من مكتبة (دار المدينة المنورة) التابعة لمشيخة السادة العزمية ١١٠ ش مجلس الشعب - القاهرة .

النفس - عند العقلاء من إخوانه - بحسن معاملته وجميل أخلاقه، حتى يبلغ درجة من السعادة في الدنيا والآخرة لا يبلغها الشهداء. وقد حصر رسول الله ﷺ وآله ﷺ الدين في المعاملة حصراً حقيقياً، لأن الدين هو معاملة دائرة بين حقوق عليك لله تعالى، ولرسوله ﷺ وآله ﷺ، ولوالديك وأهلك وأرحامك، وخاصة المسلمين وعامتهم، وجميع بني آدم، وجميع الحيوانات الحية. فما من رتبة في الوجود إلا وأنت تطالبها بحق، وتطالبك بحق، فإذا حسنت معاملتك مع كل رتبة كنت مسلماً كامل الإسلام. و إذن فالدين المعاملة لا شك، وبها السعادة في الدنيا والآخرة.

والمعاملة نتاج العقيدة، فإن العقيدة تحقق لصاحبها بأن إلهاً متصفاً بجميع الجمالات والجلالات والكمالات، منفرداً بالإرادة والمشيئة في إيجاد كل موجود، وإمداده بما به بقاؤه، وهو المقدر لكل شيء، وإليه يرجع كل شيء، فإذا تحقق في هذا راقبه في خلقه، وعامله في عبادته، فلا يتحرك حركه ولا يتنفس نفساً إلا وهو ملاحظ عظمة هذا الرب الجبار المقدر، المنفرد بالتقدير، فيجعل كل حركاته وسكناته فيما يرضيه، وبما به يفوز لديه بنعيم جزائه، فتحسن معاملته لكل كائن حي، ومراقبته للخالق.

نموذج من حسن المعاملة:

إذا تحققت أنك تساء إذا اغتابك آخر أو سعى في مضرتك: مالاً أو جاهاً أو منزلة، أو استهان بك في حضورك أو غيبتك؛ وأنتك بهذا تميل إلى الانتقام منه - بحولك وقوتك - بأكثر مما بلغك عنه، وتتلذذ بمضرتة، وينشر صدرك لذلك وتستحسنه، ولا تقبل نصيحتة من ناصح فيه، فأحرى بك أن تمتنع عن أن تعمل في أخيك ما به يحصل له ما كان حاصلًا لك. فإذا وقعت في مثل هذا فاعتقد أن أخاك له العذر، وبادر إليه معتذراً لتزيل ما به من نار الغيظ، واسع في معاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به، مع المحافظة على النصيحة لهم بطريقتها الشرعية المألوفة للعقل والمروءة، واضعاً نفسك موضع من تنصحه، وأنه هو الناصح لك، فتستعمل الدواء الذي تحب أن تستعمله لنفسك عند انحراف مزاجك. ولا تنس مراقبة الحق، والإخلاص لذاته سبحانه وتعالى في كل ذلك، حتى تفوز برضاء الله تعالى، ورضاء إخوانك، ورضاء الفضيلة .

وليس من صلي وصام وزكى وحج يكون كامل الإسلام، حتى تكتمل أخلاقه، وتطهر صفاته، وتركوا نفسه، فإن تلك الأعمال تنهى عن الفحشاء والمنكر لمن قام بها عاملاً بحقائقها، مراقباً في عملها مكانته من العبودية، ومكانة من قام بها لذاته العلية، من الألوهية والعظمة والقدرة والعزة والقوة، مُنَزَّهاً جنباه العلى عن العلة والغرض، والشريك والمعاون، حتى يتحقق بمقام الخوف والخشية والرهبة من جلاله وكبريائه. وبذلك تتزكى نفسه، وتهذب أخلاقه، وتحسن معاملته لجميع إخوانه والناس أجمعين. وإذا كانت المقدمات لا تنتج فهي على غير وجهها الذي وضعت له، وإذا لا تنتج في الآخرة. وإن كثيراً من المسلمين في هذا الزمان يتساهل في القيام بأركان الدين، مادام في عافية من الأمراض والفقر والخوف. بل تأخذه العزة بالإثم فيعتقد عقيدة قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(١) فيتكبر ويستتهن بأعمال البر ومكارم الأخلاق ومعاملته ربه، ويزدري بالقربات وبأهل التمسك بالدين، ويفتخر بأعمال الفجار والمتهتكين وغيرهم، حتى إذا نزلت به نازلة المصائب، وفجأته فاجئة البلياء ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) وندم على ما فرط، وسعى لأهل الصلاح تائباً مبتهلاً، وأقبل على الله سبحانه. ولكن قل أن ينفعه إقباله، لأنه مخادع كاذب في دعواه، وما رجع به إلى الله إلا سوط النعمة وبادرة البلية.

فالعاقل من تقرب إلى الله في الرخاء، حتى يتقرب الله إليه في الشدائد، هذا وإن لم تبادره المصائب في حياته، واستدرجه الله سبحانه حتى غادرته منيته، وفجأته المنون ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(٣) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٤) وكثير منهم من يكثر الصلاة والصيام وغيرهما مع قيامه بمضرة إخوانه المسلمين، وانتقادهم وإساءتهم وإظهار عيوبهم بغير أسلوب النصيحة، ويبيت الليل والنهار بين غيبة وغيمة، وتنقيص المسلمين، وسعى في مضرة أفرادهم، ويحسب أنه يحسن

(١) من الآية ٧٨ من سورة القصص.

(٢) من الآية ٨ من سورة الزمر.

(٣) من الآية ٥٧ من سورة الروم.

(٤) من الآية ٥٢ من سورة غافر.

عملاً. مع أنه - والعياذ بالله تعالى - أشبه إبليس في علمه وعمله. وبحقك... متى يكون المشابه لإبليس مسلماً حقيقياً ؟ ! .

فيا أيها المسلم.. تحقق أن المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه^(١)، أتُحسب أن الإسلام طهارة بالماء ؟ .. الماء لا يُطَهَّرُ الخبائث النفسانية.. ولا يزكي النفوس الشيطانية.. ولا يكون المسلم مسلماً إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه، وبذلك يُحسبُ مسلماً حقاً عدلاً عند الله وعند عباده .

٤- الأخلاق:

١. الصدق: وهو تأدية الخبر كما شاهده، بشرط أن لا يقصد بذلك مضرّة مسلم، ولا إفشاء عورة، ولا كشفاً لقيح، ولا إشاعة لفاحشة.. وأن يكون مخبراً بالخبر لفائدة المسلم وعدم مضرّة المسلم الآخر، مجرداً عن الحظوظ والغايات والتعريض. فإن كان صادقاً في خبره وخالط خبره عيب من تلك العيوب، كان قد ارتكب كبيرة أكبر من الكذب. فإن الكذاب قد يرتكب مع الكذب كبائر أخرى بحسب مقاصده في كذبه، كما يرتكبها مع النية في نقله الخبر صادقاً. وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب صدّيقاً، وإنه ليتحرى الكذب حتى يكتب منافقاً. وأضر من صفة الكذب على المسلمين تصديق السامع للخبر وعمله به، فيكون الكاذب أهلك نفسه وأهلك معه كثيرين من المسلمين.

وصفة الصدق هي التي تحقق الإنسان بمقامات اليقين، وتقرب من رب العالمين، ومن جميع العالمين. وليس للكذاب عند الله تعالى ولا عند الناس عهد، وهي من أكبر الكبائر. والكاذب مسقوط العدالة في الرواية والدراية. وكفاه أنه ناقص في عين نفسه، لاعتقاده في نفسه أنه كذاب يختلق ما يقول. وتقبيح الكذب لا يحتاج إلى بيان، لأنه أمر محسوس بدّهِي

(١) مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " وهذا الحديث أخرجه مسلم عن جابر، وهو حديث صحيح .

القباحة والبشاعة. من الحكمة أن السامع لابد وأن يتحرى عن كل ما يسمعه، ولا ينقله ولا يعمل بمقتضاه حتى يتحقق من صدقه، والله ولي التوفيق.

٢. الأمانة والوفاء بالعهد، ومعاونة إخوانه، وإكرام الضيف، وإكرام الجار، وإغاثة الملهوف، ونصيحة إخوانه، وعيادة المريض، وصلة رحمه، والإحسان إلى الجليس، وحفظ لسانه، وحفظ بطنه وفرجه، والتباعد عن البدعة، والسعي في نحو الفتن، والسعي في الصلح بين إخوانه، وقضاء حاجة السائل، وإدخال السرور على قلوب المسلمين، وستر عوراتهم، وعدم الخروج على أمرائهم، والإمساك عن الوقوع فيمن مات مسلماً، والاجتهاد في تأليف قلوبهم على الحق. وإذا رأى قبيحا ستره ونصح من وقع منه في خلوة، ولو كان ذا سلطان عند القدرة.

٣. الصبر على الشدائد، والثقة بالله تعالى، والاعتماد عليه، وشكر النعمة، وعدم المكافأة بالسيئة، والعفو عمن ظلمه، وإخفاء النعمة، والإحسان إليه وعدم أذيته كما أذاه، بل يحتسب من شره. وإظهار النعمة والشكر عليها.

٤. عزة النفس بالثقة واليقين بالله تعالى، وبأنه سبحانه قادر على أن يفعل ما يشاء.

٥. الود في الله والزيارة في الله، والإكرام في الله تعالى، بدون أن يقصد مكافأة إلا من الله تعالى.

٦. الرحمة بجميع المسلمين كل بحسبه، والشفقة عليهم، ومعاملتهم: الكبير كالوالد والمساوي كالأخ والصغير كالولد غير مؤاخذ لهم على سوءهم، ولا يظن بهم السوء، ولكن يحتسب بنفسه من أن يقع في سوء، ويجعل المكافأة على حسن المعاملة من وجه الله تعالى بحسن اليقين وصدق العزم. المسلم يحب من أحبه الله ورسوله ﷺ وآله، ويكره من كرههم الله ورسوله ﷺ وآله، وهم معلومون لكل إنسان. ولكن قد يغفل المسلم فيحب من أمر بكرهيتهم، ويتودد إليهم بصدق وإخلاص ويعينهم، غافلاً أنه بذلك صار منهم وحشر معهم .

فإذا كان المسلم يعتقد أنه مسلم بقوله دون عمله فقد أخطأ، ونص القرآن مؤيداً: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) مع قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(٢) فمن لم يباشر قلبه نور اليقين، ويملاً خشية من الله تعالى، ومحافظة على ملاحظته سبحانه وتعالى في كل أعماله، حتى لا يحدث أمراً إلا بعد وزنه بموازين الشرع، ومحاسبته نفسه عليه، فهو كاذب في دعوى الإسلام، وربما كان ضرره على المسلمين أشد من ضرر عدوهم. فالله سبحانه يمنحنا هدايته، ويوفقنا لعمل الخير واتباع الشرع إنه مجيب الدعاء .

ثانياً: الإيمان

المؤمن:

المؤمن هو من جَمَلَهُ الله تعالى بخصال المؤمنين، وتوفرت فيه شروط الإيمان. وإنما يَعْرِفُ الإيمانَ مَنْ عِلِمَ شرائطه، وَيَعْرِفُ المؤمنين من عرف خصالهم. إذا تقرر ذلك، ظهر لنا أن الإيمان مقول على نوعين: ظاهر وباطن.

١- الإيمان الظاهر:

فالإيمان الظاهر هو الإقرار باللسان بخمسة أشياء:

أ) هو الإقرار بأن للعالم صانعاً واحداً، حياً، قادراً، حكيماً، أحداً، صمداً، عالماً، مريداً، مدبراً، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، غنياً بذاته عن المكان والزمان، مترهاً عن الكم^(٣) والكيف^(٤) والنظير والند والضد. عَلِيّاً عن الإدراك؛ إذ لا يعلم حقيقته إلا هو وحده سبحانه. وهو الله خالق الخلق كلهم ومدبرهم لا أحد شريك له في ذلك .

(١) من الآية الأولى من سورة المنافقون.

(٢) من الآية الأولى من سورة المنافقون.

(٣) الكم: هو العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته، وهو إما متصل، وإما منفصل.

(٤) الكيف: هو الهيئة المستقرة في الشيء، لا تقتضي قسمة ولا نسبة لذاتها.

ج) هو الإقرار بأن له ملائكة صفوة الله من خلقه، أقامهم لعبادته وطاعته، وجعلهم حفظة لخلقهم ووكلاء كل طائفة بالقيام بشأن مما قدره ودبره وأراده من شئونه التي يديرها في خلقه، ولا يتدبرها في عالم سمواته وأرضه ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١)

ج) الإقرار بأنه قد اصطفى صفوة من بني آدم، هم رسله وأمناءه، الذين يبلغون الناس كلامه سبحانه المتزل عليهم، ويدعونهم إلى توحيد سبحانه والعمل بما أمر.

د) الإقرار بأن هذه الأشياء التي جاءت بها الأنبياء عليهم السلام من الوصايا والأنبياء باللغات المختلفة منزلة من الله سبحانه وتعالى وحيا أوحي الله به إليهم بطرق الوحي المعلومة شرعا وثبتت عقلا.

هـ) الإقرار بأن القيامة لا محالة كائنة، وهي النشأة الآخرة، وأن الخلق كلهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون، ويثابون بما عملوا من خير ومعروف، ويجازون بما عملوا من شر ومنكر، أو يغفر الله وهو الغفور الرحيم، وذلك قول الله تعالى: ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُتْرِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢) وقال: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣).

و) ويكمل الإيمان الظاهر بإقرار سادس؛ الإقرار السادس: أن يقر المؤمن بأن سيدنا ومولانا محمدا ﷺ وآله ﷺ خاتم الرسل وخيرهم، وأن كتابه مهيم على جميع الكتب، وأن الدلائل والبراهين التي أقامها الله تعالى في القرآن تكفي لمن سلم قلبه من العناد، وطهرت نفسه من الخبث أن يتحقق أنه رسول الله، وأن القرآن كلام الله، وأن من لم يؤمن به

(١) من الآية ٦ من سورة التحريم .

(٢) من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٢ من سورة الطلاق .

﴿وَاللَّهُ وَآلَهُ﴾ كافر، وأن القضاء والقدر خيره وشره من الله تقديرا وإرادة وإيجادا، وأن التكلم فيه بدون علم وتسليم ربما أدى إلى سلب الإيمان.

ولا يكمل الإيمان الظاهر إلا بالعمل على قدر الاستطاعة بما أمر الله به، والنهي مطلقا عما نهي الله عنه - إلا لضرورة شرعية - ومجموع هذا هو الإيمان الظاهر الذي دعت الأنبياء عليهم السلام الأمم المُنَكَّرَةَ لهذه الأشياء إلى الإقرار بها، وهو يؤخذ تلقينا كما يتلقن الصغار من الكبار، والجهل من العلماء.

٢- الإيمان الباطن:

عقد القلب على البقين الحق بما أقر به لسانه، فهذا هو حقيقة الإيمان بحيث يكون عقد القلب كعقد قلب من شهد بعيني رأسه عقداً لا يعتريه شك ولا ريب.

المؤمن ظاهرا :

هو المقر بهذه الأشياء بلسانه، المتميز من اليهود ومن النصارى والصابئين والجوس الذين أشركوا، وبهذا الإقرار يجري عليه أحكام المسلمين من الصلاة والزكاة والحج والصوم وما شاكلها من مفروضات شريعة الإسلام وسنة المؤمنين.

المؤمن ظاهرا وباطنا:

أما الذين مدحهم الله في كتبه ووعدهم بالجنة، فهم الذين يتيقنون بضمائر قلوبهم حقائق هذه الأشياء المقر بها. وأما الطريق إليه سبحانه فهو بالتفكير والاعتبار والقيام بشرائطها وواجب حقها كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١).

(١) الآية ٢١٤ من سورة البقرة .

ثالثاً: الإحسان

المحسن:

لما كان المحسن هو مَنْ أَحْسَنَ العمل والحال والقول، وكانت الأعمال إما قلبية أو بدنية، ولا يتحقق الإحسان إلا إذا تحقق الإنسان بإحسان عمل القلوب. ولما كانت أعمال القلوب لا تكون إلا عن العلم والمعرفة، لأنها عبارة عن اليقين والخشية والرهبة والخوف والحب والوَلَه والتأله والرضا والصبر والتوكل والتفويض والإنابة والتسليم والإسلام لله، والإخلاص والصدق، والتوجه والمراقبة والمشاهدة، والحضور والقرب والوصول، والتحقيق بالمَعِيَّة والعُنْدِيَّة، وغير ذلك من المقامات التي يرتقي إليها الإنسان في سيره وسلوكه، والدرجات التي يرفعه الله إليها في وصوله وقربه كما قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١) وكما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) وكما قال ﷺ وآله: «الإحسانُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنك تَراهُ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ»^(٥).

إذا تقرر هذا يظهر لنا أن محبة الله تعالى ثابتة للمحسن، وأن إحسان الله تعالى والمزيد عليه من الله تعالى ثابت للمحسن، وأن المحسن يعبد الله حاضر القلب بيقين حق حتى كأنه يرى الله تعالى، وهو مقام كَمَل المحسنين. وأقل منه أن يعبد الله متيقناً أن الله سبحانه وتعالى يراه فيحسن عمله لتحقيقه أن الحق ناظر إليه، وهو بداية المحسنين، وتلك المشاهد العلية

(١) من الآية ١١ من سورة المجادلة .

(٢) الآية ١٦٣ من سورة آل عمران .

(٣) من الآية ٢٦ من سورة يونس

(٤) من الآية ١٩٥ من سورة البقرة .

(٥) هذا الحديث أخرجه مسلم عن ابن عمر، وابن حنبل والبخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة، وهو

حديث صحيح، الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٤ رقم ٣٠٤٢.

والمقامات الموهوبة بفضل الله تعالى، قد سبق الإلماع إلى ما يمكن كشفه بالعبارة في كتاب: « شراب الأرواح ». ولكني في هذا أذكر ما ينبغي أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان.

ما ينبغي أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان

١- أن يعمل الأعمال الموافقة للأحكام الشرعية:

يجب عليه أن يعمل جميع الأعمال الواجبة عليه، متحرّياً موافقتها للأحكام الشرعية، بحيث لا يعمل عملاً إلا بعد علم شروطه وفرائضه وسننه ومبطلاته، سواء كان هذا العمل عبادات أو معاملات، وهذا هو الإحسان في العمل، فإذا قصر بطل عمله أو نقص، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ ﴾^(١).

٢- أن يحسن نيته في العمل:

يتحرى أن يحسن نيته في العمل، وأن يلاحظ النية من بداية العمل إلى نهايته حتى لا تحصل له غفلة.

٣- أن يجتهد في إخلاص العمل لوجه الله:

يجتهد في إخلاص العمل لوجه الله حتى لا يشوبه رياء مفسد، أو غرض آخر مبطل للعمل بأن يعمل كمن يعبد الله على حرف.

٤- أن يستحضر مقام من يعمل العمل له سبحانه:

أن يستحضر مقام من يعمل العمل له سبحانه عظمة وغنى وعزة، ويستحضر نفسه عالماً بقدرها من الذلة والمهانة والاضطرار لتحصل المواجهة والأنس.

(١) من الآية ٣٠ من سورة الكهف .

٥- أن يعتقد أن العمل بتوفيق الله ومعونته:

يستحضر أن العمل بتوفيق الله ومعونته وبأمر الله والله، فيشتغل بالموفق الأمر المعين على العمل حال العمل وبعده، لينسى عمله بذكر ربه.

٦- أن يقصد بالعمل القيام بحقوق العبودية:

يقصد بالعمل القيام بحقوق العبودية لسيده الأمر له، رغبةً في نوال رضوانه وفضله.

وكل هذه خصال المحسن، ومراتب رقيه، ومبادئ عروجه. وهناك أسرار عزت عن أن تفي بها العبارة ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

رابعاً: الإيقان

الموقن:

هو من كوشف من أسرار الغيوب والآيات، وغريب تصريف القدرة، وبديع أسرار الحكمة، بما جعل قلبه مطمئناً لا تحوم حوالبه الشكوك، ولا تهجس فيه الريب، لأنه تحمل بسراج يزهر وهو النور الذي يجعله الله تعالى في القلب ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٢).

فاليقين مزيد من الله تعالى للعبد، به تسكن النفس إلى مبدعها، ويفر الموقن بكمال يقينه إلى الولي الوكيل الحسيب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٣) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وقال سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينَ﴾^(٤).

(١) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٢) من الآية ٤٠ من سورة النور .

(٣) الآية ٧٥ من سورة الأنعام .

(٤) من الآية ٩٩ من سورة الصافات .

من أمثلة أعمال اليقين:

انظر بعين بصيرتك في هذا المقام العلي، كيف بلغ بأهله من الأنبياء والصديقين والشهداء مبلغا من المقامات سجد العقل على أعتابها حسيرا.

هذا الخليل عليه الصلاة والسلام أُلْقِيَ في النار ثابت القلب مطمئن، ساكن النفس إلى ربه، وهذا مقام في اليقين. و أرقى من هذا المقام أن جبريل عليه السلام أدركه في هذا الوقت الحرج وعرض عليه أن يفعل ما يأمره به بقوله: ألك حاجة؟ فكان اليقين الحق ماحيا لما سوى التوحيد من قلب الخليل. والإخلاص الكامل، سالبا كل حظ وهوى في غير ذات الله. و الصديق الحقيقي، مبعدا كل ثقة وأمل وتوكل واعتماد على غير ذات الله. ومُثْلُ اليقين في سِيرِ الرسل عليهم الصلاة والسلام لا تحصى.

انظر في الصَّدِيقِيَّةَ تَرَّ مبدأها حادثة هابيل وقابيل، كيف بلغ اليقين بهابيل مبلغا جعله يرضى بقتل نفسه من غير أن يحرك يده، لأنه مشاهد حق يقين عظمة عظيم وجلال جليل ومقام عليّ كبير فقال: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وانظر إلى يوسف الصديق كيف قال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٢) وكيف قال لإخوته ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣).

ثم تأمل في حادثة سحرة فرعون كيف امتلأت قلوبهم يقينا بانبلاج الآية حتى قالوا لفرعون: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي

(١) الآية ٢٨ من سورة المائدة .

(٢) من الآية ٣٣ من سورة يوسف .

(٣) من الآية ٩٢ من سورة يوسف .

هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿١٠﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١١﴾ .

ثم اعتبر بغرائب المواهب التي من الله تعالى بها على أصحاب رسول الله ﷺ وآله، لعلك تعجب إذا قيل لك: إن سيدنا علياً بن أبي طالب نام على فراش رسول الله ﷺ وآله ليلة الهجرة ليقتل، وإن سيدنا أبا بكر الصديق وضع عقبه^(١) على الجحر الذي رأى فيه الحية ورسول الله ﷺ نائم على فخذه في الغار. وأمثال تلك الحوادث كثير لا يحصى من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ليس هذا المختصر محلاً لبسطها.

فكان اليقين شهود أسرار الآيات، وسر القدرة الساري في الكائنات، ونور الحكمة المنبلج للبصائر في كل الموجودات. وليس اليقين مما يدعيه المدعي لأن دلائله حسية تدهش العقول وتحير الأبواب، حتى أن العاقل لا يعرف لها سبباً عند شهود رضا العبد وصبره، وحسن توكله وتفويضه وتحمله عظام الأمور. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. فالمريد الذي تفرحه الدنيا إن أقبلت، وتحزنه إن أدبرت، ويخشى أن يعمل الخير خوفاً على زوال الدنيا، ربما فعل المعصية لجلبها، ويجهل ويقنط عند الفتن، ليس من أهل اليقين ولو ادعى أنه منهم.

وفيما تقدم من أمثلة أعمال أهل اليقين بيان لمشاهد ومشارب أهل اليقين، أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الإحسان واليقين، وأن يهب لنا مواهب إحسانه، وموارد أهل محبته، وأن يمن علينا سبحانه وتعالى بالعفو والعافية والمغفرة والوسعة والخير إنه مجيب الدعاء.

الزاهد والعابد والعارف:

الزاهد هو من أعرض عن متاع الدنيا وطيباتها لمقصد. والعابد هو المواظب على العبادات بجميع أنواعها لمقصد. والعارف هو المقبل بفكره وقواه النفسية على قدس الجيروت،

(١) من الآيتين ٧٢، ٧٣ من سورة طه .

(٢) العقب : هو مؤخر القدم .

مستديماً لشروق نور الحق لسره بعد تركه للملك، وإشرافه على الملكوت، ومواجهة نفسه بالعزة.

العابد إذا كان غير عارف تكون عبادته معاملة خاصة، يعملها في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة هي الثواب والنعيم.

الزاهد إذا كان غير عارف فزهده معاملة خاصة، لأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة.

العارف زهده تزيه سرّه عما يشغله عن الحق، وتحقير لكل شيء غير الحق. العبادة عند العارف رياضة خاصة لتزكية النفس وتطهيرها وصقل القوى المتوهمة والمتخيلة لتصفو النفس من الرعونات، وتطهر من لقسها، وتميل عن جانب الغرور إلى جانب الحق، وبذلك تصير مسالة للنفس الملكية والقدسية، فلا تحصل منازعة للسر عند مواجهته للنور الساطع عليه من جناب الحق سبحانه.

فمقصد الزاهد غير العارف متاع الآخرة.. ومقصد العابد غير العارف نعيم الآخرة مقابل عبادته. ولا مقصد للعارف إلا الحق الأول لا شيء غيره، ولا يُؤثر شيئاً في عرفانه، وتعبده له فقط ولأنه مستحق للعبادة، ولأنها نسبة شريفة إليه، لا لرغبة أو رهبة، وإن كانتا فيكون المرغوب فيه والموهوب عنه هو الداعي وفيه المطلوب، ويكون الحق ليس هو الغاية بل الوساطة إلى شيء غيره، وهذا الغير يكون هو الغاية والمقصد، ويكون الحق عند هذا العامل وسيلة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١). أسأل الله تعالى أن يزكي أنفسنا، وأن يجعلنا من المقربين المحبوبين، وأن يمن علينا بجماله وإحسانه إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) الآية ١٦٤ من سورة الصافات .

الورع

تعريف الورع:

الورع هو ترك الشبهات، قال الله تعالى: ﴿وَتَبَايَكَ فَطَهَّرْ﴾^(١) وقال صلى الله عليه وسلم: «من حُسِّنَ إِسْلَامُ الرَّءِ مَلَا يُعْنِيهِ»^(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٣) وقال ﷺ وآله: «لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ»^(٤) وقال ﷺ وآله لأبي هريرة: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»^(٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «كُنَّا نَدْعُ سَبْعِينَ أَبًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ» وقال الضحَّاك^(٦) «أَدْرَكْتُهُمْ وَمَا يَتَعْلَمُونَ إِلَّا الْوَرَعَ، وَأَنْتُمْ تَتَعْلَمُونَ الْكَلَامَ» وقال يحيى بن معاذ^(٧) «الورع الوقوف على حدٍّ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا قِيَاسٍ» وهو أيضا راجع إلى معاني الأحاديث المتقدمة، وهو آخر زهد العامة وأول زهد الخاصة.

درجات الورع:

وهو ثلاث درجات:

١- تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات، فإن من خلط العمل الصالح بشيء من السيئات فما وُفِّرَ حسناته ولا صان إيمانه.

(١) الآية ٤ من سورة المدثر .

(٢) هذا الحديث رواه أحمد، وأبو يعلى، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه أحمد عن الحسين بن

علي، والعسكري عن علي، والطبراني عن زيد بن ثابت، وقد أوضحه السخاوي في تخريج الأربعين .

(٣) هذا الحديث رواه أبو داود والطيالسي وأحمد وأبو يعلى، والدارمي والترمذي والنسائي عن الحسن بن

علي، قال الترمذي: هو حسن صحيح وصححه ابن حبان .

(٤) هذا الحديث أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية .

(٥) هذا جزء حديث، أورده السيوطي عن البيهقي في الشعب عن أبي هريرة .

(٦) هو الضحَّاك بن مزاحم البلخي المفسر، توفي سنة ١٠٥ هـ .

(٧) هو أبو زكريا، يحيى بن معاذ بن جعفر الواعظ الرازي، كان أُوحد وقته في زمانه، له لسان في الرجاء

وكلام في المعرفة، أقام ببلخ مدة ثم عاد إلى نيسابور، ومات بها سنة ٢٥٨ هـ .

٢- حفظ حدود الشريعة بترك مالا بأس به إبقاء على الصيانة والتقوى كما أشار إليها الحديث.

٣- التورع عن كل داعية تدعو إلى سيئات الوقت، وعن كل عارض يعرض حال جمعك على الله تعالى.

أنواع الورع: والورع على أربعة أضرب:

١- الورع الذي يشترط في الشهادة والرواية: وهو الذي يخرج الإنسان - بتركه - عن أهلية الشهادة والرواية والقضاء والولاية، ويحصل بالتجرد عن الحرام الظاهر.

٢- ورع الصالحين: وهو يحصل بالتوقي عن الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات، وقد حرض النبي ﷺ وآله ﷺ على ترك الشبهات فقال: « مَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ »^(١).

٣- ورع المتقين: وهو ترك الحلال المحض تحفظاً من الوقوع في المشتبهات. وقال ﷺ وآله ﷺ: « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَالاً بِأَسْ بِهِ مَخَافَةٌ مِمَّا بِهِ بَأْسٌ »^(٢).

٤- ورع الصديقين: وهو الإعراض عما سوى الله تعالى، خوفاً من صرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى.

(١) هذا جزء حديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، والحديث بتمامه كما يلي: « الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمها أكثر الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها، ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب » انظر الكثر الثمين ص ٢٦١ رقم ١٦٥٣.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث .

ودخل الحسن البصري^(١) مكة فرأى غلاماً من أولاد سيدنا عليّ بن أبي طالب قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوقف عليه الحسن فقال: مَا مَلَاكَ^(٢) الدين؟ فقال: الورع. فقال: ما آفة الدين؟ فقال: الطمع. فتعجب منه.

ومن رغب في الجنة تورع عن الشبهات، ومن رغب في معية النبيين والصديقين والشهداء تورع عن بعض المباحات، ومن رغب في الله سبحانه فر إليه عما سواه. أسأله سبحانه وتعالى أن يمن عليّ وعلى أهلي وإخواني بالحب الخالص لذاته، والرضا عن جنابه العليّ، والإخلاص والصدق، وأن يتفضل علينا جميعاً بالحب منه سبحانه والرضا والقبول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) هو الإمام المشهور أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ولد في خلافة عمر بن الخطاب، توفي سنة ١١٠ هـ .

(٢) ملاك الأمر - بفتح الميم وكسرهما - ما به قوامه وملكه .

الباب الثاني

في الذكر وأهل الطريق

وآدابهم واصطلاحاتهم ومعارفهم

الفصل الأول

الذكر:

الذكر هو أفضل العبادات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(١) وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢) وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٣) وفي الحديث: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٌ مِنْهُ»^(٤) وقيل لبعض العلماء: متى تقرب القلوب من الله تعالى؟ فقال: إذا كانت قائمة بذكره غير لاهية عنه. فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، والذكر يكون باللسان ويكون بالقلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، وذكر القلب عليه المعول. فإذا كان العبد ذاكرةً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه حال سلوكه.

(١) الآية ٤١ من سورة الأحزاب .

(٢) من الآية ١٥٢ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .

(٤) هذا جزء من حديث قدسي وقامه " قال الله تعالى: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتني في نفسي، وإن ذكرتني في ملاء ذكرتني في ملاء خير منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وأن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة " رواه أحمد بن حنبل عن أنس وهو حديث صحيح انظر الجامع الصغير جـ ٢ ص ٢٠٤ رقم ٦٠٦٤ .

من خصائص الذكر:

ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل هو مطلوب في عموم الأوقات وجميع الأحوال، إما على جهة الفريضة وإما على جهة النافلة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(١) الآية. وقال سهل بن عبد الله^(٢): « ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب عزَّ وجلَّ » .

واعلم أن الذكر الذي يقابله النسيان هو ذكر القلب لا ذكر اللسان، وهو أفضل الذكرين. والذاكر إذا استغرق في ذكر الله تعالى نسي كل شيء سوى الله تعالى، فمن ذكر شيئاً آخر مع الله تعالى فقد أشرك بين الذكرين، لأنه التفت وهو مع الله تعالى إلى غيره، قال ﷺ وآله: « سبق المُفْرِدُونَ، قيل: وما المُفْرِدُونَ يا رسول الله؟ قال: الذَّاكِرُونَ الله كثيراً والذَّاكِرَاتُ »^(٣) رواه الترمذي. والمفردون بتشديد الراء وتخفيفها . وهم الذين تفرّدوا بذكر الله تعالى، أو أفردوا الله تعالى بالذكر. والذكر عند المحققين طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة حصل الذكر، واللسان ترجمان عن ذلك.

و اعلم أن الذكر يدل على المحبة، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فالذكر يستلزم المحبة، وهي تستلزم الشوق، وهو يستلزم الذكر، وهلم جرا. والذكر والمحبة والشوق وإن كانت أحوالا شريفة، لكنها تدل على بقاء حجاب ما، إذ الشوق إنما يكون إلى غائب حتى ينكشف للذاكر الغيب الذي في نفسه، وتظهر له الآيات التي هي دلائل اليقين الحق، فتحصل له البهجة والأنس والسكون، بعد لواعج الشوق وهيجان الوله. ولديها يحسن للسالك

(١) من الآية ١٩١ من سورة آل عمران .

(٢) هو ابن محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري، كان من أكابر الصوفية، توفي سنة ٢٨٣ هـ .

(٣) أورد صاحب الكثر الثمين هذا الحديث بلفظ: « سبق المفردون الذَّاكِرُونَ الله كثيراً » وقال رواه مسلم عن أبي هريرة، وله رواية أخرى ذكرها السيوطي في جامعه الصغير بلفظ: « سبق المفردون المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافا » وقال رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة، والطبراني عن أبي الدرداء وهو حديث صحيح

الأنس، ويزج به في حضرة الفكر فيكون ذاكراً فاكراً. أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الذكر الأكبر، ويمن علينا بالرضوان الأكبر إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفكر:

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ الآية^(١) وقال ﷺ وآله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَمْتِي فِكْراً، وَنُطْقِي ذِكْراً، وَنَظْرِي عِبْرَةً.

أنواع الفكر:

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: فكرة في عين التوحيد وفي صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، وذلك بحر لا ساحل له، ولا ينجي من الغرق في هذا البحر إلا الاعتصام بحبل الله تعالى، والتمسك بالعلم الظاهر.

الثاني: الفكرة في لطائف الصنعة، وفي أسرار الحكمة، وعجائب الإبداع.
الثالث: الفكرة في معاني الأعمال والأحوال.

أقسام الفكر:

قال بعضهم: خالص الفكر يوصل إلى استقامة القلوب، واستقامة القلوب توصل إلى الصدق والإخلاص. وقال بعضهم: الفكر على خمسة أقسام :

- الأول: تَفَكَّرٌ في آيات الله، يتولد منه المعرفة.
- و الثاني: تَفَكَّرٌ في آلاء الله ونعمائه يتولد منه المحبة.
- و الثالث: تَفَكَّرٌ في وعد الله وثوابه يتولد منه الرجاء والرغبة.
- و الرابع: تَفَكَّرٌ في وعيده وعذابه يتولد منه الخوف والرغبة.

(١) الآية ٨ من سورة الروم .

و الخامس: تفكر في صفاء النفس مع إحسان الله تعالى إليها يتولد منه الحياء من الله تعالى.

حصَّني الله وإخواني بالحفظ من سوء الفكر، ومنحني وإياهم حقيقة الحضور معه سبحانه، وأشهدنا من آياته الكبرى ما يكمل به يقيننا، ونذوق به حلاوة الإيمان ولذة التقوى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

آداب الذكر في الخلوة والمجتمعات

الذكر إما أن يكون بالقلب واللسان، أو بالقلب فقط، أو باللسان فقط.

١- ذكر القلب واللسان:

فالذكر بالقلب واللسان هو أن يشرق على القلب نور معنى من معاني الحق، يتحقق بها القلب بحال من أحوال الحضور مع الرغبة أو الرهبة أو الفرح أو البهجة، أو الخوف والقبض أو البسط أو الجمال أو الطمع والرجاء. وقد يقوي الحال حتى يستغرق القلب في أسرار تلك المعاني المخلوة له حتى يترجم بلسانه عن حقيقة وجدته، فإذا نطق بلسانه باللفظ الدال على نور المعنى المشرق في القلب كان ذاكرة بقلبه ولسانه، وفي هذا المقام ينبغي للذاكر ولمن معه أن يكونوا في خلوة خاصة، ويجب عليهم أن يخفوا أسرار هذا المجلس، ويطووا بساطه حتى كأنه لم يكن خصوصاً إذا غلب على الذاكر الوجد حتى انحلت عقدة اللسان، فأباح بمكنون وجدته عن مشاهد سريره، فإن السامع له إذا نقل عبارته أفسد وخان أمانة أخيه، كما قال ﷺ وآله: «المجالس بالأمانات»^(١) فإن للبصيرة عيوناً تشهد - إذا صفا القلب - مالا تشهده الأبصار، كما قال العارف بالله تعالى^(٢):

(١) روى هذا الحديث بلفظ: "المجالس بالأمانة" رواه الديلمي والقضاعي والعسكري، عن علي رفعه، ورواه أبو داود والعسكري أيضاً عن جابر بن عبد الله بزيادة "إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو اقتطاع مال بغير حق، أو فرج حرام"

(٢) هو شعيب أبو مدين من رجال الصوفية، مغربي الأصل .

فإننا إذا طَبَبْنَا وَطَابَتْ نُفُوسُنَا وَخَامَرْنَا حَمْرُ الْغَرَامِ تَهْتَكُنَا^(١)
فَلَا تُلَمُّ السُّكْرَانُ فِي حَالِ سُكْرِهِ فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَا عَنَّا

٢- ذكر القلب:

ومن الآداب في ذكر القلب، أن المريد يلزمه أن يقف عندما أمر به، وأن يحافظ على الاقتداء بإمامه، بحيث لو لاح له مشهد من المشاهد التي تخالف ما ورد في السنة أو ما عليه المرشد فيلزمه أن يخالف كشفه وشهوده، ويسيء الظن بنفسه، لأن ذلك ربما كان من رعوناتها، أو من وسوسة الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

و ليعلم المريد أن ذكر القلب هو الذكر حقيقة، لأنه تفكر في آيات الله، واعتبار بما في الآثار من أسرار الحكمة وعجائب القدرة، حتى يبلغ به الفكر والاعتبار والتدبر إلى حال يكون فيها كأنه حاضر مع ربه، وربّه معه. ويبلغ به الحضور إلى حال لا يقع نظره على شيء إلا ويلحظ أنوار البديع الحكيم القادر المريد الحي القيوم، بل ولا يسمع ولا يحس ولا يمس إلا ويلحظ معاني القدس، كأنها جليلة أمام سره، نعم هو الذكر، وإنما ذكر اللسان باب له، أو ترجمان عنه. ومن حضر قلبه وكان في مراقبي الوجد، وانزعاج السر، ووله الطمع فالواجب عليه أن يلزم الخلوة، أو يجالس أمثاله، أو يلازم المرشد حتى تحصل السكينة، لأن اجتماعه على الخلق سلب لحاله، وقطيعة لهم، إلا إذا قصدوا وجه الله في حجزه عن الناس خوفاً على العامة، والواجب على نائب المرشد إذا حصل لأحد الإخوان انزعاج سره إلى الملكوت الأعلى، أن يلطّف حاله بالأعمال البدنية من الصلاة والصيام، أو تكليفه بخدمة خاصة، ويلزمه أن يبعده عن مجالس الذكر، وعن المجتمعات ومجالس المذاكرات وسماع الأناشيد الحكيمة، ليحصل له التوسط.

وقد خص بعض أهل الطريق ذكر القلب باستحضار نقش اسم « الله » على القلب، أو استحضار أن القلب يذكر « الله »، وجعلوا لذلك خمس لطائف وهي: لطيفة البرزخ، ولطيفة القلب، ولطيفة الروح، ولطيفة الخفا، ولطيفة الأخفى. وجعلوا لكل لطيفة آداباً

(١) تهتكنا: مصطلح صوفي معناه: أخطأ السر وأظهرنا الحقيقة

مخصوصة ونقشا مخصوصا، وهي طريقة تصلح لبداية طريق الصامتين ولحفظ اللسان، إلا أنها تحتاج إلى الختم الحقيقي المحمل بالصورة المحمدية، الذي علم أمراض النفوس ودسائسها، وخفي مكائدها، وطرق نجاحها وشفائها. والغريق كيف ينجي غيره؟ وقد بينت أسرار تلك اللطائف الخمس، وضوابط الإذن والتلقين، ومشرب الختم، ومشهد المجتمعين معه في (المكنون).

٣- ذكر اللسان فقط:

هو أن ينطق الذاكر بجملة مفيدة ككلمة التهليل^(١)، أو ينطق باسم مفرد ملاحظا تمام الجملة بقلبه، كما إذا قال: «الله» بلسانه، ويلاحظ بقلبه: خلاق، أو: رزاق، أو: ربى، أو: شافي، وهذا أقل مراتب الذكر، وتركه الغفلة إذا كان الإنسان غافلا بقلبه وجوارحه.

آداب الذكر باللسان:

١- إذا كان في خلوة منفرداً:

فالأوّل أن يكون على طهارة، وأن يكون مستقبل القبلة، وأن يكون له راتب معلوم، والأوّل أن يكون تلقنه من مرشد عالم، وأحب أن يكون على مزيد في كل ليلة ولو بزيادة كلمة، وأن يفتح بالقرآن ويختتم بالقرآن، وبعد تمامه يغمض عينيه، ويستحضر أنه مأذون بهذا الراتب من المرشد المتصل سنده برسول الله ﷺ وآله ﷺ ليحصل له اتصال بوجه بالمعية المحمدية، فترد على قلبه لطائف الذكر، من فهم لمعاني الكلمات، أو فقه لأسرار الآيات، أو شهود لغيب المعاني، وبيان أسرار المعاني، أو ذوق مقامات المرشد، أو التجمل ببعض أحواله. وهذا كله دليل على حضور القلب و على ابتداء يقظته. ويكون ذكر اللسان في هذا الوقت مفتاحاً لذكر القلب.

(١) هي كلمة: لا إله إلا الله .

٢- إذا كان في المجتمع:

يلزم أن يكون المكان طاهراً، وأن يكون بعيداً عن الغوغاء والأسواق وأماكن اللهو، والأولى أن تفتح مجالس الذكر أولاً بقراءة القرآن، ثم بالتهليل، بشرط المحافظة على اللفظ الوارد شرعاً، والتوسط في الصوت، ويكون المفتوح للذكر أحشعهم قلباً، شديد الملاحظة لمعاني المذكور، حتى يمدّهم بروحانية الذكر، وأن يكون شديد الحضور والمراقبة. فإذا ظهر أن الذكر نبه القلب يكفي بالتنبيه فيغير اللفظ. و يلزمه أن يتوسط فلا يطيل الذكر إطالة تخرج السالك عن حد الاعتدال، ولا يقصر تقصيراً لا يبلغ به تنبيه القلب، لأن المراد من الذكر في المجتمع الخروج من الغفلة وتنبيه القلب. ويجب أن يراقب حفظ نظام المجلس، وتوحيد الكلمة، ومساواة الصوت والحركة، فإذا رأى أن أحد الإخوان وجد، يلزمه أن يغير الذكر لفظاً أو حركة، وإن وجد الجميع يلزمه أن يجلسهم حفظاً لحالة التوسط، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١).

مراعاة المعاني القلبية:

ومن آداب الذكر أن يعتقد الذاكرون أنهم إخوان في الله، وأنهم اجتمعوا لله، وأنهم ذكروا الله إما لفقرهم إليه سبحانه ليغنيهم، أو بتوبة ليغفر لهم، أو باضطرار إليه ليحييهم، أو بشكر لنعمائه ليزيدهم، ولا تظهر تلك المعاني للقلوب إلا إذا نزع الله ما في صدورهم من غل لبعضهم، وقد يحجب الإمداد عن الذاكرين لوجود رجل منهم سيئ السيرة أو حسود أو مفسد، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٢).

وعلى الإخوان في وقت الذكر وبعده أن يتناسوا حظوظهم وأغراضهم، لأن الذاكر جليس الله، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٣) ويجب أن يكون الأخ الذي قدمه المرشد منظوراً بعين التعظيم، لأن المراد منه اجتماع الكلمة، فتقبل نصيحته، ويطاع أمره فيما

(١) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

(٣) من الآية ١٥٢ من سورة البقرة .

هو واجب أو مندوب أو مستحب، وتُقبل معذرتُه إذا أخطأ واعتذر، ويُنبه إذا نشى، ويُذكر إذا سها، ويُصح إذا غفل بحالة مقبولة. والواجب عليه أن يكون حسن الكلام، بشوش الوجه، محترماً لجميع إخوانه معظماً لهم، مسارعاً إلى خيرهم، أرحم بالواحد منهم من نفسه، يغيض بصره عن عيوبهم التي لا تضر شرعاً، ويقبل اعتذارهم، ويجتهد في دوام الألفة والمحبة.

ويلزم أن يكون الذكر لغير غرض عاجل، من مال أو شهرة أو عناد أو تفرقة أو إرضاء للخلق أو طلب للدنيا، أو لإشهار عمل من أعمال الناس غير الذكر، فإن الذكر أفضل العبادات على الإطلاق إذا كان كاملاً بمعناه، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(١) وإنما يذكر العبد ليتقرب إلى المذكور سبحانه فكيف يعصاه بذكره ويبعد عنه بما يتقرب به إليه؟ قال رسول الله ﷺ وآله: «مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ». وإنما هي النيات ولكل امرئ ما نوى .

الغرض

الغرض من الذكر في الأماكن العامة:

إخواني.. منحني الله وإياكم حسن الاقتداء برسوله ﷺ وآله، وحقيقة الأتباع له ﷺ وآله، حتى نفوز بمحبة الله تعالى لنا. اعلموا— منحني الله وإياكم العلم والفقه والعمل — أن مجالس الذكر في الأماكن العامة كالمساجد والزوايا وفي الأماكن المشهورة، إنما قررها العارفون لغرضين عظيمين:

١- صرف الوقت في ذكر الله تعالى، ابتغاء فضله سبحانه ورضوانه بإخلاص.

٢- أن يلاحظ الإخوان - ودى الله وإياهم - أن الناظرين لهم، والسامعين لذكرهم، إما أن يميلوا بقلوبهم ويُقبلوا على الله لما رأوه من الخشوع والآداب، وحسن الحال والزي، وما سمعوه من صحة اللفظ وتوسط الصوت، فيكون الذكر في الأماكن العامة إعلاناً بما عليه أهل

(١) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .

الطريق من اتباع الشرع الشريف، ومن التجميل بصفات العلماء التي هي الخشية والخوف ودوام الذكر، والخشوع والتواضع والانكسار، والألفة في الله، والتعاون على طاعة الله والاجتماع للخير، فيكونون بذكرهم جمعوا الخلق على الله، وكأنهم بذكرهم دعاة إلى الخير. وإما أن يكون السامعون لهم الناظرون إليهم ألسن تقبيح وذم، وأيدي أذية وشر، إذا رأوا مالا يألفونه من حركات الأجسام، وما ينكرونه من المزاحمة بين الإخوان، وما يكرهونه في تحريف الأسماء الحسنى والنطق بها على غير ضوابطها الشرعية، وما تكرهه أسماعهم مما يكرره بعض الذاكرين من عبارات المدح لشيخهم، أو من الإشارات القدسية العالية التي لا يفهمونها، فيسبب ذلك نفورهم وتنفير غيرهم، وفتح باب المعارضة على الطريق وأهله، ويكونون بذكرهم خالفوا الطريق وفتحوا على أنفسهم باب شر، وفتحوا على المسلمين باب فتنة .

الحاضرون مجالس الذكر العامة:

إخواني - جليني الله وإياكم بجمليل الأخلاق والأحوال - أوصيكم أن تجعلوا مجالس الذكر العامة قاصرة على من لا يغلبهم الحال، وأن تكون العبارات التي يقولها القوَال قاصرة على فضائل الذكر والصلاة والصيام والحج، وعلى التشويق إلى الجنة والتخويف من النار، وعلى الاستعداد للموت وترك الظلم، والحث على التوبة، فإذا خلوتم في مجالسكم الخاصة وأغلقت الأبواب بينكم وبين العامة، فعندها يطيب لكم الحضور، ويحسن الذكر والحال وسماع أسرار الحكمة .

إخواني.. ليس كل من اتصل بكم وذكر معكم يؤمن على مجالس الخلوة، ولا يُقبل في الخلوة بل يلزم الرواتب والأذكار العامة ومجالس المذاكرات في الأحكام الشرعية، حتى تنهذب نفسه وتطهر أخلاقه ويؤمن على أسرار الشريعة وأنوار علومها، ولديها يُتخذُ أخا فصاحبا فرفيقا فصديقا فبدلا.

هيئة الذكر والأسماء التي تذكر في المجتمعات والخلوات:

معلوم أنه ورد كثيرا كلمة: خلق الذكر، وصفوف الصلاة. فيظهر أن الأكمل أن يكون الذاكرون حلقا، ومعلوم أنه ورد أن الأوّلَى للمصلين أن يتقاربوا حتى يتماسوا، وورد

أن ذلك أصفى لقلوبهم وأبعد لعدوهم الشيطان. من ذلك رأى بعض أئمة الطريق أن يكون الذاكرون حلقة، وأن يضع الذاكر يده في يد أخيه واضعاً أصابعه بين أصابعه برفق، إظهاراً لصفاء القلوب، وتحصُّناً من وسوسة الشيطان الرجيم. وقد روى أبو طالب المكي في كتابه: "قوت القلوب" أن سيدنا عبد الله بن عمر بعد أن صلى العيد في مُصَلَّاه جلس يذكر الله هو ومن معه من الصحابة، فجاء مصعب بن الزبير^(١) فقال: يا عبد الله، خالفت كلام الله، يقول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^(٢) وأنت تذكر قاعداً. فقام عبد الله بن عمر هو ومن معه فذكروا قياماً بعد أن ذكروا قعوداً.

هذا ما ورد عن الصحابة في الذكر قياماً وقعوداً في مصلى العيد خارج المدينة، وقد صح أن أصحاب رسول الله ﷺ وآله كانوا يجلسون في المسجد حلقات، حلقة يذكرون الله، وحلقة يتدارسون القرآن، وحلقة يتعلمون، وكان يدخل رسول الله ﷺ وآله المسجد فيراهم، فيتوجه إلى حلقة العلم ويجلس معهم ويقول: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»^(٣) ويقر الذاكرين.

أما حركات الجسم في الذكر: فمعلوم أن الركوع والرفع من الركوع ركنان في الصلاة، ولذلك فإن بعض أئمة الطريق استحسنوا أن تكون حركات الجسم في الذكر من قيام وقعود كركوع ورفع، والأولى المحافظة عليها، ما لم يقو وجد الذاكر فإنه يباح له مالا يباح لغيره.

(١) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، اشترك مع أخيه عبد الله في الحركة الزبيرية، تولى حكم العراق إبان خلافة أخيه وإمارته، كان يمتاز بالشجاعة، تولى إمارة البصرة. توفي سنة ٧٦ هـ .

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة النساء .

(٣) هذا الحديث أخرجه ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر وقد أورده الغزالي باب فضيلة العلم، الإحياء ج ١ ص ١٠ .

أعمال النجيب في الذكر:

١- المحافظة على رواتب الطريق:

المحافظة على رواتب الطريق من الصلوات والأدعية والأذكار، ويفتح مجالس الذكر أولاً بقراءة بعض سور القرآن مما يحفظه الجماعة، ولو الفاتحة والصمدية والمعوذتين، ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) ملاحظاً النطق بها بحسب رواية القرآن الشريف، حتى يكون تالياً للقرآن ذاكرة الله تعالى. ويلزمه أن يبين للإخوان تلك الملاحظة، فيكونوا مرتلين للقرآن ذاكرين الله تعالى. ويشرح لهم معنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إجمالاً، بأن يفهمهم أن الإله هو الغني عما سواه، المفتقر إليه كل من عداه، وأن الإله الحق المتصف بتلك الصفات هو الله سبحانه وتعالى الذي لا شريك له، وأنه هو المعبود بحق دون غيره.

٢- أن يرفع صوته بالتهليل:

ثم إذا علم أن القلوب أشرقت عليها أنوار التوحيد، وأنست بالواحد وتركت الأغيار، يرفع صوته بالتهليل^(٢) ويقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٣) مستحضراً الأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ وآله، ووجوب الاقتداء به صلوات الله وسلامه عليه، ويكون قد ذكر الإخوان بتلك المعاني ويقول: «الله» بالتفخيم ويقول معه الجماعة، ويلاحظ ما يرد على قلبه من أنوار الأسماء الحسنى، فقد يقولون بألستهم: «الله» ولقلوبهم مشاهدة تتم بما الجملة، فإن القلوب تشهد بعد نطق: «الله» «ربي، أو: شافي، أو: ولي، أو: بديع، أو: عزيز، أو: رعوف، أو: غفار، أو: تواب، مما يرد من الغيوب على القلوب.

٣- أن يروح الذاكرين باسم من أسماء التفصيل :

وقد يقوي الوجد على الذاكر حتى ربما غلبه، فيجب على النجيب في هذا الحال أن يروحه بذكر اسم من أسماء التفصيل، فإن اسم الذات حيلة الأسماء كلها. فالأولى أن يرفع

(١) من الآية ١٩ من سورة محمد .

(٢) التهليل: قوله: لا إله إلا الله .

(٣) من الآية ٩١ من سورة الأنعام .

صوته بالاسم الشريف وينبههم للإصغاء، ثم يقرأ: ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) وينطق بالاسم: «هُوَ» مضموم الهاء ساكن الواو، ملاحظاً في قلبه عظمة الهوية، مستحضراً أن يتم الجملة بمعنى اسم من الأسماء مثل: «هُوَ» باللسان، وبالقلب: الأول، أو: الآخر، أو: الحي، أو: القيوم ... الخ .

٤- أن ينقل الذاكرين إلى اسم آخر:

فإذا حصل الوجد وغلب الحال نقلهم إلى اسم آخر مثل «حَقَّ»، بأن يقرأ قوله تعالى: ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢) ويذكر الاسم، أو يذكر: «حي قيوم» بشرط أن يلاحظ معنى هذين الاسمين، ويستحضر بقلبه الاسم الشريف بأن يكون قلبه يذكر: «الله» ولسانه يذكر: «حي قيوم» لتتم الجملة، إلا إذا استغرق القلب في معنى الاسم المفرد وأشرق على السر نور معناه، ففي هذا الحال يكون اللسان ناطقاً بلفظ الاسم المقدس، والقلب ذاكراً معناه، والسر آنساً بوميض الأنوار، وهذا حال تطيب فيه النفس بعد تزكيتها، وتصفو فتصافى بقبس الأنوار القدسية، فلا يكون هذا الحال إلا لأهل خاصة الخاصة في خلوتهم.

آداب ختم الذكر:

فإذا ختم الذكر فينبغي أن تلاحظ تلك الآداب:

١- يتحفظ الإخوان بملابسهم تحصناً من الهواء، لأنه إذا مر بأجسامهم وثيابهم المبللة بماء العرق ربما حصل منه ضرر .

٢- يترك الإخوان شرب الماء البارد عقب الذكر مباشرة حتى تستريح أبدانهم، فإنه مضر عقب الذكر.

(١) من الآية ١٦٣ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٦٣ من سورة البقرة .

٣- يغمض الإخوان عيونهم توجها إلى الله تعالى، لترد على قلوبهم منح الملكوت وأنوار الذكر.

٤- يقرأ أحدهم ما تيسر من القرآن الكريم، والأفضل أن يقرأ الآيات الدالة على التوحيد أو الذكر أو الفكر أو البشائر، ليتدبر الإخوان معانيها وتنشر صدورهم.

٥- إن شرح الله صدر النجب لشيء من المذاكرة ذاكر، أو عرض على الإخوان أن أحدهم إن أحب أن يتكلم بوارد ورد له، أو فهم فهمه، أو حكمة نقلها، أو سيرة من سير السلف رواها فليتفضل لإلقائها. وإن أحب أن يروحهم بسماع الحكمة المنظومة من أخ حسن الصوت أمر بذلك، بشرط أن يقول ما يناسب الأكثرية من الحكم والعلوم، ثم ذكر التهليل ثلاثاً أو خمساً أو سبعا، ورفع يده وصلى على النبي ﷺ وآله، وترضى عن الصحابة وعن جميع إخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ودعا بالمغفرة للذين سبقونا بالإيمان، وسأل الله لإخواننا المعاصرين الحاضرين والغائبين، ثم يأذن بالانصراف.

الفصل الثاني

أهل الطريق

الواجب على أهل الطريق:

إخواني: إنما تأخينا لنجاة أنفسنا ونجاة إخواننا المسلمين، فالواجب علينا أن نتباعد عن ما يرينا أو يوقعنا في الريبة عند الناس، بأن نتحصن بالحصون الشرعية، فلا نتكلم أمام الناس بخصوصياتنا ولا بخصوصيات المرشد، ولا نفضل طريقتنا أو أستاذنا على الطرق الأخرى وعلى الرجال، لأن ذلك يوقع المسلمين في فتنة وشغل في غير الحق، وأن نحافظ على إخواننا المسلمين من الوقوع في غيبتنا وظن السوء بنا، بترك الأعمال التي لو عملناها لا تضرنا ولكنها تلفت المسلمين إلى ذمنا، مثل أن نترك الصلاة في المساجد بالتلذذ بها في الخلوة، ومثل أن نترك الكلام مع الناس اشتغالا بالأنس بالله، ومثل أن نترك العمل في الدنيا توكلنا على الله تعالى. و مثل الخلوة بالأجنبيات تحصنا بمراقبة الله تعالى، واعتقاداً أنه لن يضره ولن يضرها ذلك، لعلمه بنفسه ومعرفته بالكبائر المحرمة شرعاً، فإن ذلك موجب لوقوع الناس في الشر، وفساد اعتقادهم في الطريق وأهله. ومثل ترك الملابس أو تكلف لبس المرقعات مما يجعل الناس يقعون فيه. فإن ذلك مخالف لطريقنا ومبدئنا، لأننا نحب إقبال الخلق على الله، ودعوتهم جميعاً على الحق، ومن كان هذا طريقه وحاله فالواجب عليه أن يؤلف الخلق أجمعين، لا فرق بين المسلم وغيره من الجوسي واليهودي والنصراني، وإنما تأليفهم يكون بالمحافظة على وصايا القرآن الشريف، وكمال الاقتداء بسيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله في السر والعلن، وبأن يخفي مواجيدته وأحواله وأساره عن العامة حتى يكون مع الخاصة.

وإلا فإذا كان أهل الطريق ينفرون إخوانهم المسلمين بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم، فمن الذي يؤلفهم ويدكرهم بأيام الله وأحكام الله والعمل بسنة رسول الله؟ .. إذا كان أهل الطريق يُفسدون فمن يُصلح؟ .. إذا كان أهل الطريق يفرقون فمن يجمع على الله؟ .. هذا ظاهر.

إخواني - منحنا الله العمل بالكتاب والسنة، وأشهدنا مشاهد المقررين، وأنزلنا منازل المحبوبين - إنما جعل الطريق ليحصل الوصل بقرب المسافة، وليسير آمناً من التيه والوحشة والقطيعة، وأهله هم بقية الله الوارثون علوم الرسل عليهم السلام وأحوالهم وأنوارهم، والنائبون عنهم في تجدد سننهم وإقامة حججهم وبيان سبلهم.

صفات أهل الطريق:

إخواني: إنما أهل الطريق هم العلماء بسنن الله ورسوله، العارفون بأسرار الله سبحانه وأسرار رسول الله ﷺ وآله، الذين فقههم الله في دينه، وواجه سرائرهم بجماله، وكاشفهم ببديع حكمته وغرائب قدرته، جعلهم بأخلاقه الربانية وأقامهم مقام رسله، فقلوبهم خاشعة، وعقائدهم حقّة، وآراؤهم صحيحة، وعلومهم لدنيّة. عقدت على حق اليقين قلوبهم، وانشرحت لعمل القربات صدورهم، وحنّت إلى جناب القدس الأعلى أرواحهم. هانت الدنيا عليهم وصغرت في أعينهم فلم تشغلهم عن مرادهم وعن مقصدهم، يطلبون الجنة - لا لنعيمها - ويخافون النار - لا لعذابها - بل لأن الجنة محل مشاهدة جمال الجميل وهم مشتاقون إليه، ولأن النار مكان غضب القهار وهم فارّون من غضبه. ملأ الله قلوبهم رحمة بعباده. هذه صفاتهم التي يمكن أن يعبر عنها اللسان، وتسطرها الأقلام. فمن كانت هذه صفته، هل يكره أخاه في الطريق؟ أو يخالف الرفيق؟ أو يرى نفسه أفضل من أخيه؟ أو يهتم بتفرقة الإخوان؟ .. حاشا.. ما يفعل ذلك أخ في طريقنا، إنما يفعل ذلك الأدعياء المغرورون والجهلاء المبعودون، أعاذنا الله منهم ومن أعمالهم.

كيفية التقرب إلى الله:

إخواني - هدانا الله سبله، ونعمنا بمشاهد ملكوته الأعلى - كل أخ منا مكلف بأن يتقرب إلى الله بنفسه وماله - والله غني عن العالمين - فتقرب بنفسك ومالك إلى الله في الفقراء والمعوزين من إخوانك، وفي دفع الضرر وكشف الآلام وتخفيف المصائب عنهم، وفي تأليف القلوب، لأن كل واحد منا مكلف بأن يتقرب إلى الله بما وهبه سبحانه من

العلم والجاه والعافية والمال، فمن وهبه الله العافية والمال والجاه والعلم فعليه أن ينفق من كل منها. و من منحه الله العافية أو العلم أو الجاه أو المال فعليه أن ينفق مما وهب الله له، وأن يكمل نفسه بطلب ما بقي من إخوانه، بأن يسعى لطلب العلم وغيره ليكون عاملاً من عمال الله، نافعا لنفسه ولإخوانه.

طريقنا هو طريق السلف الصالح:

إخواني: هذا الطريق هو طريق السلف الصالح، الذي هو السعي في ترقية النفس وتطهيرها، والعمل بالسنة والكتاب. والحمد لله، قد وفقني الله تعالى بأن جمعت لكم في كتاب «أصول الوصول» أحكام العقيدة وشرح العبادات والمعاملات والزواج وعلوم اليقين، وفي كتاب: «شراب الأرواح» علوم الحكمة التي تلزم من تزكّي، ثم كتبت مالا بد منه من العلوم والأسرار في غيرهما^(١)، وأحب يا إخواني أن تجعلوا لكم في كل يوم وقتا تتدارسون فيه كلام الله وكلام رسوله، وتقرأون فيه مالا بد لكم منه في كتبكم هذه، ويلزم أن يُقدّم هذا على النوافل لأنه أول واجب، كما قرر بعض العلماء أن أول ما أوجب الله تعالى على العبد: العلم، حتى إذا عمل عمل بعلمه فيورثه الله علم ما لا يعلم .

ترك الكشف عند مخالفته للسنة:

إخواني: من كُشِفَ له الحجاب، فشهد مشهدا يخالف السنة وما عليه المرشد فليتهم نفسه، وليستعذ بالله منها ومن الشيطان، وليقل: ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(٢) فَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لِمَةً^(١) بالسالك يتحمل له ليخرجه من جنة المعرفة والشهود كما أخرج آبانا آدم، وإنما حصون الطريق هي حصون الأمن.

(١) تطلب جميع مؤلفات الإمام أبي العزائم من مكتبته (دار المدينة المنورة) التابعة لمشيخة السادة العزمية

١١٠ ش مجلس الشعب - القاهرة .

(٢) من الآيتين ٩٧، ٩٨ من سورة المؤمنين .

خصوصيات المرشد التي لا يقلده فيها المريد:

إخواني - أسعدنا الله بحقيقة السعادة ومنحنا عميم الخير - اعلّموا أن للمرشد أحوالا خاصة به، ينبغي أن لا يقلّد فيها إلا بعد الإذن منه بعملها للأخ في الله، مثل: الصلوة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومثل: اشتغاله بالعلم والمذاكرة عن بعض النوافل، ومثل: مداراته للخلق وتأليفه لأهل المنازل والشرف، ومثل: تركه الذكر باللسان واشتغاله بذكر القلب، وبذل جميع ما في يده غير خائف من الفقر، ومثل: تكليف بعض الإخوان بما يناسبهم من الأعمال البدنية أو الصدقات أو الرياضات، ومثل: أن يسأله النساء عن أحكام الدين فيجيبهن، ومثل: أن يعمل أعمالا يقتضيها الوقت هي سُنّة بالنسبة له تخفى على غيره حكمتها، ومثل: أن يحب الجميل من كل شيء في المأكل والمشرب واللباس والفراش، ومثل: سكوته على أمور يلزم المبادرة بمحوها مما هو مكروه أو مخالف للسنة، فإن الرجل إنما يسعى ليزيل المرض المنتج للآلام لا ليسكن الآلام، فقد يسكت عن المكروه أو المخالف حتى يعلم حقيقة المرض فيعالجه بالعلاج الشرعي والشافي هو الله، وربما كان سكوته على المكروه سداً لباب من أبواب الفتنة والتفرقة. فالمريد لا يقلد الرجل في كل تلك الخصوصيات حتى يظهر له سر حكمتها، وعلى المريد أن يسلم له، ويعلم أنه لم يؤت من العلم إلا القليل، ويتشوف إلى فضل الله والمزيد من العلم. إذا تقرر ذلك فالمريد الذي يقلد المرشد ليس بمريد، ولكنه حيوان يحاكي كالفردة والنسانيس، أو رضيع يحاكي أعمال والده.

أنواع الرجال:

الرجال خمسة: إمام، فبدل، فنحيب، فنقيب، فوتد.

(١) لمة الشيطان: هي خاطرتة ووسوسته التي تحرك النفس فتتهوى بها في بحر الشهوات وظلام المعاصي، وهناك لمة أخرى وهي لمة الملك، وهي التي تحرك الروح وتسمو بها إلى عالم القدس لتحظى بالقرب، فلمة الشيطان تدعو للشر، ولمة الملك تدعو للخير .

أولاً: الإمام:

الإمام مطوي سره، مجهول مقامه، خفي حاله، وغاية ما يعرف منه أنه الفرد الوارث لأسرار النبوة وعلوم الرسالة، العالم الرباني، والإنسان الروحاني الراسخ في العلم، ولا يظهر سره ولا يعلم حاله إلا لأهل الصفوة، الذين جعل لهم الله نوراً، وقد أشرت إلى صفاته الظاهرة في (المكنون)، والسعيد من وفقه الله لمعرفته وتلقى علومه عنه، ولا يخلو زمان من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو باطناً مغموراً، حتى لا تبطل حجج الله وبياناته، والإمام هو الذي وهبه الله الحكمة والفقّه في دينه ولسان العبارة، وهو الحجة لله، والنجم الذي يهتدي به المؤمنون.

ثانياً: البدل:

البدل إما أن يكون خزانة علم الأحكام الشرعية، وهو أعلم أهل عصره بأحكام الشريعة الذي يرجع إليه العلماء، فيكون بدلاً من أبدال الأئمة، أو خزانة علم بالله وبأيام الله وبأمراض النفوس وتزكيتها، وهو يكون أعلم أهل زمانه بطريق الله وسير السلف الصالح وأحوال أهل اليقين، ويكون مرجع السالكين، ويسمى البدل الروحاني، لأنه يظهر النفوس من رعوناتها ولقسها^(١)، ويعين على المحافظة على الواجبات والنوافل.

والبدل صورة الإمام المرشد، أعماله التأثير على الإخوان بالأعمال الموافقة للشرع، وأحواله التي تعلق بها هم النفوس عن الميل إلى الفانيات بالمسارعة إلى ما به نوال السعادة الباقية، والعبارات المشوقة للنفوس إلى محبة الله تعالى، والرغبة في الخير الحقيقي الأبدي، والفرار مما يوجب غضبه. فعمله إصلاح الناس والصلح بينهم، وتأليف النافرين والكافرين لتميل قلوبهم إلى الحق فيتبعوا سبيله، وهو صاحب وقت، والإمام صاحب نفس، والتجيب صاحب حال، والنقيب صاحب عمل، والتد مأمور.

(١) اللقس: هو العيب والخبث .

ثالثاً: النقيب:

من المقرر أنه لا بد أن يكون لكل جماعة في بلد أو قرية أو مدينة أخ مقدم عليهم يلاحظ أن يكون:

١-: علماً بالسنّة حتى يردّهم إليها إن سهوا أو خالفوا.

٢-: علماً بأسرار الطريق ليبين لهم مقامات السير والسلوك، وطرق تزكية النفوس وحقيقة الآداب، وهما الأصلان العظيمان اللذان بهما يقدم الأخ، فإن جمّله الله بعدهما بشرف النسب وبالوسعة في الرزق وبالجاء بين الخلق فهو النقيب، وله أخ متصف بتلك الصفات - إلا أنه أقل منه فيها - يسمى النقيب.

و قد يقوم النقيب مقام البدل إذا أنس من نفسه نجاح العمل في الصلح والإصلاح، وإلا لزم رتبته، وحافظ على الإخوان من التفرقة إن حصل خلاف لا يزيله إلا البدل، وسعى بين الإخوان بما يوجب الصفاء والألفة.

رابعاً: النقيب:

أعمال النقيب خدمة النقيب والإخوان، وقضاء لوازمهم وقت المذاكرة والأذكار والرواتب، وإعداد ما يلزم لذلك، وينوب عن النقيب عند غيابه. ويلزم أن يكون النقيب حسن الأخلاق، هينا لينا، جميل المجالسة، بشوش الوجه، حسن الإجابة حتى يألفه الإخوان، ويكون محتماً جفوهم وشديد عباراتهم، يحسن إلى مسيئهم، ويلين عند قسوتهم، ويقدمهم على نفسه - خصوصاً عند الاجتماع لطعام أو فاكهة - فإن النقيب هو الباب للمستجدين، وبقدر جمال أخلاقه يكون تهذيب نفوسهم وتزكيتها، إلا أنه لا يغفل عن تنبيههم بلطف ورقة على ترك ما يشين وعمل ما يزين.

والنقيب يلزم أن يكون محباً لإخوانه جميعاً كمحبته لنفسه، وأن يكون زاهداً، فإذا قدم أحد إخوانه له هدية أو تحفة مما يأكله الواحد أو ينتفع به الواحد انتفع به، وإلا قدمه لمصلحة الإخوان بأن يضعه في الزاوية أو في بيت النقيب أو البدل - إذا كان محلاً جامعاً

للإخوان - أو قسّمه بين إخوانه إن كان مما يستعمل في الحال، ملاحظاً في ذلك مراقبة الله في الغيب والشهود، وحبا لإدخال السرور على إخوانه، ولتطمئن قلوب الإخوان العاكفين على طاعة الله، الذين تركوا الأسباب توكلاً على مسبب الأسباب. وللتقيب رواتب من الصلوات الليلية والنهارية والأذكار اللسانية والقلبية وقراءة القرآن أكثر من رواتب الإخوان .

خامساً: الوتد:

الوتد هو الأخ الذي بلغ من درجة التهذيب والحب إلى أن رأى نفسه أقل من جميع إخوانه، وصغرت نفسه في عينه حتى صار يتولى الأعمال المحتقرة، كخدمة النعال ونقل الماء للإخوان، وحمل الطعام لهم، وخدمتهم في الأكل والشرب. والوضوء والكنس والرش، وإرساله بين الإخوان لقضاء المصالح وإعلاهم لما يلزم. ولا يكون وتداً حقيقياً إلا إذا استوى في عينه الشريف والعني من الإخوان والفقير الدنيء والجاهل منهم، في تلبية كل منهم وقضاء مصلحة الجميع. فإنه قد يتكمل في مقامه هذا وهو وتد إلى أن يُجَمَّلَ بِحُلَلِ الأبدال، لأنه يستمد من كل أخ من الإخوان بمدد خاص فيكون مُمدّاً من الجميع، والأقطاب أصلهم أوتاد. و الوتد لا يشعر بوجوده لصغره في عينه، ولا تسمع منه في ليله ونهاره بعد قضاء رواتبه إلا: لبيك لبيك، لمن طلبه. وقد يبلغ درجة يكون له فيها الجاه العظيم عند الله، وعندها يسأله الناس أن يدعو لهم فيجيب الله دعاءه.

الفصل الثالث

آداب أهل الطريق

أولاً: في حضور البدل:

إذا حضر البدل كان النجيب نقيبا، والنقيب وتدا، والوتد مساعداً.

ثانياً: الأخ في الله يخدم لينتفع إخوانه:

الإخوان كثيرون إلا أنهم جسد واحد، كل واحد منهم عضو لهذا الجسد، وروح واحدة سارية في كل عضو من أعضاء الجسد، وكل عضو متصل بالجسد فعمله لنفع الجسد كله، فإذا انفصل من الجسد، لا ينفع الجسد ولا ينتفع. وكذلك الأخ ما دام يسعى لنفع جميع الإخوان فهو متصل بالله تعالى ورسوله ﷺ وآله، فإذا سعى في منفعة نفسه دل ذلك على أنه قطع وبَعْدَ ... وإلا فمتى رأيت اليد تأخذ الطعام فتنتفع به من دون الفم؟ .. ومتى رأيت الفم ينتفع بالطعام دون أن يدخله إلى المعدة؟ ... ومتى رأيت المعدة تنتفع بالطعام من غير أن تهضمه ويصير دماً ويسري في جميع الجسم وتنتفع منه الجملة؟ .. فالأخ في الله يخدم لينتفع إخوانه وينتفع بمنفعتهم، ومتى أحب نفسه فليس منهم.

ثالثاً: كيف تكون النصيحة وأين؟ :

إذا خالف أحد الإخوان حكماً من أحكام الشرع، أو خرج عن الاعتدال وأسرع أحد الإخوان في لومه في المجتمع، فالأفضل لجميع الإخوان أن ينصتوا جميعاً، فإن قبل الأخ نصيحة أخيه بشراًه بالخير، وأثنوا عليه خيراً لأنه صار من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي ﴿١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١).

(١) من الآيتين ١٧، ١٨ من سورة الزمر .

وعلى البذل أو النجيب أن يحضر الذي أسرع بالنصيحة في المجتمع، ويعلمه آداب النصيحة، وأنها لا تكون إلا في خلوة، لأن النصيحة في المجتمع لا تكون إلا من المقبول المعتقد فيه، وتكون عامة لا يُخصَّص بها واحد بعينه. فإذا لم يقبل الأخ نصيحة أخيه في المجتمع وقابله بقسوة، فالأولى للإخوان أن يصمتوا. وليتكلم المقدم قائلاً: إن أحاك يحب لك الخير، ويريد لك السعادة، ولم يدفعه إلى هذا إلا الغيرة عليك، فاحمل كلامه هذا على حسن الظن وسلامة الضمير. ثم يقول للأخ الناصح: يا أخي، جزاك الله خيراً، ارفق بأخيك، ولا تدفعه محبتك له ورغبة الخير له إلى أن تنصح أحاك في هذا المجتمع. ثم يأمر بقراءة قرآن أو بمدائح منظومة ليسد باب الشر عن إخوانه .

وفي هذا كله يجب على الإخوان جميعاً أن يكونوا منصفين، لأن واحد منهم لو تكلم ارتفع صوت الجميع، ودخل ما بين كل أخ وأخيه شيطان مارد لإفساد القلوب ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(١).

رابعاً: إصلاح ذات البين:

إذا عاتب أخ أخاه أو خاصمه، وكان لأحدهما أقارب أو أصدقاء من الإخوان، أو كان بين أحدهما وبين بعض الإخوان شيء في النفس، فالواجب على الإخوان أن يجعلوا الحق أكبر من أن يميلوا عنه إلى القربة، وعلى من في نفوسهم شيء أن يروا الحق أجلاً وأعظم من أن يخالفوه لحظ نفساني، ويكونوا مع الحق ولو على أنفسهم، سعياً وراء الإصلاح والصلح، حتى تسلم صدور الإخوان لبعضهم، وتصفو قلوبهم من الحقد والضغائن. والمؤمن ليس حقوداً ولا حسوداً، ولا يقابل السيئة بالسيئة. والأجمل بالإخوان - إذا تخاصم أخوان - أن يجتهدوا في الإصلاح بينهما ومحو سبب الخصومة، والله الموفق.

(١) الآيتان ٩٧، ٩٨ من سورة المؤمنون .

خامساً: النصيحة بالحكمة:

إذا رأيت من الأخ هفوة أو زلة فلا تفشها لأحد، ولكن اجتهد في تقييحها أمامه بالحكمة حتى يتحقق قبحها ويتوب، وأحذر أن تشيعها عنه فرما سمعها منك جاهل بالنصيحة فبلغها له، أو زجره عنها بحالة تنفره فتقطعه عن الله وتكون سبب ذلك.

سادساً: النصيحة لمن يخالف الشرع أو المرشد:

إذا جاهر أحد الإخوان بما يخالف الشرع، أو يخالف المرشد، فالواجب على جميع الإخوان أن ينصحوه، فإن قبل وإلا هجروه، فإن تاب فبها وإلا قطعوه من نسب الأخوة، وأعلنوا ذلك لجميع الإخوان حتى يشاع عند الناس جميعاً فلا تنسب عيوبه للإخوان، والتساهل بالمخالف المجاهر من أكبر المصائب على الطريق وأهله، نعوذ بالله من حال قوم يضيع الحق بينهم فلا يجد له نصيراً.

سابعاً: الإيتار:

من أكمل صفات الإخوان أن يُؤثَرَ كل واحد منهم أحاه على نفسه، ولو فيما هو محتاج إليه، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١) والمتحقق بهذه الصفة كيف يرى نفسه أحق بحاجة أخيه من أخيه؟ اللهم إلا إذا بذلها له وتحقق سروره في قبولها منه. ومن خصالهم أن يحب الأخ أن يطعم الأخ من خير طعامه فيرسله له أو يدعوه إليه، والأولى أن كل أخ يختار له أخا يشاكلة ويجانسه، يأنس به يجعله كنفسه، يعرض عليه أحواله، ويستشير به في جميع أحواله، يعينه إذا ذكر، ويذكره إذا نسي، ومثل هذا الأخ إذا وجد كان من أكمل النعم على المرید.

ثامناً: الشفقة والرحمة والعطف بالفقير:

لما كان الحب إنما هو في الله لمعان يحبها الله تعالى ويحبها رسوله ويحبها الإخوان المؤمنون، أهمها أن يكون الأخ يعتقد عقيدة إخوانه المؤمنين، ويرى رأيهم، ويعمل أعمالهم

(١) من الآية ٩ من سورة الحشر .

بحيث لا يخالفهم في معروف من الدين، ثم يكون ميزانه في الحب بقدر أخلاقه وإيثاره إخوانه على نفسه بأن يرى أنه أقل منهم.

إذا تحققت تلك الصفات في الأخ وجب حبه واحترامه وتعظيمه، وتقدمه على الوالد والوالدة والزوجة والأبناء، لأنه يعينك على السعادة الأبدية، ولو كان فقيراً لا يملك قوت يومه، ولا يزيد حبه عندك إذا أصبح أكثر من كنوز الله فبذل لك جميع ماله، لأن بذل المال أقل من بذل النفس، وإياك أن تحب أخاك لأنه ذو مال أو ذو جاه، وتقدمه لذلك وتحترمه، فإن ذلك يقدح في الحب في الله.

ولكني أستحسن لك أن تُتزل أخاك الفقير المتصف بالمعاني المتقدمة في قلبك في أرفع مراتب المحبة والتعظيم، وتجعله خيراً من نفسك عندك متى كملت فيه تلك المعاني، وتدارى من لم تكمل فيهم تلك المعاني من إخوانك من أهل المال والجاه، تأليفاً لهم. واحفظ قلبك أن تحتقر أخاك الفقير المتحمل بتلك المعاني، أو تصغره في قلبك، وتعظم ذا المال والجاه لجأه وماله، فإن ذلك كالشرك في طريقنا، قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١) وقال الله تعالى في وصف أهل الطريق الذين منحوا حقيقة المعية المحمدية: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢) وقال ﷺ وآله: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِيهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْحَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْحَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٣) وقال ﷺ وآله: «المؤمنون كرجل واحدٍ إن اشتكى

(١) من الآية ٩ من سورة الحشر .

(٢) من الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٣) هذا الحديث رواه النعمان بن بشير، ولفظه: " مثل المؤمنين " وقد أورده مسلم، وابن حنبل وقال السيوطي هو صحيح: الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٥٩ .

عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلَّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلَّهُ»^(١) وعن النبي ﷺ وآله ﷺ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَيْتَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا - ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»^(٢).

وإن الإخوان إنما اجتمعوا ليتعاونوا على البر والتقوى، وليسارعوا إلى مغفرة من ربهم ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، وكان خيرهم محصورا في مزيد اليقين والعلم والحب في الله، والبذل في الله، والزبارة في الله، وكانت تلك المعاني لا تتحقق إلا في الضعفاء المساكين الفقراء، حتى كأن الفقراء مع الإخوان هم مفاتيح الخير لهم وأبواب السعادة. بهم تكون النصرة للإخوان، وتتزل الأنوار، وتظهر الأسرار، وتتسع الأرزاق، فعلى الإخوان أن يجعلوا الفقير الضعيف المسكين محل الشفقة والرحمة والعاطفة، حبا في الله، وتقربا إلى رسول الله ﷺ وآله ﷺ، لمن اتصفوا بالصفات التي يحبها.

تاسعاً: البذل والبشاشة وإدخال السرور على الإخوان:

معلوم أن الأخ في الله إذا رآه أخوه في الله: ذكر الله لرؤية الأخ في الله تعالى، لأن نسبه نسب إلهي، ورؤيته تذكر برسول الله ﷺ وآله ﷺ، فالفرح بلقائه فرح بالله تعالى وبرسوله، وإدخال السرور على قلبه بالقول أو بالعمل أو بالمساعدة من أعظم القربات إلى الله تعالى.

ولما كانت الكلفة ساقطة بين الإخوان، والتكلف مذموم في الطريق، ومردول بين المؤمنين كان، الأكمل لإخواننا - ودّهم الله بالخير في الدنيا والآخرة - أن يبذل الأخ منهم لأخيه مالا كلفة فيه من البشاشة والعلم والطعام والشراب والمساعدة عند اللزوم، أو عند طلبه للضرورة، وعلى من قدم شيئا من ذلك أن يعتقد أنه أخذ بما أعطاه، لأنه بتلك القربة كأنه أنفق في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُتْبِتَتْ

(١) وهذا الحديث رواه النعمان بن بشير أيضاً، وهو حديث صحيح، وقد أخرجه مسلم وابن حنبل، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٧٢ .

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، رواه أبو موسى الأشعري وهو حديث صحيح، الجامع الصغير ج ١ ص ٥٦٩ .

سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ فمن تقرب بدرهم فأخذ سبعمائة أخذ ولم يعط.

عاشراً: غض البصر:

إذا اجتمع الإخوان في بيت أخيهم لطعام، أو لزيارة أو لمشورة: فعلى كل أخ أن يَعْضَّ بصره عن عورات أخيه، وأن يعينه على شكر الله، بأن يحسَّن له ما هو فيه من المعيشة، وأن يظهر الفرح بما تقدَّم من الطعام - ولو لم يكن جيداً - إدخالاً للسرور على قلب أخيه، وإذا رأى عند أخيه شيئاً مُسْتَحْسَناً من كتب أو ملابس أو أواني أو غيرها فلا ينظر إليها، ولا يمد يده عليها، لأن ذلك يدل على جهل بآداب الزيارة، وربما كان للأخ فيه سر يخفيه عنك، أو كان ذلك الشيء وديعة عنده، أو أثراً من حبيبته أو شيخه أو والده أو جده، وإذا زارك أخ فرأيت منه أنه يحب نفسه أكثر مما يحبك، ويقدم لنفسه مالا يحب أن يقدمه لك، فاعلم أنه لم يذق حلاوة المحبة ولم ينل منها ولا حبة.

الحادي عشر: القيام بالواجب:

معلوم أن الإخوان - جملني الله وإياهم بالسعادة والعلم - بعضهم عامل للخير بعض كأعضاء الجسد، فمنهم كنوز علم، ومنهم عمال لجلب الخير ودفع الضرر، ومنهم كنوز مال، ومنهم السائحون في الأرض لتذكير عباد الله وإقامة حجج الله وتجديد سنن رسول الله، ومنهم العاكفون على العبادة، الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة، ومنهم ألسنة الخير، ومنهم الأيدي العاملة لخدمة الإخوان، ومنهم الأيدي المفاضة بالبر والصلة، وكل واحد من الإخوان أقامه الله في إقامة بها وصوله، ومنها فوزه، وكل فرد منهم عليه واجب للجميع حتى يكون عضواً عاملاً لجميع الجسد، وليس يخاف على كل أخ واجبه، فإن العالم واجبه التعليم والإرشاد، والسائح واجبه التذكير والإصلاح، وهكذا، والغني واجبه بذل حق الله تعالى والفضل لإخوانه المشغولين بعمل الآخرة والدعاة إلى الله تعالى، فكما أن العالم يبذل علمه

(١) من الآية ٢٦١ من سورة البقرة .

لإخوانه - مسرورا مخلصا لله - فكذلك كل عامل من الإخوان يبذل ما وجب عليه فرحا مخلصا لله.

الثاني عشر: المذاكرة والتأليف بين المسلمين:

المذاكرة - أيها الأخ - أيدي الله وإياك لاتباع الكتاب والسنة - اعلم إنك إذا جلست تذاكر من يخالفك في طريقك بذكر خصوصيات شيخك أو أنوار طريقك، أو بيان أن طريقتك هي الطريق القويم والصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله وأصحابه، فإنك ننفره منك، وأنت مكلف أن تدعو النصراني واليهودي إلى الله تعالى، فإذا كنت لا تحسن أن تدعو أخاك المسلم إلى ما علمت من الحق، فكيف تكون داعياً لله تعالى؟! لا تقل - إذا لم تحسن أن تؤلف إخوانك المسلمين - إنك داع، ولكنك منفرد.

إذا جلست يا أخي - وفقك الله - في مجالس إخوانك المسلمين، فبين لهم ما يألّفونه من كمالات رسول الله ﷺ وآله، وسعة رحمة الله، والنعيم الأبدي الذي يناله من تمسك بسنة رسول الله، ثم حاذر أن تخالفهم فيما تعودوا عليه، فإن ذكروا الأولياء؛ فترض عنهم، وإن ذكروا مشايخهم فامدحهم وأنش عليهم، حتى يألّفوك ويأنسوا بك، فإذا أنسوا فتكلم معهم بشيء من الحكمة على قدر عقولهم، فإن قبلوا وأقبلوا فزد، وإن أنكروا منهم أحد فاحذر أن يكون شيطانهم فلن له ولا تعارضهم حتى يأنس أو انتظر بعده عنهم، ولا تدمه في غيبته، ودع ذكره مرة واحدة مع الناس، إلا ما تعلم فيه من الخير خشية أن يكون شيطاننا من شياطين الإنس، ولا تذكر محاسن المرشد وخصوصياته إلا بعد أن تعلم منهم أنهم ممن يصلحون للأخوة، فبين لهم عند ذلك صفات المرشد على قدر عقولهم ليسعوا إليه ويتلقوا عنه علومه وأحواله، ليسعدوا بذلك .

وإن بعض إخوانهم - غفر الله لنا ولهم - يجهلون طريقنا في الدعوة إلى الله تعالى، فتكون دعوتهم تنفير للخلق عن الله بما يظهرونه من الأحوال المنكرة عند الغافلين، والأسرار المجهولة عند اللاهين، وما يتكلمون به أمام العامة من خصوصياتهم وخصوصيات المرشد، مما لا

يسلم به إلا أهل الخصوصية، ولا يقبله إلا من سبقت لهم العناية، فيسبب ذلك إنكار الخلق على أهل الطريق واحتقارهم.

الثالث عشر: البعد عن الجدل وأبوابه:

فيا إخواني - منحنا الله الحكمة والحب والسكينة - اعلّموا أن المراد من الدعوة إلى الله تعالى نجاة العامة من نومة الجهالة، وظلمة الغفلة، وحجاب الغرور بالدنيا، ولا يكون ذلك إلا بالشفقة والحكمة والرحمة، والمحافظة على عباد الله من وقوعهم في عداوة أولياء الله، وإنكار الحق وإذلال أهله. وعلى الأخ أنه إذا رأى من نفسه انزعاجا من شدة المحبة وقهر الحال، أن لا يجتمع إلا على خاصة إخوانه، ويتباعد عن المبتدئين، وعن من لم يسلك الطريق، لأنه في هذا الحال ينفع الخواص ويضر غيرهم، ويفتح باب الجدل والإنكار، والأخ الذي يحب أن يفتح باب الجدل والإنكار على الإخوان ليس بأخ ولكنه عدو.

الرابع عشر: المحبة لأهل لا إله إلا الله:

إخواني - منحنا الله الحلم والتأني - اعلّموا أنه من أشر الشرور أن يكره المسلم أخاه المسلم لغير معصية الله، وينفر منه ويعاديه كما يحصل بين أهل المذاهب وأهل الطرق، فإن كان أهل طريق يبغضون من لم يسلك طريقهم، ويعتقدون أنهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل، وقد يبلغ بهم العناد إلى أن يلعن بعضهم بعضا، ويكفر بعضهم بعضا من غير بينة ولا حجة من كتاب ولا سنة، بل للحمية الجاهلية والعصبية الجهنمية، ولو أنهم تأملوا قليلا لتبين لهم أنهم جميعا إخوان في الله، الإمام لنا القرآن، والنبي سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله، وربنا جميعا الله تعالى، وأنه لا خلاف بيننا في عقيدتنا ولا في عبادتنا ولا في معاملاتنا، ولكن الشيطان - نعوذ بالله منه - يترغ بين الأخ وأخيه ليوقعه في عداوة من أوجب الله تعالى محبته، ومحاربة من أوجب الله عليه مسالته، وقطيعة من أوجب الله عليه صلته. وبإليت ذلك يكون لله أو في الله، بل لحظ متبع وهوى مطاع، وتعصب لرأي قد يكون فاسدا، حتى أصبح أهل

الطريق كأنهم وحوش متنافرة، يسعى كل فريق في ضرر الآخر، خروجاً من السنة ومخالفة للكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(١).

فيا إخواني - جعلني الله وإياكم نورا للقلوب وانشراحاً للصدور - كونوا رحماء حلماء حكماء، وأحبوا كل أهل « لا إله إلا الله محمد رسول الله » حبا للكلمة وحبا لله ولرسوله ﷺ وآله، وإياكم أن تنهاونوا بسنة من السنن الخفيفة أو المؤكدة، أو بركن من أركان الدين، أو يدفعكم عدوكم الشيطان إلى عداوة أخ من إخوانكم المسلمين، فإن ذلك كله مروق من أخوة الإيمان، ومخالفة للجماعة، وإنما النسبة إلى المرشد نسبة تلقى العلم

والأسرار وليست نسبة تخرجكم عن الأخوة في الله لكل مسلم، وإنما النسبة للمرشد تؤكد لكم روابط الأخوة، وتكشف لكم واجباتها، وتوضح لكم حقيقة المحبة في الله تعالى كما يجب على كل مسلم لإخوانه. نعم، يجب عليك أن تقول: تلقيت عن العالم فلان واسترشدت عليه، ونفعني الله بعلمه، وأسعدني الله بصحبته، ورويت عنه، وتسعى في أن تدل عليه جميع إخوانك المسلمين ليتفقهوا في دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة. فإذا جهلت ونسيت فمدحته وذمت غيره، وعظمته وصعرت غيره، وأحببته وكرهت غيره، فقد خالفت طريق المتقين.

كما أنك إذا تلقيت علومه واسترشدت علي يده، وأسعدك الله بحاله، ثم لم تنسب إليه لتظهر نفسك وتخفي المرشد كنت مدلساً^(٢) وربما أوقع هذا التدليس صاحبه في نفاق به يكون في الدرك الأسفل من النار، وخير الأمور الوسط، والخير كل الخير أن ينجي الله على يديك عباده، ويجمعهم من التفرقة، ويبين لهم الطريق المستقيم ليسلكوا عليه.

(١) من الآية ١٠ من سورة الحجرات .

(٢) المدلس: هو المخادع الخائن، يقال في المثل: ما لي فيه ولس ولا دلس. ويقال: دلس الحدث في الإسناد أي تعمد الخطأ أو الخلط فيه .

الخامس عشر: الغضب لما يُغضبُ الله:

إن بعض الإخوان – ممن يجهل المراد من الطريق – قد يفتح أبواب الجدل والعناد، حتى يتظاهر بعمل المنكر أو ترك المعروف عنادا، ويجهل المسكين أنه بذلك أغضب الله ورسوله، وخالف محجة الطريق.

فيا إخواني – حفظنا الله وإياكم من البدعة، وحصننا بحصون الشريعة – إذا رأيتم أخواً من الإخوان يفعل ذلك، فعليكم جميعاً أن تردوه إلى الحق، وأن تكلفوه أن يقتدي بالمرشد حقيقة الإقتداء، فإن أبا إلا العناد، فالواجب على الإخوان اتخاذه عدوا لهم، وكيف لا يتخذونه عدواً وقد عمل ما يغضب الله ورسوله وخالف المرشد؟ فكل أخ لم يتخذه عدواً فكأنه رضا بأخوته، والراضي بعمل الكبيرة مرتكب لها، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١) وقال ﷺ وآله: قال الله تعالى: «إِذَا عَصَايَ مَنْ عَرَفَنِي سَلَطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي».

(١) من الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

الفصل الرابع

اصطلاحات أهل الطريق

اصطلاحات الطريق:

قبل أن نتكلم على بيان الطريق المستقيم، وما يجب أن يكون عليه السالك، نبتدئ بشرح الألفاظ المصطلح عليها في الطريق مما لا بد منه للسالك المسترشد، حتى إذا قرأ في كتب الطريق يسهل عليه فهم معاني الألفاظ التي وضعوها لمعان اصطلاحية بينهم. أما الألفاظ التي اصطلاح عليها المواجهون لقدس الجبروت الأعلى، أو لحضرة العزة، فمِمَّا لا يرسم في كتاب، وإنما تفهم من أفواه العارفين: كالمجلي، والتأله، والاصطلام، والمواجهة، والمنازلة، والاتحاد، والطمث، والحق، والأخفى، وغير ذلك مما يشيرون به إلى درجات القرب وحقيقة الحب، قال الله تعالى: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢) وقال جل ذكره: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث الصحيح: «لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ...» إلى آخر الحديث. وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، مما يدل على علو مشاهد الرجال وَعَلَيَّ مَقَامَاتِهِمْ رضي الله عنهم. منها:

١- الوقت:

قال الجنيد^(٤): (الوقت لفظة بين عديمين فيه شركاء متشاكسون) ولهذا المعنى قيل: الفقير لا يهتمه ماضي وقته ومستقبله، بل يهتمه الوقت الذي هو فيه، لأن الاشتغال بالماضي

(١) الآية ١٦٣ من سورة آل عمران.

(٢) من الآية ١١ من سورة المجادلة.

(٣) الآية ١٦٤ من سورة الصافات.

(٤) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج، أصله من نهاوند، ولد بالعراق وصحب خاله السري السقطي والحاتر المحاسبي، يعتبر شيخ الطائفة الصوفية توفى سنة ٢٩٧ هـ .

والآتي اشتغال بمعدوم. و عن هذا قيل: الفقير ابن وقته، وكل وقت خلا عن خدمة الله تعالى فهو باطل، قال ﷺ وآله: «لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ».

٢- السفر:

والمراد سفر القلب في طريق الحقائق، ويطلق السفر أيضاً على الترقى في المقامات وقطع المنازل طلباً للوصول إلى الله تعالى .

٣- المريد:

هو الذي صح له الابتداء، أو حصل في جملة المنقطعين إلى الله تعالى.

٤- المقام:

وهو مقام العبد بين يدي الله تعالى في العبادات، أي الآداب والطاعات التي نازلها العبد، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١) فمقام كل سالك موضع إقامته من الآداب والطاعات، كالنوبة، والإنباء، والورع، والزهد، والتوكل، والتسليم، والتفويض .

وأهل المقامات ثلاثة:

أ- رجل يعمل على الرجاء والخوف مع اتصافه بالحياء، وهذا يسمى: مريداً. وهذا يُعدُّ في وادي التفرقة لأنه عامل لخصوص نفسه، وهو رجاؤه وخوفه.

ب- و رجل مجذوب من وادي التفرقة إلى وادي الجمع، ويقال له: مراد. لأنه عامل لا لشيء من خصوص نفسه، بل لمجرد المحبة وشهود الكمال، فهذا قلبه مع الله دون غيره

ج- ورجل مسلوب بالمعارف عند المقامات والأحوال. وما سوى هؤلاء فهو مدع مفتون أو مخدوع .

(١) الآيتان ٤٠، ٤١ من سورة النازعات .

والمقامات على جهات ثلاث:

أ- أخذ السالك في السفر والسير.

ب- الدخول في القربة.

ج- الحصول على المشاهدة الجاذبة إلى غير التوجه إلى منهج الفناء.

٥- الحال:

وهو معنى يرد على القلب من غير تعهد ولا تكسب من صاحبه، وهي مواهب ربانية، ومنح إلهية، من حكمها الطرب، أو الحزن، أو القبط، أو البسط، أو الشوق، أو القلق، أو الهيبة، أو الابتهاج، والأحوال كالبروق في الظهور والأفول.

الفرق بين المقام والحال:

والفرق بين المقام والحال: أن المقام مكسوب، والحال موهوب. والأحوال لا تنتفي - بخلاف المقامات - فإن بقيت بتوالي أمثالها فهي حديث النفس.

قال الأئمة: والأحوال تحصل عن مقامات: الحزن والقبط يحصلان عن مقام الخوف والبسط يحصل في مقام الرجاء، والطرب يحصل عن المحبة الحاصلة عن مشاهدة الجمال.

٦- الكشف:

وهو عبارة عن بيان ما يتستر عن الفهم، فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأي العين، ومن هذا قوله ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي عَرَضٍ هَذَا الْخَائِطِ»

٧- الذهاب:

وهو بمعنى الغيبة، والمراد بذلك غيبة القلب عن المحسوسات بمشاهدة ما شهده من الوعيد أو الوعد، والجلال أو الجمال، أو غير ذلك. ورؤية القلوب ترجع إلى الكشف .

٨- الشطح:

وهو كلام يترجمه اللسان عن وجد، ظاهره يخالف الشريعة، ويصدر منهم في حال غيبتهم بما يرد عليهم، وحال سكرهم بالحبّة، وحكمهم في ذلك حكم المغمى عليه أو من زال عقله ويحصل ذلك أيضاً لدهاش العقل عند مطالعة عجائب الحقيقة والإشراف على الملكوت الأعظم.

٩- الصولة:

وهي أن يبادر إلى الحق، لا يرى أحد إلا الله تعالى، فإذا شاهد منكراً بادر إلى إنكاره مستهزئاً بفاعله كائن من كان ملكاً أو سوقياً، لا يكثر به، ولا يهابه، ولا يخشاه، إنما يخشى الله تعالى ولا يخشى غيره، وهي تكون لأصحاب المقامات العالية، قال ﷺ وآله: «بك أصول وبك أجول».

١٠- الالتجاء:

وهو توجه القلب إلى الله تعالى بصدق الفاقة إليه.

١١- التجلي:

وهو إشراق النور على قلوب العارفين عند إقبال الحق عليهم.

١٢- الإصطلام:

وهو نعت وكه يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه.

١٣- الجلال:

وهو نعت القهر من الحضرة الإلهية.

١٤- الطوالع:

وهي أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين بشعاعها، فيطمس سلطان نورها سائر الأنوار، كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب.

١٥- المشاهدة:

وهي ثلاثة:

أ- مشاهدة بالحق: وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد.

ب- ومشاهدة للحق: وهي رؤية الحق بالأشياء.

ج- ومشاهدة الحق: وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب.

١٦- الحرية:

وهي إقامة حقوق العبودية، فيكون عبدا لله، ومن غيره حرا.

الفصل الخامس

من معارف أهل الطريق

أولاً - العقل :

هو نور القلب، وبنور القلب ينظر العبد إلى الآخرة في ظلم الهوى، فيبقى العبد حيراناً، فعند ذلك تنشرح الجوارح وتلتذ، وتبادر إلى مجاوزة المهلكات. فإذا أشرق العقل في القلب أضاء نوره وَقَوِيَ ضَوْؤُهُ، وطفئت عند ذلك نيران الهوى وزالت ظلمته، ودل العلم حينئذ على الهوى والتمييز، وانفتحت له سداد السلوك، فعمل عند ذلك لطريق الآخرة .

ومن شأن العقل يُؤثِّرَ الأفضل، ويختار ما هو الأوَّلَى والأصلح في العواقب، والهوى على الضد من ذلك، فإنه يُؤثِّرُ ما يدفع ضرر مكابدة الشهوة في الحال، ويقدم العاجل على الآجل، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾﴾ وقال ﷺ وآله: « حُفَّتِ الْحَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »^(٢) فالعقل يرى صَاحِبَهُ ماله وما عليه. والهوى لا يُريهِ إلا ما له دون ما عليه، ويعميه عن رؤية العواقب. قال ﷺ وآله: « حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ »^(٣).

منازعة الهوى للعقل:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴿١﴾﴾ وقال تعالى في مدح من

(١) الآيتان ٢٠، ٢١ من سورة القيامة .

(٢) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل والترمذي عن أنس، ورواه أيضاً مسلم عن أبي هريرة، وهو متفق عليه، ولكن البخاري ذكره بلفظ: " حجت " بدل " حفت " انظر الكثر الثمين ص ٢٥٦ رقم ١٦١٩ وأيضاً " كشف الخفا " ج ١ ص ٤٣٤ رقم ١١٥٢ .

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب، وابن حنبل وأبو داود عن أبي الدرداء. وهو حديث حسن ورواه الخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي برزة .

(٤) من الآية ٢٦ من سورة ص .

عصى هواه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١) واعلم أن العقل والهوى كملكين أحدهما يريد الفساد وهو الهوى، والآخر يريد الخير والإصلاح وهو العقل، وجنود العقل هي قواه من الفكر والخيال والحواس. والأعضاء والجوارح رعيته. وجنود الهوى هي الشهوات والغضب.

ثانياً - النفس:

وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: نَفْسٌ أَمَّارَةٌ، وَنَفْسٌ لَّوَّامَةٌ، وَنَفْسٌ مُّطْمَئِنَّةٌ.

أ- النفس الأمَّارة:

هي التي تطيع الشيطان، وتستولي عليها القوى الحيوانية، وتتبع شهواتها وهواها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: «أَعْدَىٰ عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»^(٣) وسئل ﷺ وآله: «أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جِهَادُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ»^(٤) ومجاهدة النفس أمر بمعروف، ونهي عن منكر. وتختلف أسماؤها باختلاف أحوالها العارضة عليها .

ب- النفس المطمئنة:

فإن اتجهت إلى جهة الصواب، ونزلت عليها السكينة الإلهية تواترت عليها نفحات الجود والخير من قبل الله، واطمأنت إلى معرفة الله تعالى وطاعته، فهي النفس المطمئنة، قال

(١) من الآية ١٧٦ من سورة الأعراف .

(٢) الآيتان ٤٠، ٤١ من سورة النازعات .

(٣) من الآية ٥٣ من سورة يوسف .

(٤) هذا الحديث أخرجه البيهقي من كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وقد أورده الغزالي في الإحياء ج ٣

ص ٤ .

(٥) أخرج الترمذي: (المجاهد من جاهد نفسه) وقال حديث صحيح، وأخرجه أيضاً ابن ماجه من حديث

فضالة بن عبيد. الإحياء ج ٣ ص ٦٦ .

تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (١).

ج- النفس اللوامة:

وإن كانت مع قواها وجنودها في تشاجر ومحاربة وقتال، وكان الحرب بينهما سجالات، فتارة لها اليد على القوي، وتارة للقوي اليد عليها، فلا يكون حالها مستقيماً، فتارة تترع إلى جناب الحق فتقبل أوامر الله تعالى ونواهيه، وتخاف سطوته، وتستحي من جوده وإحسانه وجلاله وعظمته، وتثبت على الطاعات. وتارة تستولي عليها القوى، فتتهبط إلى حضيض منازل البهائم، وهذه هي النفس اللوامة (٢) وهي حالة كثير من الخلق .

فيجب على الإنسان أن يهتم بأمر النفس، فيتوقى آفاتها، ويسعى في إصلاحها وتطهيرها وتهدئتها، ويسعى في دفع مكاييد العدو، ويصرف النفس عن التعلق بالشهوات، والتجنب عن فتنة الدنيا. فإذا قهر العبد نفسه، وحفظ جوارحه عما منع الله تعالى، وداوم على ذلك، صار له ذلك ملكة، وسهل عليه حينئذ رد نفسه وردعها إذا جمحت إلى الانحراف عن طريق الصواب .

ثالثاً: الروح:

الروح تُطَلَّقُ، ويراد بها الروح الإنساني المتحمل لأمانة الله تعالى، المتحلّى بالمعرفة والإيمان، المركوز فيه العلم بالفطرة، وهو الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (٣).

رابعاً: الخواطر:

(١) الآيات ٢٧ حتى ٣٠ من سورة الفجر .

(٢) يقول الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾

(٣) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

الخواطر هي عبارة عماَّ يعرض في القلب من الأذكار والأفكار، وهي المحركات للإرادة، فإن النية والعزم والإرادة، إنما تكون بعد خطور المَنَوِيِّ بالبال، فمبدأ الأفعال: الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والنية تحرك الأعضاء. والخواطر التي تحرك الرغبة - إن كانت تدعو إلى الخير (وهو ما ينفع في الآخرة) - فإنها تسمى: إلهاماً، وإن كانت تدعو إلى الشر - وهو ما يضره في الآخرة - فإنها تسمى: وسواساً. وخاطر الخير سببه المَلَكُ، وخاطر الشر سببه الشيطان. واللفظ الذي يتهيأ به للقلب قبول إلهام الملك يسمى: توفيقاً، والذي يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى: إغواء وخذلاناً.

والخواطر تحدث في قلب الإنسان تبعته على الأفعال والترك، وتدعوه إليها، وهي آثار تحصل في القلب بدعوة المَلَكُ، ودعوة النفس الأمارة، ودعوة الشيطان، وهناك خاطر ليس معلوماً بشيء، بل خلقه الله تعالى ابتداء في قلب العبد، إما بخير إكراماً، وإما بشر امتحاناً. قال بعضهم: أول ما يعرض في القلب السائح ثم الخاطر، وإلى هذا أشار النبي ﷺ وآله ﷺ بقوله: « إِنْ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةٌ بِابْنِ آدَمَ كَمَا لِلْمَلَكِ لَمَّةٌ، فَأَمَّا لَمَةُ الْمَلَكِ فَوَعْدٌ بِالْخَيْرِ، وَأَمَّا لَمَةُ الشَّيْطَانِ فإِبْعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ » ^(١) ثم قرأ قوله تعالى:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

ثم بعد الخاطر، الإرادة، والإرادة هي المهمة، وهي علة العزم، والسائح والخاطر يُعَبِّرُ عنهما (بالهاجس) فحق على الإنسان إذا خطر له خاطر أن يستتره عاجلاً، فإن وجده خيراً ربَّاه حتى يجعله فعلاً، وإن وجده شراً بادر إلى قلعه وقمعه قبل أن يصير إرادة بالاستعاذة بالله

(١) هذا جزء حديث أورده السيوطي، وتمامه هكذا: « إِنْ لِلشَّيْطَانِ لَمَةُ بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَةُ، فَأَمَّا لَمَةُ الشَّيْطَانِ فإِبْعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَةُ الْمَلِكِ فإِبْعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَى فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ » وهذا الحديث أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود وهو حديث صحيح. الجامع الصغير ج ١ ص ٣٢٢ رقم ٢٣٨٤ .
(٢) الآية ٢٦٨ من سورة البقرة .

تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١) وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢).

(١) الآية ٣٦ من سورة فصلت .

(٢) الآية ٢٠١ من سورة الأعراف .

الباب الثالث

في الطريقة المستقيمة وحصون الأمن والمرشد والمسترشد

الفصل الأول

الطريقة المستقيمة

جلى أن لفظة طريق، وصراط، وسبيل، ومنهج، وشارع، وشرعية، وشرعة، ومحجة، وسنة، مترادفة للدلول واحد، هو ما يوصل إلى المقصود بسهولة وأمن من قريب، وقد تقدم حكمة اصطلاح الجماعة في اختيار لفظة طريق في رسالة: (أساس الطريق).

من هذا يظهر لنا أن الطريق هو اعتقاد حق، واقتداء برسول الله ﷺ وآله في أعماله وأحواله وأخلاقه ومعاملاته، في صغير الأمر وعظيمه. ومن وهبه الله تلك المواهب فهو من أهل هذا الطريق، السالكين على التحقيق .

من هم أهل الطريق؟ :

وعلى هذا فأهل الطريق هم الذين اجتباهم الله فورثهم علوم أهل اليقين، وفقَّههم في الدين، ووفَّقههم للعمل بالعزائم، وزهَّدهم في الدنيا، ورغَّبهم في الآخرة، فهم أئمة الهدى، وقادة المتقين، العلماء بالله وبأيامه وبأحكامه. نورهم الذي يهتدون به في سبل الوصول، والعمل بإخلاص وصدق - المطابق لحقيقة العلم - سلَّمهم الذي يصعدون عليه، فأرَّين من كل شاغل يشغل سريرتهم، أو يلفتهم عن ما هم موجَّهون وجوههم نحوه، طهرت قلوبهم عن أن تطمئن بغير الله، وتزكت نفوسهم فلا تسكن إلى غير الله، هم أنجم الهدى، ومصابيح الدجى، حل الله العقدة عن ألسنتهم فَنطقوا بالحكمة، وجعل لهم نورا في قلوبهم ففقهوا أسرار كتابه بسر الفطنة. هم حجة الله القائمة على حقيقة توحيده، ودلائله الساطعة على حقيقة كمال عنايته

وإيجاده وإمداده، أعمالهم هدى للقلوب، وعباراتهم نور للنفوس، وإشاراتهم ظهور للأرواح، بخلوا بنفس أن يصرفوه في غير نوال الفضل والرضوان، وبدلوا النفائس خشية أن تشغلهم عن حقيقة الإحسان. القرآن إمامهم، والسنة حصونهم والخشية قوامهم، والرغبة مزاجهم. هذه صفاتهم، ولكن أين هم ؟ .

لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم في التجارة والبيع، كان الرجل منهم يقوم فيدعو إلى الله دعوة عامة، فيصغي إليه النصراني واليهودي والمجوسي، فلا يقوم من مجلسه إلا وقد مال إليه أهل الملل أو أسلموا على يده.

لزوم البحث عن الرجل الحي:

من هذا يظهر أنه يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى - لتحصل له النجاة والفوز والسعادة والوصول - أن يبدأ أولاً بالبحث عن الرجل الحي، العالم بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله ﷺ وآله، والعالم بتزكية النفوس وتخليصها من أمراضها ورعوناتها، والعالم بالأخلاق الحميدة المتجمل بها، الممنوح الحال الذي به يجرد النفوس من أحوال التوحيد، العالم بعلوم اليقين ومشارب الأبرار ومشاهد المقربين، العالم بحقيقة التوحيد الخالص من الشرك الخفي والأخفى .

فإذا وجد هذا الرجل، فهو إمام أهل عصره جميعهم، والواجب عليهم جميعاً أن يتركوا الحظ والهوى، والعلو في الأرض، والتعصب للأبناء والأجداد، إقبالا على الله تعالى، وتحقيرا لكل لذة يعقبها العذاب، وكل سيادة تنتج الشقاء، وكل شهرة تؤدي إلى حرمان الرحمة والغفران، وكل وظيفة تبعد عن دار الكرامة والإحسان الأبدي. حتى لو أن العاقل رأى أن عضوا من أعضائه يمنعه من الاقتداء بالرجل الذي جعل الله له النور ومنحه الحكمة لَقَطَعَ العضو وفرّاً إلى المرشد، خشيةً من الشقاء الأبدي.

الطريق المستقيم واحد وإن تعددت أنواع السير عليه:

يا إخواني : أنا أخوكم المسلم، وكلنا والحمد لله نشعر من أنفسنا ونحس من قلوبنا بحبة الله تعالى ومحبة رسوله، وبكمال التصديق لله ورسوله، وبالرغبة الحقيقية في نوال السعادة

الأبدية والفوز بالنعيم المقيم، وَمَا مِنَّا وَاحِدٌ إِلَّا وَيَسْأَلُ اللَّهُ فِي أَوْقَاتِهِ السَّلَامَةَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ والفوز بالجنة، ويعتقد أنه سالك طريق النجاة وسبيل الله يُصَلِّي لذلك، ويحج لذلك، ويصوم لذلك، ويزور ويبدل ويجالس في ذلك، وليس أحد منا يعلم أنه على باطل ويدوم عليه، أو أنه على شرك خفي ويرضى به، أو أن هذا الطريق الذي يمشي فيه يوصله إلى النار ويمشي عليه، كلنا ذلك الرجل .

وإن الطريق المستقيم يا إخواني واحد لا يتعدد وإن تعددت أنواع السير عليه سرعة وبطئاً وتأثياً وإقبالاً. والسالكون عليه وإن تفاوتت همهم وتنوعت عزائمهم، إلا أنهم لا خلاف بينهم، لأنهم كلهم على اعتقاد واحد ورأي واحد ومذهب واحد، سارعوا إلى وجهة واحدة، وتعاونوا على مقصد واحد، وتنافسوا في مراد واحد. إنما الخلاف بينهم أن هذا على الطريق الحق إلا أنه توسط وعمل بالقلب والجسم بحالة وسط، وأخوه معه على الطريق الحق إلا أنه عمل الواجب البدني ووقف عنده وزاد في عمل القلوب على الواجب القلبي، والآخر على الطريق الحق إلا أنه يجاهد نفسه ليتحلى، وأخوه معه إلا أنه ينافس ليتحلى. والكل في حيلة واحدة وهي المدينة التي أشار إليها ﷺ وآله بقوله: « الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »^(١) وتلك الأنواع التي تظهر - لمن لم يذق حلاوة الطريق - أنها مختلفة هي ليست مختلفة، وقد أشار الله سبحانه بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^(٢) وإنما هي أنواع قُرْبَاتٍ وحقائق معان، يصير بها السالك عبداً متجماً بما به يفوز بالوصول إلى المقصود، وبالخطوة بالحبوب، وكلهم مقتدون بالرجل المرشد الحي، حجة ذلك ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وآله من تفاوت المهم، وتباين العزائم، وتفاوتهم في فهم كلام الله وكلام رسوله، وعمل كل واحد منهم بقدر ما فقهه، فكان منهم التارك للأسباب والمتسبب، ومنهم ومنهم مما لا يخفى علي مطلع.

(١) هذا الحديث متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير، وقد أورده الغزالي في الإحياء ج ١ ص ١٧ .

(٢) من الآية ٦٩ من سورة العنكبوت .

علامات أهل الطريق:

وهكذا أهل الطريق، قوم صفت قلوبهم فلم يحقد أحدهم على الآخر، لأن كل واحد منهم عون للآخر على مقصوده، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١) وكل واحد منهم مرآة لأخيه يشهد فيها ما من الله به عليه من المن فيشكر، أو ما ألم بنفسه من العيوب فيتطهر منها، أو من الأمراض فيتداوى منها. فالأخ منهم يحن إلى أخيه أكثر من حنيه إلى الماء البارد في اليوم الصائف. لأن لقاء أخيه: إما مزيد من المواهب، وإما تخلص من الأمراض والقطيعة البعد، لم تقع أبصارهم إلا على محاسن إخوانهم، وفضائل أصحابهم، لاشتغال كل واحد منهم بعيوب نفسه عن عيوب أخيه، إذا أعْضَبَتْهُمْ اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، وسعوا في أن يداووك من فساد أخلاقك ويرغبوك في ربك، فهم يدرأون السيئة بالحسنة، وإن أرضيتهم اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، فلا أذيتك لهم تخرجهم عن مراقبة ربهم، ولا إرضائك لهم يلفتهم عن مواجهة مولاهم سبحانه، اجتمعت قلوبهم وإن تفرقت أبدانهم، وتآلفت أرواحهم لأنهما بألست^(٢) تعارفت، قد بلغ بهم الحب في الله حتى منحهم الله من المواهب ما غبطتهم عليه الملائكة والأنبياء. هذه علاماتهم وتلك صفاتهم .. فأين هم؟ .. ومن هم؟ .

فيا إخواني: ليس الطريق لتكون فرقا مختلفين، وعُصَباً متنافرين، وشيعاً متباغضين، قلوب على الحظ والهوى عقدت، وبالدينا وما فيها اطمأنت، وللشهرة والسمعة طلبت، حتى أصبح المسلمون - وهم كثيرون - قليلاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية^(٣) إذا كان المراد من الطريق النجاة والفوز بالسعادة الأبدية، فهل النجاة أن يبعض المسلم أخاه؟ وأن يذم كل فريق من خالفه؟ وأن يقوم كل قادر أن يتكلم بالذم والتكفير واللعن فيتكلم؟ هل كان رسول الله ﷺ وآله ﷺ يحب المنفرين؟ هل كان ﷺ وآله ﷺ سبباً

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة .

(٢) يشير الإمام عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ من الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٣) من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

لَعَنَّا صَحَابًا^(١) في الأسواق؟ .. تتره ﴿وَاللهُ﴾ وقد مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(٣) وقد نبهنا الله سبحانه بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(٤).

الشفقة بمرضى النفوس:

يا إخواني - علمني الله وإياكم الحكمة - ما لكم إذا رأيتم إنسانا مريضا أو حيوانا مريضا أشفقتم عليه وسعيتم في معالجته وزوال آلامه؟ ويكون منكم المتأسف والحزين والباكي لهذا المنظر. فلو كنتم إخواناً حقيقه، ورأيتم أخا من إخوانكم حصل له مرض في نفسه - فأخطأ أو سها أو قماون أو خالف - من الأمراض التي تحصل في النفوس، لِمَ لا تشفقون عليه كشفقتكم على المريض بجسمه؟ ولِمَ لا تجتهدون في معالجته بالتي هي أحسن حتى تخلصوه من هذا المرض الذي هو أشد وأسوأ من مرض الأجسام؟ لأن هذا المرض يخلد صاحبه في النار، ولكن مرض الأجسام أخف ضررا.

الأخ المؤمن تكون شففته على الأخ عند المخالفة والتهاون والخطيئة أكمل، ورحمته أتم، وعاطفته أقرب، وقد يبذل ما في وسعه من الحيلة والإحسان واللفظ وتحمل الشدائد من الأخ حتى يخلصه مما ألم به.

أما من يدّعي أنه سالك طريق الله على زعمه، ويقع نظره على قبيح من قبائح إخوانه فينشرها لم يكن أخا، لأنه إنما يريد بذلك إسقاط شهرته ليشتهر، أو ضياع جاهه ليكون له الجاه، أو محو منزلته لينال المتزلة، أو صرف وجوه الناس عنه ليقبلوا عليه. وهذا لأن يكون قاطع طريق عندي أولى من أن يكون بعيدا عن الطريق وأهله .

(١) الصخب: هو علو الصوت واختلاطه، يقال: تصاحب القوم إذا تصاحبوا وتضاربوا .

(٢) الآية ٤ من سورة القلم .

(٣) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٤) من الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

وجوب السعي لتحقيق ما به القيام بالواجبات الشرعية:

كل مسلم مطالب شرعا بواجبات شرعية من اعتقاد به النجاة إذا كان مطابقا لما جاء به الكتاب والسنة، وعبادات ومعاملات وأخلاق، وبتركية نفسه وطهارتها كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(١) وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢) وبالفكر في آيات الله وآلائه. وكل تلك الواجبات لابد وأن تُتلقَى من عالمٍ حَيٍّ تَقِيٍّ، عامل من عمال الله تعالى، متحقق بوراثه العلوم المحمدية، يطمئن القلب به أو مِمَّنْ تلقى منه. فإذا لم يسع كل مسلم ليتحصل به على ما به القيام بتلك الواجبات فهو مقصر، وربما اُتُلبَ بدعيٍّ مغرور يث فيه سم الفساد بالأخلاق والاعتقاد والأعمال، فيعادي إخوانه المسلمين، ويتهاون بما أوجبه الله عليه من العلم والعمل والسعي وراء النفع العام لجميع إخوانه تقربا إلى الله تعالى واقتداء برسوله ﷺ وآله. المسلم والحمد لله يترك أباه إذا بلغ الحلم، ويسعى في أن يتبع العالم ويعتقد أن أباه جاهل، ويكره أن يكون مثله وأن يقتدي به، هذا هو المسلم حقا .

تَلْقَى الأسرار والأنوار عن الحيِّ الممنوح :

بينما أنك ترى بعض الناس يقتدون برجل جاهل يدعوهم إلى عالم ميت ويتعصبون له، فإذا حضر العالم الرباني بينهم نفروا منه، ورمَوْهُ بما يوحيه إليهم هذا الجاهل وتعصبوا عليه، وحرّموا تلقي أسرار القرآن وأسرار السنة، وما به تركية أنفسهم وتمكينهم في التوحيد ونواهم السعادة الباقية. فاعجب يا أخي من إنسان لا يتعصب لوالده الذي رباه وتركه. ويتبنّى للعالم ولا يخل من ذلك، وربما أنكر على والده وأمره ونهاه ويفتخر بذلك. وانظر إلى من يتعصبون لجاهل ليس له عليهم أبوة ولا فضل تعليم، ويتركون العالم الذي به سعادة الدنيا والآخرة .

فيا أهل الطريق: أنتم الذين منحكم الله منة التسليم، ووهب لكم الرغبة فيما عنده سبحانه، والتلذذ بذكره سبحانه، وصرف الوقت فيما يرضيه. أنتم إخواني وأنا أخوكم، خلّصوا أنفسكم بالسير على الطريق المستقيم الذي سار عليه أئمة الطريق والعلماء الربانيون

(١) الآية ١٤ من سورة الأعلى .

(٢) الآية ٩ من سورة الشمس .

الراسخون في العلم، وهو العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وتهذيب النفس، وتلقين العلوم على يد عالم عارف بالله أو بَدَل عنه. واعلموا أن الناجي حقيقة الذي ينجو الإنسان باتباعه والإقتداء به هو رسول الله فحسب، وأنه لا يخلو أي زمان من الأزمنة من عارف بالله وبأيام الله وبأحكام الله، تجتمع تلك الصفات في فرد واحد، أو يقوم بها جماعة من المسلمين، كل على قدر ما وهبه الله. فعلينا جميعاً أن نتعلم كتاب الله تعالى لنعمل به، ونتعلم سنة رسول الله ﷺ وآله ﷺ لتتحصن بها، ونتلقى تلك الأسرار والأنوار عن الحي الممنوح، ونرفض ما عدا ذلك من التشيع والتفرقة، والانتساب إلى من ربما كان انتسابنا له هلاكاً لنا. ونحن والحمد لله تعالى قد سمنا الله المسلمين، ورضى لنا أخوة الإيمان فقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٣)

والشكر عمل وهو قيام كل عضو بما خلقه الله له، فقيام القلب بما خلق له من استحضار عظمة الله تعالى وخشوع من جنبه العلى، ورغبة فيه ورهبة منه، وخوف منه ورجاء لفضله ورضوانه، ومراقبة له سبحانه، وحب فيه، وغير ذلك من أعمال القلوب، وهي شكر القلب. ولكل عضو شكر، وقد بسطنا ذلك في كتاب: «أصول الوصول» عند التكلم عن مقامات اليقين، وفي كتاب «شراب الأرواح» .

البحث عن الرفيق العالم بالطريق:

إخواني - طَهَّرَ اللهُ قلوبنا من وسوسة الشيطان - اعلموا أن كل مسافر إلى جهة لا يخرج من بيته إلا بعد إعداد الزاد، والتحقيق من استقامة الطريق، وأنه أقرب الطرق الموصلة لمقصوده، وطمأنينة قلبه بأنه آمن، ولا يكمل اطمئنانه إلا برفيق عالم بالطريق، يسلم له قياد نفسه، يترله متى شاء ويسير به متى شاء، يطيعه في كل أمره، ويعتقد أنه لو خالفه هلك أو

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج .

(٢) من الآية ١٠ من سورة الحجرات .

(٣) من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

ضاع ماله. ولكنه لا يختار الدليل إلا إذا تحقق أنه عالم بالطريق وبأماكن الخوف فيه وأماكن الأمن وجهات المياه، ويعلم أنه له معرفة بالقاطنين بتلك الجهات، كل ذلك يعده المرید للسفر خوفاً على حياته الفانية. ولكننا نرى المسلم المسافر إلى الدار الآخرة، المتحقق أنه سيرجع إلى ربه، لا يُعِدُّ الزاد لهذا الطريق، ولا يجتهد في البحث عن الرفيق، ولا يخطر على قلبه أنه مسافر: إمَّا إلى جنة وإمَّا إلى نار، فيهمل أمر الرفيق الذي يذكره بأيام الله، ويبين له سُبُلَ الله، ويسلك به على أقرب الطرق المستقيمة، ويزكي نفسه ويطهرها من أدرانها، ويأهماله في هذا الأمر يقع في هوة الغفلة فينسى اليوم الآخر، فينساه الله تعالى من أن يمنحه العناية والتوفيق، والنور والهداية، والعلم والإيمان، والرحمة والشفقة والإنابة، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُنَسِّأُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(١) فيكون بإهماله في طلب الرفيق المرشد الشفيق، سارَّ على الطريق المعوج المهلك البعيد عن الوصول، وهو طريق الحظ والهوى والغرور والأمل ويحسب أنه يحسن عملاً.

السنة العملية أن يكون لكل سالك رفيق:

كيف يتهاون في اتخاذ الرفيق؟ .. وقد جعل رسول الله ﷺ وآله ﷺ لكل رجل من الصحابة أخاً يأنس به في خلوته، ويستعين به إذا ذكر، ويتنبه به إذا نسي، ويعلمه ما تلقاه عن رسول الله ﷺ وآله ﷺ إذا غاب، مع أن شمس ذاته الحمديدية كانت مشرقة. فإذا كانت السنة العملية أن يكون لكل سالك رفيق يزداد بعلمه علماً، وبمكارم أخلاقه كرمًا، وذلك بأمر رسول الله ﷺ وآله ﷺ وبعمله، فكيف بنا ونحن في هذا الزمان المظلم نتساهل بالرفيق ونتهاون بالدليل؟.

حال الغافلين عن الآخرة:

إنما يتساهل بالرفيق من لم يؤمن بيوم الحساب، ويتهاون بالدليل من جهل المبدأ والمآل، أبعدهم الله عن الطريقة المستقيمة لانحراف قلوبهم عن الحق، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٢) طمس الله بصيرتهم عن مشاهدة جمال الآخرة ونعيمها لما فرحوا

(١) من الآية ٣٤ من سورة الجاثية .

(٢) من الآية ٥ من سورة الصف .

بالحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾^(١) صُمَّتْ آذَانُهُمْ عَنْ سَمَاعِ الذِّكْرِ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يمنحهم العناية في «أَلَسْتُ» فصمت عندها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾^(٢) هذا حال الغافلين عن الآخرة، والجاهلين بجمالها ونعيمها، وبما فيها من أليم العذاب وشديد العقاب، فهم كما قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣) ومن جهل نفسه ونسيها كان الشرك أقرب إليه من الإيمان، وكيف يكون من جهل نفسه مؤمنا كامل الإيمان وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٤) ؟ .

حال من منحوا التسليم والانقياد :

أما حال من منحوا التسليم والانقياد للطريق وأهله، فإن التسليم بلغ بعضهم إلى درجة حتى أخرجهم عن الحالة الوسط التي هي السعادة والفوز والصلاح. فإن بعضهم قد يسلم لأهل الجهل المدعين تسليما يجعلهم يكرهون الاستقامة، وينفرون من العارفين بالله تعالى العالمين بأيامه وأحكامه، ويظنون في أنفسهم أنهم خير من غيرهم، وذلك ظن الشيطان بنفسه.

وبعضهم يسلم لأهل الجذب الذين أفنأهم الحب عن سوى المحبوب، وبلغت بهم الرياضة والتزكية مبلغا جعلهم روحانيين، حتى صاروا بحيث يعملون أعمالا لا تقبلها العقول كترك الأكل زمنا، وكبغض الدنيا وما فيها، وكتحمل البرد والحر، وكالفرار إلى الصحارى وغير ذلك، فسلموا لهم معتقدين أنهم مرشدون وتركوا أهل العلم بالله والمعرفة، وهؤلاء المنجذبون بكليتهم إلى الجناح العلي ليسوا أئمة للمتقين، ولا هداة للمسلمين، ولكنهم منحوا الحب والوجد والمعرفة لأنفسهم خاصة، وهم أبدال الأنبياء وليسوا أبدا للرسول، وإني ليسرني أن المسلم يعامل هؤلاء معاملة الأطفال الرضع، فيرحمهم ويشفق عليهم إكراما لله ورسوله، ولا يقتدي بهم، فإن إقتدائه بهم يصير به هالكا، لأن لهم مواجيد ومشاهد ملكوتية، ومكاشفات

(١) الآية ٧ من سورة يونس .

(٢) الآية ١٣ من سورة الصافات .

(٣) من الآية ١٩ من سورة الحشر .

(٤) الآية ١٠٦ من سورة يوسف .

عن حضرة العزة والجبروت بما سكروا، وإليها جذبوا، وفيها فنوا، وعن سواها غابوا، فمن اقتدى بهم وقلدهم - مع ما هو فيه من طمس البصيرة، وفساد السريرة، والحجاب عن مشاهد القدس - فقد هلك وأهلك غيره .

وجوب الاقتداء بإمام المتقين :

وإنما إمام المتقين من وصل إلى جناب القدس، ثم ورّثه الله علوم الرسالة والنبوة، فقام داعياً للحق بالحق، دالاً على الحق بالحق، مجدد للسنة، مبيناً لسيرة السلف الصالح. هذا هو الإمام المقتدى به، وإذا أظهره الله في عصر من العصور وجب على كل طالب أن يقتدي به، أو بمن اقتدى به، أو بمن اقتدى بمن اقتدى به، فإن هؤلاء في الجنة ماداموا محافظين على تلك الأسرار، ومن تلقى تلك الأسرار، عمن تلقى عمن تلقى عن الممنوح الذي جعل الله له نورا، الذي مات فأحياه الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١) وكما قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٢) فهو على الصراط المستقيم، ومن صلح له التلقي وأعانه الله على العمل كان ممن أخبر الله عنهم بأنه ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣). وشرط التلقي أن يكون المتلقي عنه تحصّل على العلوم النافعة، وفهم حكم الأحكام، وعرف أمراض النفوس، فقام يرشد عباد الله بالقول والعمل والحال على طبق العلم، والحفاظة على ما علمه من المرشد أو ما علمه ممن تلقى عنه من أبدال المرشد أو نوابه، بذلك يتحقق لمن تلقى العلم والعمل والحال والقول أنه سالك على الطريق المستقيم، ناهج مناهج المؤمنين، مؤهل للفوز والرضوان من رب العالمين.

هذا، وبعض أهل الطريق - إذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق - يسلمون لأحد أولاده أو أقاربه، وهذا أمر حسن لو أن من سلموا له يكون على شيء من

(١) من الآية ٤٠ من سورة النور .

(٢) من الآية ١٢٢ من سورة الأنعام .

(٣) من الآية ٦٩ من سورة النساء .

العلم والعمل والحال، واجتهد في تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية في القول والعمل والحال.

أما إذا سلموا لابن المرشد أو لأحد أقاربه وكان صبيا لم يبلغ الحلم، أو كبيرا على غير استقامة بعيدا عن معرفة الطريق وأهله، فإنهم بذلك يكونون عرضوا من اقتدوا به للهلاك وأهلكوا أنفسهم، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه، ويتكبر على العلم، ويحتقر العلماء، ولا يزيده الإقبال عليه إلا غرورا وبعدا عن الله، وكأنهم بذلك أساءوا إلى مرشدهم، فإنه جملهم بالعلم والعمل والحال، وهم لم يحسنوا إليه في أولاده وأهله، وكان الواجب عليهم أن يجتهدوا في تربية ابن الأستاذ أو من يكون من أهله تربية حقيقية، علما وتحذيرا وعملا، حتى يكون لسان صدق لوالده، ووارثا لعلومه وأحواله.. وأني لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زيبا، ويرضى أن يجعل الطفل الصغير المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم مرشدا عظيما ويظن أنه يحسن صنعا .. !

فيا إخواني: دلنا الله على الخير لنعمل به وأعاننا على عمله، وأعاذنا الله تعالى من أن نعمل الشر ونعتقد أنه خير، فكم رحمة هي عين العذاب، وكم تعظيم هو عين الاحتقار. إن الله سبحانه وتعالى حكم في كتابه العزيز في ميراث الأرض خاصا لمخصوصين، وحكم في ميراث السماء أنه فضله يؤتیه من يشاء، فحكم سبحانه وتعالى في خير الدنيا بما هو واضح، وحكم في ميراث الأنبياء والمرسلين والفضل العظيم بأنه لمن يشاء: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

فيم يتنافس أهل الطريق ؟ :

إخواني : - حفظني الله وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا - اعلّموا أن المزاحمة والمنافسة إنما تكون في الفرار من الدنيا إلى الآخرة، وفي التخلص عن الرذائل النفسانية لتجمل بالفضائل الروحانية، في عمل الخير النافع لجميع الإخوان، وفي السبق في عمل القربات، والمسارعة إلى المنافسة في رفعة الدرجات عند الله لا عند الخلق، وفي احتقار نفسه

(١) من الآية ٢١ من سورة الحديد .

ليعظمه الله، وفي الرضا بالفقر ليغنيه الله، وفي التواضع لعباد الله ليرفعه الله، وفي بغض الشهرة والسمعة والرياسة خوفا من القطيعة عن الله. وفي اعتقادي أن الدار الدنيا فانية زائلة: ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(١).

في ذلك تكون المنافسة والمزاحمة، ينافس في ذلك أهل الله الصالحون، وأحباب الله المقربون: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٢) وليست المنافسة والمزاحمة في جمع ما يفنى من المال، ومالا ينفع من الشهرة والسيادة، وما لا يدوم من ملاذ المأكّل والمشرب والمنكح والملبس والسكن. هذه هي منافسة البهائم الرتع، فإن النمل يدخر ويعتني بمسكنه، والخنازير والديكة تعتني بالمنكح، والسباع تفتخر بالجرأة والسيادة. وليس للمتقين ولا للأبرار بل ولا لعامة المؤمنين حرص على ما يزول، ولا رغبة شديدة فيما يفنى، ولكن يطلبونه بقدر الحاجة، خصوصا إذا كان المؤمن ذا أهل وعيال، فإنه يهتم لطلب الرزق على قدر الحاجة واثقا بالله متوكلا على الله، عاملا بأحكام الله، متباعدة عن مخالفة السنة. فإذا كان المؤمن العامي الذي صدق بقلبه وأقر بلسانه وعمل بجوارحه من غير علم ولا كشف، لا ينافس إلا فيما يبقى نعيمه وتدوم بهجته، فكيف بمن يدعي أنه من أهل الطريق؟.

وإنما أهل الطريق من منحوا اليقين بعد الإيمان والحب والشوق والعلم بالآخرة، فكيف يتحملون بتلك المعاني ويتنافسون في الفاني؟ أو يسعى بعضهم في أذية بعض؟ ويقوم بعضهم ينقص البعض؟ ... ليسوا أهل طريق الآخرة، ولكنهم أهل طريق الدنيا، جعلوا طريق الله حباثا وشباكا، فيتوجه الرجل منهم ويذل المال ويأخذ ورقة تشهد له بأنه خليفة أو أنه مرشد، وهو يجهل الضروري من الدين، فيقوم ليصرف الوجه إليه، وينفر الخلق بعضهم من بعض، حتى أصبح اسم الطريق بعد أن كان أهله الأئمة العلماء، والقادة الحكماء، كالإمام سيدنا أبي بكر الصديق، والخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله، وسلمان وأبي ذر وسعيد جندب وعبد الله بن عمر وأبي هريرة، وجميع أهل الصفة بل وجميع الصحابة. وقام بعدهم التابعون

(١) من الآية ٤٣ من سورة غافر .

(٢) من الآية ٢٦ من سورة المطففين .

كالحسن البصري وابن سيرين وابن جبير، والأئمة من أهل البيت كسيدنا علي زين العابدين والإمام زيد بن علي رضي الله عنهم جميعاً، ثم فضيل بن عياض وحبیب البلخي وابن أدهم ورابعة وابن جريج والثوري والزهرى، والأئمة من أهل البيت كالكاظم والباقر رضي الله عنهم جميعاً .

ما كان عليه أهل الطريق :

وهكذا .. كان الرجل من أهل الطريق يمشي فيجتمع الناس عليه، فيردهم الناس عنه بالسياط فلا يرتدون، ويمر بعده أمير المؤمنين في كل عصر، والناس يضربون الناس بالسياط ليجمعوا عليه فلا يجتمعون. كان أمير المؤمنين يزور أهل الطريق في بيوتهم فيسمع منهم القوارس من الوعظ حتى يبكي، وفي زيارة أمير المؤمنين هارون لفضيل، وما واجه به ابن جريج أبا جعفر المنصور، وما كتبه بعض الصحابة لأمر المؤمنين عمر، كل هذا دليل على أن أهل الطريق كانوا أئمة للأمراء وسادة للخلفاء، لأنهم خافوا الله فأخاف منهم كل شيء، وأقبلوا على الله فأقبل بقلوب الخلق عليهم، وجملوا سرائرهم لله فجمل الله علانيتهم لعباده، أنت تسمع من أسرارهم وكراماتهم ما دونه أهل التاريخ عنهم، خصوصاً من ترجوا لأهل الطريق واعتنوا بآثارهم. كانوا إذا جلسوا في مجلس لاحت أنوار الحكمة، وظهرت أسرار المعرفة، وامتألت القلوب إيماناً وذكر الله لرؤيتهم، وكره الناس الدنيا بما فيها، ورغبوا في الآخرة وما فيها، وكم أسلم يهودي ونصراني ومجوسي عند سماع عباراتهم، وعلم أحوالهم، وبيان أخبارهم، هكذا كان الطريق وكان أهل الطريق، حتى بلغ من التعظيم في القلوب أن الناس كانوا إذا أقسموا يقولون: « وحياة أهل الطريق »

الطريق وأهله الآن :

أما الآن - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - أصبح اسم الطريق مردولاً، وأهل الطريق محقرين، وأقوالهم مردودة، وأحوالهم منكرة، وأعمالهم مقبحة عند أهل الغرة وأهل الدنيا، لم ذلك؟ وكيف كان ذلك؟ .. لم يكن ذلك إلا لأن رجالاً اتخذوا الطريق مغنماً ومكسباً. فزينوا ظاهرهم للناس لخراب سرائرهم، وباعوا الدين بالدنيا، وعملوا أعمال الآخرة للدنيا، فذهبت أنوار الطريق ومحيت أسرارهم وانطمست معالمه، وجعلت أحوال أهله،

وحجبت الإمدادات السماوية، والفيوضات الربانية التي كانت تفاض على القلوب العامرة باليقين، والأبدان العاملة بسنة سيد المرسلين، والعقول الجائلة في الفكر في آيات السموات والأرضين، والأنفس السابحة في ملكوت السموات والأرض، والأرواح المواجهة لقدس الجبروت، أما الآن فأصبحت أجسامهم بلا أرواح . كل ذلك للاشتغال بالدنيا عن الآخرة، وترك البحث عن الرجل المرشد العامل الدال على الله بقوله وعمله وحاله. كثرت الحفاظ والمرشدون، وقل الراغبون والطالبون. يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، ويجلسون مجالس الأنبياء والقلوب قلوب شياطين .

مآل من نسي يوم الحساب:

فيا إخواني: لا تشغلنكم الدنيا عن الآخرة، ولا الحظ الفاني عن النعيم الأبدي، ولا الخلق عن الحق، واعلموا أن الإنسان لو عاش ألف سنة في أوفر الملاذ وأكبر الخطوظ ثم انتقل إلى النار كان كأنه لم ينعم. ولو أنه عاش ألف سنة في فقر وعناء وذل وهوان. ثم انتقل منها إلى الجنة كأنه لم يتألم. و شقاء عاقبته الجنة: نعيم، ونعيم عاقبته النار: شقاء . هلم إخواني إلى العمل بالسنة في أنفسنا، وخيركم من أحياء سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في نفسه ليقترني به أولاده وأهله وجيرانه، فيكون إماما للمتقين .

هذا وإن تلك اللذة العاجلة والخطوظ الفانية وإن كانت مشهودة محسوسة تميل إليها النفس وترغب فيها وتحرص عليها، إلا أنك لو خطر على قلبك أنك سوف تموت، وأنك ستحاسب في القبر، وأن القبر سيكون إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وأنك بعد ذلك تصير إلى المحشر، إلى موقف ترمى فيه جهنم بشرر كالقصر كأنه جهالات صفر، فلو تصورت هذا الموقف لعلمت قدر الدنيا وفرت منها، ثم بعد ذلك تساق إلى الصراط - وهو جسر على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة - ثم إلى الميزان، ثم بعد ذلك تقف بين يدي ربك ويديك صحيفة، وتكشف لك حقائق نعمه سبحانه ومننه عليك، وجميل إحسانه إليك، ولطيف عنايته بك، مع غناه عنك وقدرته عليك، ثم ترى ما قابلت به مولاك من كفران نعمته، ومن الجحود به، ومبارزتك له بمخالفة أمره، والتستر من

الخلق عند عصيانه جهلا منك أنه معك، وظلمك لنفسك باعتقاد أنك تملك وأنك تنفع وتضر، وتخلقك بأخلاق إبليس، وعملك بعمل البهائم، ومخالفتك للمرشد الناصح.

هنا - والله - تقشعر الجلود وتذوب القلوب، وتنسى حظ الدنيا، وتتمنى أن لم تكن شيئا مذكورا، ويقول العبد يا ليتني كنت ترابا، هذا مآل من نسي يوم الحساب.

أما إخواننا المؤمنون الذين عملوا بالسنة فإنهم لا يحجبون عن رهم بل يُشْهِدُهم جماله، ويمنحهم رضوانه، ولديها تحصل البهجة والسرور لمن سبقت لهم الحسنى، فينسبون كل ما تألموا به في الدنيا، من الصبر على شرور الخلق وأذيتهم، والصبر على مر القضاء، فتكون فرحتهم لا تساويها فرحة، وسرورهم لا يساويه سرور. فتأمل يا أخي تلك المواقف، واعتقد أن الدنيا نعيمها حساب وعقاب، والمهانة فيها غفران ورضوان. فإن لم تستطع أن تفر بجسمك ففر إلى ربك بقلبك، ولا تجمع على قلبك وجسمك الاشتغال بالدنيا عن الآخرة، بل اشغل قلبك بربك، واشغل جسمك بقدر ما فرض الله عليك في الدنيا وبين لك، وإياك أن تتبع غير سبيل المؤمنين، فيضل من اتبع غير سبيل المؤمنين ويهلك، والحلال بين والحرام بين، والعالم بطريق الله لا يخفى إلا على قلب أعماه الحظ والهوى وقطعه الأمل والغرور، نعوذ بالله من حال يوجب غضب الله ويقرب من النار ونسأله فضله ورضوانه إنه مجيب الدعاء .

الصراط المستقيم

أنت يا أخي - من الله عليّ وعليك بعلوم اليقين واتباع سبيل المؤمنين - في كل يوم تسأل الله أن يهديك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم أكثر من ثلاثين مرة، كلما صليت في فرض أو نفل فإنك تقول: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١﴾ فلو كنت مخلصا أيها المريد في صلاتك لذلك الله على الذين أنعم الله عليهم، فاتبعتهم واقتديت بهم، ووقفك للمحافظة على حسن الاتباع لهم، وحفظك من السبل والشعوب، سبل الضالين ممن جعلوا لله ولدا، والمغضوب عليهم ممن حرفوا

(١) الآيتان ٦، ٧ من سورة الفاتحة .

كلام الله عن مواضعه. فالصراط المستقيم يا أخي أمران كما قررنا في (معارج المقرين) :

الأمر الأول: السير على الطريقة المستقيمة. الأمر الثاني: تزكية النفس وتطهيرها حتى تكون ساجدة في عوالم الملكوت الأعلى، لأنها روح طاهرة زكي m. فإذا منَّ الله عليك بالعالم بكتاب الله وسنة رسول الله، العالم بالنفوس وتركيتها، فقد فزت بحقيقة السعادة، وما بقي عليك إلا أن تسلم له تسليم الطفل الرضيع للوالدين الرحيمين. عليك يا أخي أن تجاهد نفسك، وتقدم حظ هذا المرشد على حظ نفسك، وهواه على هواك، وتترك كل لذة وشهوة إذا أمرك، وترضى بما يؤلم من القول والعمل لتفوز بأن تزكو نفسك وتكون من السالكين على مناهج الصديقين والمقرين .

تزكية النفس :

وأهم شيء في الطريق تزكية النفس، فإنك بتزكية نفسك تكون تشبعت بالعوالم الروحانية، وتخلقت بالأخلاق الملكية، وتحملت بمعاني أهل معية رسول الله ﷺ وآله ﷺ التي ذكرها الله في آخر الفتح، فتكون وأنت في آخر الزمان مع رسول الله حكما، فائزا بفضل أهل المعية، ممنوحا المواهب الإلهية، والعلوم الربانية، بفضل تحققك بنسب المعية. وقد تبلغ بك درجة التزكية إلى أن تكون روحانيا كلك، ربانيا جميعك، فيفضل الله عليك بنور يقذفه في قلبك على لسان ملك الإلهام فتكون من الراسخين في العلم، الذين مدحهم الله في كتابه العزيز وأثنى عليهم، وضرب بهم الأمثال ولهم الأمثال، وبذلك تكون أنفع لعباد الله من الشمس المشرقة، ومن السحب الهاطلة، ومن تصريف الرياح، ذلك لأنك تكون نجاة لأنفسهم وأبدانهم من هاوية البعد والجهل، ويقظة لقلوبهم من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، يرزقهم الله على يدك ولسانك الرزق الذي به السعادة الأبدية والنعيم السرمدى .

السالك لهذا الطريق :

السالك لهذا الطريق عليه أن يتحصن بحصون الأمن، ويتجمل بالجمال الذي يحبه الله تعالى ويحبه رسول الله ﷺ وآله ﷺ .

الفصل الثاني

حصون الأمن

أولاً: معرفة ما لا بد منه للمؤمن :

معرفة ما لا بد منه للمؤمن، من العقيدة الحقة، وتلقى هيئات الأعمال البدنية حتى يطمئن قلبه بأنه عملها كما كان يعملها رسول الله ﷺ وآله، والعلم بالسنن الواجبة على كل عضو، مبتدئاً بالقلب الذي منه يكون تصريف الأعمال وصحة الإخلاص والتوجه للحق سبحانه وتعالى، حتى يتمكن من معرفة تصريف النيات، فلا يعمل عملاً إلا وله فيه نوايا كثيرة ترجع كلها إلى وجه الله تعالى وابتغاء فضله ورضوانه، ولقد كان بعض أهل القلوب يمشي في الأسواق ليشتري حاجته وله في ذلك من مقاصد الخير، وابتغاء وجه ربه فوق الخمسين نية، فيرجع وقد تقرب إلى الله، وتقرب الله إليه بكل ذراع باعاً، لم يكن ذلك بحركات الأجسام ولا حركات اللسان، وإنما ذلك كله بحركات القلوب ومواجهتها، حتى قيل: ذرة من عمل القلوب خير من الجبال من عمل الجوارح. ومن جهل تصريف النيات فقد يعمل العمل المقرب على ظنه، فيبعده عن الله ويقطعه، لأن الله لا ينظر إلى الأبدان ولا إلى الأموال، وإنما محل نظره سبحانه القلوب والسرائر، وهذا باب من العلم خفى على كثير من العلماء، وقد تكلم فيه بعض المشددين حتى كاد المطلع على كلامه أن يئس من الخوف. وقد تساهل بعضهم فلم يلتفت إليه إلا بقدر تعريف الألفاظ التي مدلولها من عمل القلوب كالنية. على أني أعتقد أن مواجيد القلوب مواهب ربانية، بإها الرجل العالم المخلص العاشق المحب.

فعلى المرید الصادق أن يهتم قبل كل شيء بالبحث عن المرشد، ليتلقى عنه العلم من عباراته وأعماله وأحواله وإشاراته، فإن العلم إذا كان من القلوب وصل إلى القلوب، والحال إذا كان عن عين اليقين أنتج اليقين، والعمل إذا كان عن إخلاص انطبع في الخيال، والإشارة إن كانت من خزانة الغيوب استنارت بها القلوب. وسنن الأعضاء الأخرى معلومة، وقد فصلناها في (علوم اليقين) في كتاب: (أصول الوصول)

ثانياً: أن يراقب خواطره وهممه :

أن يراقب خواطره وهممه مراقبة من يعتقد أن أمامه طريقين، طريق موصل، وآخر غير موصل. فإذا بدرت له همة، أو خطر على قلبه خاطر، أو أراد شيئاً ما، فعليه - إن كان على بصيرة - أن يزن الهمة والخطر والإرادة بموازين أهل العزائم، فإن ظهر له أنها حق رجع فوضعها في ميزان آخر وهو: لمن هي؟ ولما هي؟ والميزان الأول: هل هي حق أو باطل؟ .. والميزان الثاني: لمن هي؟ ولما هي؟ .. فإن ظهر له أنها لله ابتغاء فضله ورضاه قام فوضعها في ميزان ثالث وهو: كيف كان يعمل هذا العمل رسول الله؟ .. فإن تحقق من كيفية العمل، أسرع في تنجيز خاطر أو الهمة أو الإرادة، وبعد تنجيزها يشكر الله على نعمتي التوفيق والعناية، ومُنَّتِي العلم والعمل به.

ثالثاً: أن يحاسب نفسه بعد كل يوم وليلة:

يحاسب نفسه بعد كل يوم وليلة، محاسبة من يعلم أن الريح سعادة له، وأن الخسران هلاك له، فإن علم من نفسه أنه على مزيد بحسب موازين العلم والمعرفة، شكر الله وداوم وتوسط، وإن لم يتحقق المزيد بادر للتوبة، وجاهد نفسه، هذا إذا كان مستبصراً. وإن لم يكن مستبصراً فالواجب عليه أن يعرض خواطره وهممه ونواياه وإرادته على المرشد أو أخ له مستبصر، يبين له سبيل الحق فيسلك عليه، وسبيل الباطل فيبعد عنه، والله ولي المتقين .

رابعاً: أن يجعل له في كل يوم جديد درساً :

يجعل له في كل يوم جديد درساً يتذاكر فيه العلم إن كان عالماً خشية نسيانه، ويزيد فيه العلم إن كان محتاجاً إليه خشية من الجهل، وهي من الحصون المتعينة على السالك المخلص، فمن مضى عليه يوم ولم يزد فيه علماً، ولم يشهد فيه آية، ولم تستب له فيه سبل الخير، ولم

تتجل له حقائق غيبية حقية في ذاته وفي الأفاق؛ كان ذلك اليوم عليه لا له. وقد ورد عن رسول الله ﷺ وآله ما معناه: « لا بورك لي في يومٍ لم أزد فيه علماً برّبي »^(١).

خامساً: أن يتحصن من الوقوع في الشبهات :

يتحصن من الوقوع في الشبهات، ومن التوسعة في المباحات تحصننا عاماً، فلا يسترسل في المباح من الكلام والإصغاء والنظر والطعام والشراب والشم واللمس والفرج، بل إن أحسن يحافظ على الواجب، فإن لم يستطع فما به رياضة النفس ونشاطها مما لا بأس به مع إباحته وحله وحسن النية فيه، ومراعاة أن يكون إماماً في عمله لمن يراه من أهله وإخوانه، وهو حصن أهل المشاهدة من الزهاد .

سادساً: أن يقوم بعمارة كل وقت بواجبه :

أن يتحصن بعمارة كل وقت بواجبه، فإنه إذا آخر واجب الوقت إلى وقت آخر فأداه في غير وقته أضاع الوقتين، أضاع وقت الواجب الأول من العمارة وهو وقت انتظار العمل وقبوله من العبد، فهو وإن أداه فأسقط الواجب عليه إلا أنه لم ينل الرضا عنه، وتأديته في غير وقته أضاع الوقت الثاني من أن يعمره بذكر أو فكر مما هو مسنون أو مندوب، والمحافظة على تأدية الواجبات في أوقاتها مرابط في سبيل الله.

سابعاً: أن يتجنب في كل وقت شياطين الجن والإنس:

يتحصن في كل وقت من شياطين الجن والإنس بالتباعد عنهم، وترك الأعمال التي توقع في شبهة لديه، والاحتفاء بالأعمال التي يتقرب بها مما لم يألفوه حتى لا يقع في شغل بالجلد والمعارضة ليدوم صفاء قلبه، ويتباعد عن كل ما يوقع في همة أو شبهة، فإن وقع في شيء من ذلك أوقع الخلق في غيبته. فكان مسبباً له ارتكاب الكبيرة، ومن أعان على قبيح فهو

(١) هذا الحديث أورده السيوطي بلفظ: " إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني من الله تعالى فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم " وقد أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة وأورده الغزالي أيضاً في الإحياء ج ١ ص ٦، انظر الجامع الصغير ج ١ ص ٤٦ رقم ٣٤٣ .

عامله، قال ﴿وَاللَّهُ وَآلَهُ﴾: «مَنْ سَلَكَ مَسَالِكَ التُّهَمِ أَتُهُمْ وَلَا أُجْرَ لَهُ» ^(١) فإن المرید بصفاء قلبه تدوم له لطائف القدس ویصفو خیاله ویقابل الملكوت الأعلى، فإذا فتح على نفسه باباً من أبواب الفتنة والشر، حجت عنه تلك الأسرار، وانمحت تلك الأنوار. والمرید الصادق عنده نفس یشرف فيه على ملکوت ربه أنفـس من الدنیا وما فیها، فكیف یرضی بالقطیعة بعد الوصول؟ وبالبعد بعد القرب؟ وبالحجاب بعد الشهود؟ والنسیان بعد الذکر؟ والغفلة بعد الحضور؟ ... تحقق أنه لا یرضی بذلك مرید مخلص ولا طالب صادق، وهل عاقل یتحقق أن طعاماً ما أو شراباً ما یضر صحته یتناوله؟ .

ثامناً: أن یتمثل صورة الموت وما بعده:

وهو أدق الحصون وأخفها لأنه حصن النجاة، وهو أن تتحصن بأن تمثل لخیالك صورة الموت فالبرزخ فالحشر فالميزان فالصراط فالوقوف بین یدی الملك القهار فمغفرة وفضل ورضوان، أو - والعیاذ بالله - عقاب وخسران وعذاب، فإنك باستجلاء تلك المعانی فی خیالك تحتقر الدنیا وإن أقبلت بمن فیها وما فیها، ولا تأمن جانب ربك ولو منحك (كن)، وتحذر إخوانك ولو ملکوك أنفـسهم وأموالهم خشية أن تغتر بهم فیهلك المغرور ویهلك، وإهمال هذا الحصن سبب القطیعة ومدارج البعد ومهاوي السخط، فتنبأ أيها الأخ حصني الله وإياك بحصون حفظه ووقایته وإخواننا المؤمنین أين كانوا وكيف كانوا .

وهناك حصون أخرى هي حصون الواصلین ومخاوف المحبوسین ومشاهد أهل التمکین وموارد العاشقین، وقد أشرنا إلى شيء منها فی کتاب: (أصول الوصول) و: (شراب الأرواح) و: (معارج المقربین) وقد یتلقاها المرید بعد وصوله من المرشد أو نائبه أو یفقهها من إشارات المرشد وحاله وعمله، والله هو الحفیظ السلام سبحانه هو خیر حافظ وهو أرحم الراحمین .

جمال المقربین جمالان: جمال باطن، وجمال ظاهر.

(١) هذا الحديث رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن عمر وهو من قوله بلفظ "من أقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من أساء الظن به" انظر كشف الخفا .. ج ٢ ص ٣٥١ رقم ٢٥٠١ .

١- الجمال الباطن:

أما الجمال الباطن فهو علم بالنفس، يعرف الإنسان به ربه المعرفة التي تجعل النفس تتصور رسوم معاني الجمال والجلال والكمال الرباني، بقدر قابليتها لاقتراس تلك الأنوار القدسية، واستجلاء تلك الأسرار في السر حتى تكون تلك المعاني مشهودة للنفس شهادة يقين، فيحصل العشق بعد المعرفة، والمعرفة تحصل بعد الوجد، والوجد يحصل بعد الطلب ولا طلب قبل معرفة النفس. فإذا حصل العشق لمعاني الربوبية تحققت النفس بأضداد تلك المعاني التي هي أكمل جمالاً لها والحق سبحانه يطلب تلك المعاني التي تحمل بها من طلب فوجد فعرف فعشق، كطلب العاشق لمعاني الربوبية سر قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١) وهو جمال المقربين، ومشاهد المصطفين، وموارد الصديقين والشهداء، أسرارهم مطوية إلا من فم العارفين بأذن الواهين، وأخبارهم خفية إلا ما تشهده أبصار الأبدان من أحوال وأعمال وأقوال الأفراد، ولا تُباح تلك الأسرار، ولا تُكشف تلك الأنوار، وكيف ينشر بساط الجلوة؟ أو تكشف أسرار الخلوة؟ اللهم إن مواهب اللدنية وغيوب أسرارك الذاتية، سجد دون تمثيلها الخيال، وصعق على قاف رمزها العقل، وسكرت فوق صاد آياتها الأرواح الطاهرة، فهب لنا يا إلهنا من صافي طهورك، وخالص حبك ما به نسلم بتلك المواهب ونصدق بها ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

٢- الجمال الظاهر :

الجمال الظاهر للمقربين بسط يؤلف النافر، وبشاشة تلين قلب الكافر، ورحمة بكل مخلوق تأنس به السباع، وعفو عن أساء يجعله يذوب ندماً ويصفر خجلاً، وإحسان إلى المسيء يجعله صديقاً حميماً، وتواضع لله تهابه به القلوب، وذل لله تعظمه به العيون، إذا أساء إليهم المسيء نسبوا السوء إليهم واعتذروا له، لا يغضبون إلا لله لا لأنفسهم، أخلاقهم أخلاق الروحانيين، وأعمالهم أعمال الربانيين، هم موتى من حيث ما به حياة أهل الدنيا ولكنهم

(١) من الآية ٥٤ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

يمشون في الناس بنور الله، فهم في الناس وليسوا معهم، كالنهر الجاري يقصده من يريد النفع فيرجع عنه بالخير، والشمس المضيئة للسبل، يفيض الله لهم النفع ولا يطلبون من الناس جزاء ولا شكورا، هذا جمالهم الظاهر الذي يمكن أن تبينه العبارة، أو تومئ إليه الإشارة.

ولهم جمال آخر نظوي بساطه خشية على المريد السالك، وأسأل الله تعالى أن يمنحك يا أخي التحمل بتلك الجمالات، وبمن علينا جميعا باستجلاء أنوار الجبروت للسر، وأسرار العزة بالبصيرة، وجمال الملكوت للضمير إنه مجيب الدعاء .

جمال السالكين

١- الجمال الباطن :

تحلية القلب بمراقبة الآيات الدالة على كمال عناية الحق بالإنسان، والتفكر في بديع الصنعة وما أمد الله به الإنسان من الإيجاد، وما أعده له قبل وجوده على الأرض وما سخره له بعد وجوده من كل عوالم السموات والأرض لتتكشف لقلبه بعض نعم الله ومنه وإكرامه وإحسانه، ثم يشعر قلبه أن هذا الجمال وتلك المنن والنعم في هذا الكون جعلت ليستعين بها ويستعملها في وجوه التقرب إلى الله، وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه، لينتقل بها منها إلى الجمال الحقيقي والنعيم الأبدي والسعادة الباقية، فإنه بذلك يشكر المنعم، ويجد في طلب ما رغبه فيه سبحانه وتعالى زهدا فيما يفنى، آخذاً منه بقدر الكفاية، فيكون من الشاكرين الذاكرين .

وبهذا الجمال تتوالى عليه أسرار روحانية تُجلى له غالبا في نومه، ثم تتوالى حتى تكون في يقظته، في حال ذكره أو فكره أو في صلاته، إلا أنها لا تخرج عن مشاهد ملكوتية ومعاني من علوم النفس، وفي هذا الحال يشربون شراهم ممزوجا بالكافور لأفهم من الأبرار^(١).

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٥ من سورة الإنسان: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ .

٢- الجمال الظاهر :

أما جمالهم الظاهر فالمسارعة إلى الأعمال كالصلاة والصيام والحج والذكر، وإطعام الطعام، ومعاونة الإخوان بالمال والجاه، والفرح بالمساعدة، والبهجة بالأعمال الصالحة، والغضب عند المخالفة على من خالف وحب المتبع، وقبول النصيحة، والتباعد عن غير إخوانهم، والنفور من المخالف لهم، والفرح بالخصوصية، لأن من فرح بشيء رغب فيه واجتهد في طلبه وداوم عليه، مع الرحمة بالأقارب والأهل والجيران، وحب الإصلاح والسعي لأهل الصلاح، والميل إلى مجالس العلم وسماع كلام العلماء، وغير ذلك مما هو معلوم من أعمال السالكين الصادقين.

فعلى المريد الصادق أن يجاهد نفسه مجاهدة حقيقية ليتحصن بتلك الحصون^(١)، ويتجمل بتلك الجمالات^(٢)، وبذلك يكون مريداً لله ناهجاً مناهج السنة والكتاب، ومتى تجمل بهذا الجمال ظاهراً وباطناً تحقق بأنه من التابعين بإحسان لرسول الله ﷺ وآله، لأن محافظته على الاقتداء بالعالم العامل بالكتاب والسنة العارف بالله تعالى، العالم بالنفوس وطرق تزكيتها: يكون عاملاً بما كان عليه رسول الله ﷺ وآله وأصحابه، ويمنح مواهب الفرقة الناجية، ويفوز بما من الله به على أهل معية رسول الله ﷺ وآله، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣).

امتحانات السالكين :

قد يغلب على المريد الواحد حالٌ حتى يخرج عن حد الاعتدال، ويجاهر بذلك فيعاقب بتسليط الخلق عليه، وأذيتهم له، حتى يشغلوه عن وارداته فيشتغل بهم فيسلب حاله، والعياذ بالله من السلب بعد العطاء. وقد يبعثه الوجد إلى عمل النوافل وترك الواجبات، لأن الواجبات تجعله وسطاً، فيرى نفسه بعملها غير واحد ما يجده في حال النوافل، فيترك الفرض

(١) وهي الحصون الثمانية التي ذكرت من قبل .

(٢) أي جمالات المقربين، الظاهرة منها والباطنة، وجماليات السالكين .

(٣) من الآية ٦٩ من سورة النساء .

ويسارع إلى النفل لجهله بحصون الأمن وعراقي القرب، فما يلبث إلا وقد خرج عن الاعتدال الشرعي، فإن كان محمولاً مجذوباً مفقود القوة التي بها التكليف، فهو ممن يرحمه الناس، ويحفظه الله من أن يضر غيره، وهو المجذوب بعامل العناية. وإن كان يشعر بالأشياء ويميز بين الفقر والغنى، والعز والذل، فذلك مسكين غلبه هواه، وهو هالك إن لم يكن له مرشد كامل يتداركه الله به، وقد يبلغ الحال بأهل القلوب حتى تحصل لهم عزيمة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودعوة الخلق إلى الحق، فإن كان صاحب هذا الحال منح السكينة بعد الحب، والحكمة بعد العلم، كان النفع به أكمل، وإلا فالضرر به أكثر من النفع، لأنه تكون له صولة لما يلوح له من أنوار غيوب المعاني، فيجأهر بها بدون حكمة ولا موعظة حسنة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١).

هذا وإن أهل القلوب الذين هم أصحاب المرشد ربما أباحوا ببعض أسرار المكنون لأهل الجهالة، فتتج عن ذلك سوء ظن الناس بالمرشد، واتهامهم له، ورميهم إياه. بالكفر وترك من تكلموا، ولم يكن ذلك إلا من جهل الناقلين، كما قال ﴿وَاللهُ﴾: «إِنَّ مِنَ الْعُلَمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللّهِ، فَإِذَا ذَكَرُوهُ أَنْكَرَهُ أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللّهِ»^(٢).

(١) من الآية ١٢٥ من سورة النحل .

(٢) هذا الحديث رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة، وأورده الغزالي في الإحياء، كتاب العلم ج ١ ص ٢٠ .

الفصل الثالث

المرشد والمسترشد

أحوال المرشد واقتداء المسترشد :

ينبغي لك أيها الطالب المسترشد أن تكون على بصيرة في أمرك وسيرك وسلوكك، بأن تعلم حق العلم أن إقتدائك بالمرشد لا يكون إلا بعد أن تقوم بما أوجبه عليه الله ورسوله، سواء نشط المرشد لذلك في وقته، أو شغله واجب من واجبات الوقت مما لو التفت عنه لضاع منه واجب يعاقب عليه .

انظر إلى تأخير رسول الله ﷺ وآله ﷺ صلاة العصر حتى غربت الشمس في غزوة الخندق وقوله ﷺ وآله ﷺ: « حَبَسُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ »،

ولما توجه للصلح بين الصحابة، وانتظره الصحابة في المسجد لصلاة العصر فلم يحضر ﷺ وآله ﷺ، فقدموا أبا بكر رضي الله عنه، ثم حضر صلوات الله وسلامه عليه - وهم في الصلاة - وكيف أخرج ﷺ وآله ﷺ فقالوا: « أين النَّاسُ؟ فقالوا: صلُّوا وانصرفوا » فصلى ﷺ وآله ﷺ العشاء بأهل الصُّفَّة .

فكذلك قد يعرض للمرشد واجب وقته لا يقضي كوارد إلهي يحفظه، أو فهم أو استنباط حكم من كتاب الله يقيده، أو واجب يمنعه عن حضور الجماعة فيؤخر الواجب عن وقته ويعمله ويقضيه. فإياك أيها المريد المخلص الصادق أن تقلده في شيء من ذلك، فإنما أنت مقتد به لتتمكن من اليقين وتزكي نفسك وتحمل أخلاقك، وإنما الواجبات الشرعية أوجبهها الله عليك ورسوله، فإذا قلده في ما يحصل منه من ملاحظة الوقت، تقديم واجب الوقت الذي لا يُقْضَى على حكم الوقت الذي يُقْضَى، عرَّضت نفسك للقطيعة والبعد، لأنك لست بصاحب وقت إنما أنت مجاهد عامل مكلف مطالب، وإنما أهل القلوب هم أصحاب الوقت فحافظ بكل ما في وسعك على أن تبادر في أول الوقت بتأدية الواجب عليك شرعا ولو لم يعمل المرشد،

لأن المرشد ربما كان له رخصة أو عزيمة، أو ينتظر طهارة سره وقلبه بالنور حتى يقف بين يدي ربه طاهرا ظاهرا وباطنا، لأن للقلوب جنابات يجب الغسل منها بماء الندم والتوبة والإخلاص في ذلك، لست مطالباً بما أيها المريد، فقد يكون قلبه مشغولاً بأمر يخشى أن يشغله في تأدية الصلاة أو في تأدية الحج أو في تأدية الصيام، فيبادر إلى عمل ما شغل قلبه ليكون فارغ القلب مما سوى الواجب عليه لله، فيؤديه على الوجه الذي يكون به مقبولا عند الله تعالى، فإذا أنت قد تهم في ذلك حرمت التوفيق لعمل الواجب، وخالفت ربك سبحانه لأنك تركت الواجب بدون عذر شرعي .

أنت أيها الأخ السالك، إنما اتبعت المرشد لأنه متبع لا مبتدع، فإذا خالف السنة والكتاب بترك الأعمال البدنية التي صحت بالتواتر، أو بعمل المحرم شرعا كنت مقتديا بضال مضل، فإن كان المرشد يعمل تلك الأعمال أو يترك تلك الواجبات ليسقط نفسه من أعين الخلق ليصفو وقته ويحسن إقباله على الله فهو سالك لا يقتدى به، وإن عمل ذلك لمقتضى الوقت - كما قدمنا - فلنا أن نسلم له في ذاته، وأن نحمل أعماله على أجمل محاملها، وأن نسارع بتأدية ما أوجبه الله ورسوله علينا، إطاعة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وآله. وإلا فكل كشف أو وجد أو مشاهدة لا تنطبق على السنة والكتاب فهي خدعة من النفس، ووسوسة من الشيطان، وهو الحال الذي يفر منه السالكون، ويتبرأ منه الصادقون.

ولا نشدد عليك يا أخي، إذا كنت في صحبة الرجل العالم العامل، وتحققت أنه في وقت ما يؤخر الواجب إلى آخر وقته أو إلى وسطه، وعلمت أن عملك هذا الواجب مع الرجل أكمل وأتقن وأقرب للإجابة، فتكون في تأخيرك للعمل كأنك صاحب وقت.

المسارعة إلى تنجيز أوامر المرشد:

قد يأمر المرشد بعض المريدين بأوامر يظهر لهم منها أنها ليست من الخير لهم لقصور نظرهم وللحظ الخفي، كما إذا أمر المرشد المريد بالخروج من ماله لأهله الفقراء، أو بأن يزوج ابنته لمن ليس بكفاء لها نسبا ومالا، أو بأن يترك منزلة من منازل الشرف والعلو، أو بأن يترك الحج نافلة ونوافل الصيام والصلاة، أو بأن يترك التوسعة في طلب العلم الظاهر، أو بأن يصالح

أخصامه ويعتذر إليهم وهم البناء عليه، أو بأن يهاجر إلى بلاد أخرى، أو بأن يترك صلاة الجماعة وعمل الأذكار في منزله، أو بأن يترك الاجتماع على إخوانه ويختلي، أو بأن يترك الخلوة ويجتمع على الإخوان، أو بأن يترك الأسباب مرة واحدة توكلًا على مسبب الأسباب، أو بأن يرجع إلى الأسباب بعد تركها، أو بأن يخدم في المساجد أو في الزوايا أو يحمل الماء في المساجد أو في الأسواق، مما به تزكية نفسه وطهارة أخلاقه والحفظ من وساوس الشيطان. فعلى المريد أن يسرع مجاهدًا نفسه إلى تنجيز أوامر المرشد إذا علم أن الأمر منه للوجوب لا للاختيار أو للإباحة، وهذا لا يخفى على المريد الصادق، ويتحقق أن آلامه التي تفنى في تنجيز هذه الأوامر تعقبها السعادة الأبدية والخطوة لنيل الرضوان الأكبر.

بيان في تقليد المرشد:

أنت أيها المريد، إذا كنت تقلد المرشد فيما هو لذة لنفسك وراحة لجسمك ورفعته لك في عيون الخلق، فقد أخذت ما لا ينفعك وتركت ما به سعادتك. هل أنت - أيها المريد المقلد للمرشد - عامل بقلبك كعمله بقلبه؟ .. أو مشاهد ببصيرتك كما هو مشاهد ببصيرته؟ .. أو مقبل بسرك على قدس الجبروت الأعلى كما هو مقبل بسره عليه؟ .. أو ممتلي قلبك من عظمة عظيم، وكبرياء كبير وجلال جليل، كما امتلأ قلبه؟ إن للعارف بالله لحظة مع الله لا تعلم الأرواح قدرها ولا تدرك العقول نعتها، فاصحبه مجاهدًا مسارعًا إلى عمل الخير بقدر استطاعتك، حتى تتجمل بجمال أحواله وتذوق حلاوة علوم اليقين، وتبلغ في قلبك أسرار التمكين، وتشرف على الملكوت الأعلى بلطائف قلبك، وعلى حضرة العزة بعيون بصيرتك، وعلى جلال الجبروت الأكبر بأنوار سرك، وعندها قلده يا أخي ظاهرا وباطنا. وهل يترك الأبرار أعمالهم تقليدًا للمقربين الذين شغلتهم الخطوة برب العالمين عن القيود؟ فحافظ أيها المريد على المجاهدة بالمراقبة، حتى تفوز بأنوار المشاهدة بالمواجهة.

انظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ وآله، مع أن الله تعالى لم يوجب عليهم قيام الليل، وأوجبه على حبيبه ومصطفاه ﷺ وآله، كانوا يصومون حتى يكاد الرجل منهم أن يموت فيأمره رسول الله بترك التشديد، وكانوا يقومون الليل حتى يكاد الرجل منهم لا يدرك الصبح لغلبة النوم، كان الرجل منهم يرى إذا اشتغل بزراعة أو تجارة أو أنس بزوجة أو ولد أنه

نافق، ويتوجه إلى رسول الله فيقول: نافقتُ يا رسول الله، فكان ﷺ وآله ﷺ يأمرهم، ويخبرهم بأن للنفس حقاً، وللأهل حقاً، ولله حقاً، كان الرجل منهم يسرع ليهجم على الجيش، فيأخذ ﷺ وآله ﷺ بعنان جواده ويقول: «مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ» مع أنه صح لديهم أنه ﷺ وآله ﷺ كان لا يزيد على إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة، وكان يصوم في كل شهر ثلاثة أيام، وكان يدخر قوت السنة، وكان يلبس الحلة ثمنها ثلاثون جملاً، وكان يأكل الذراع، وكان ﷺ وآله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً .

ومع ذلك كله، فإن الصحابة مع حرصهم على المحافظة على الاقتداء به ﷺ وآله ﷺ يشددون على أنفسهم قائلين: إن رسول الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان رسول الله ﷺ وآله ﷺ إذا ردهم إلى الوسط يقولون: لسنا مثلك، إن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فيظهر في وجهه كراهية ذلك ويقول ﷺ وآله ﷺ: «وإني أرجو أن أكون أتقاكم لله وأشدكم لله» ^(١) فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ وآله ﷺ .

وإني لأرى لهم عذراً في التشديد على أنفسهم، لأن قلب رسول الله ﷺ وآله ﷺ لا ينাম كقلوبنا، فنحن أولى - يا إخواني - بأن نشدد على أنفسنا ولا نقلد المرشد في الأعمال البدنية التي أوجبها الله علينا إذا أخرها عن وقتها، أو أداها في خلوة منفردا عن الناس، أو قدم واجب الوقت، لأن المرشد الكامل له قلب وألقى السمع وهو شهيد، ونحن - يا إخواني - إنما نجاهد لنبلغ الدرجة التي بها نصل إلى مقامه ونتحلى بكمالاته.

(١) أورده البخاري: قال عليه السلام: « ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله عز وجل وأشدهم له خشية » وأورد الحاكم عن عائشة: « قد علموا أي أتقاهم الله ... » وذكر السخاوي في المقاصد: « أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه » .

عدم الإنكار على أهل أسرار الله تعالى:

بعض أهل الجهالة - ممن حرّموا الخصوصية - ينكرون على الرجال الممنوحين من الله تعالى خصوصيتهم، ولو أنهم سلكوا طريق الرجال مخلصين لله لمنحوا خصوصيتهم، فإن ذلك الفضل هو فضل الله تعالى، ومفتاحه التسليم، وبابه الاقتداء بالعارفين، ومتى فتح الباب فاز المسلم. ولكنهم ابتلاهم الله بالجدل، ورأوا - لسخافة عقولهم وخبث أنفسهم وعماء قلوبهم - أنه من المستحيل أن يكون لله فضل عظيم يختص به من يشاء من عباده، وكيف يرى النور من عميت عيناه؟ أو يسمع الذكر من صمت أذناه؟ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾^(١).

فيا أخي - منحك الله التسليم - أن أسرار الخصوصية وأنوار العناية من علوم النفس ومشاهد الروح، وهل إذا كان الجسد مريضاً يمكنه أن يقوم بعمل من الأعمال البسيطة؟ .. هل تتصور أن رجل ضعيف الجسد مع جماعة ضعفاء الأجسام مثله، في دار لم يخرجوا منها أبداً، لم يشغل الرجل منهم إلا بحمل اللقمة إلى فمه وقذح الماء، جاءهم آخر فأخبرهم أن رجلاً ركب على جواد وطبّق رجليه على أضلاع فقتله، وأن آخر هجم على سبع حتى قبض عليه وشقه نصفين من فمه، وأن آخر حمل حجراً بيديه ثقله عشرة قناطير، هل تقع تلك الأخبار من قلوبهم موقع التصديق؟ .. لا يصدقون لضعف أبدانهم ولأنهم لم يشهدوا هذا المشهد بأنفسهم، فهم يعتقدون أن جميع بني آدم أمثالهم، وإنما يحصل اليقين بأحد أمرين: إما أن يصدقوا المخبر في خبره، ويطلبوا منه أن يبين لهم الطريق التي يسلكونها ليراوا تلك المشاهد الجمالية .. وإما أن يعتقدوا بأنه صادق ويتيقنوا بحصول تلك الحوادث لأن الذي أوجدهم قادر على أن يوجد أقوى منهم وأقدر على عمل تلك الأعمال، وبهذا اليقين لا يحتاجون إلى مشاهدة تلك الحوادث، وهو الإيمان بالغيب وبه الفلاح والسعادة والفوز. وبدون هذين السببين فإنهم يكذبون المخبر، فينتج من تكذيبهم جهلهم بالبدیع الصانع وجهلهم بأنفسهم، ويكونون من المبعدين المحجوبين المحرومين. هذا مثال يعقله العالم، كذلك أهل أسرار الله تعالى لا ينبغي لك - يا أخي - أن تنكر عليهم وتجادلهم وتكذبهم ثم تنال منهم شيئاً، لأن هذا السر ليس محسوساً للجوارح، وليس في الحس مثال له يمكن أن يصوره لك فتتخيله، ولا سبيل إلى

(١) من الآية ١٧ من سورة الكهف .

نوال الفوز به إلا بتصديق المخبر والتسليم له ما دام لم يخرج عن الكتاب والسنة وفهمهما، والاستنباط منهما، والاستئناس بأعمال وأحوال وأقوال الأئمة أهل الفقه في الدين والعلم بالله.

الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء:

من الناس من ينكر الخصوصية لأن الذي مُنحها كان صغيرا في أعينهم، أو كان فقيرا، أو كان من أهله، أو كان من أهل المعاصي والكبائر، أو كان جاهلا، ويجهل هذا المسكين أن هذا الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) وإن هذا الفضل لو أنه لا يعطي إلا للعظماء أو للعلماء أو للأتقياء أو للأمراء لم يكن فضلا بل أجرا. فتنبه أيها الأخ الصالح، واعرف الرجال بقدر المواهب والخصوصيات، ولا تنظر إلى ما كانوا عليه قبل الخصوصية، واعتبر بما تشهده في عالم الكون والفساد، فإنك ترى الرجل في صبيحة اليوم من العامة فلا يأتي المساء إلا وهو ملك أو وزير أو أمير، فتبادر إليه متملقا معظما مبجلا، ناسيا ما كان عليه في هذا الصباح، فهل من يجعل الفقير من العامة ملكا يعجز أن يجعل آخر وليا من أوليائه أو يخصه بفضله؟! !!

كيف الإباحة بالأسرار ؟ :

بعض السالكين تظهر عليهم أنوار تفاض عليهم من أنوار الصحبة للمرشد الممنوح، فلا تقوى قلوبهم على كتم مواحيدهم لضيقها فتظهر للعامة، فيقبل بها عليهم أهل العناية، وينكرها عليهم أهل الغواية فيكون ذلك سببا في وقوعهم في العناد والجدال، حتى قد يبلغ بهم العناد إلى ترك بعض السنن والواجبات عداوة لأهل الجدال، والمجاهرة بذلك عنادا وخصومة. وجعلوا أن السالك أحرص الناس على حاله، وأبخل الناس بأسراره، فإنه إذا علم أن أحدا يعانده أو يعارضه أو يجادله خضع له مداراة، وسلم له مجاراة، واتخذ له شيئا حفظا له وحاله حتى يسلم من شر الجدل معه، ومن الوقوع فيما يغضب الله ورسوله، ولكن الشيطان إذا وجد قدر ثقب الإبرة في قلب وضع يديه فيه ففتقه حتى جعله بابا واسعا ليخرج منه المريد السالك

(١) من الآية ٢٩ من سورة الحديد .

من حصون الأمن، ويخرمه من حسن الاقتداء، ويوقعه في أعمال الشياطين، وأحوال المبدعين، نعوذ بالله من شره .

فيا إخواني: إذا منحكم الله المواهب والأنوار فاحرصوا عليها أكثر من حرصكم على أنفسكم وأموالكم وأهلكم، فإذا غلب عليكم الحال فقلتم قولاً أو عملتم عملاً أو أشرتم بإشارة وأنكر عليكم منكر راكم أو سمعكم، فبادروا بالتوبة أمامه، واعترفوا بالخطأ، وإن لم يركم ولم يسمع منكم فأنكروا هذا الأمر بتاتا ليصفو وقتكم، ويحلو حالكم، ويدوم أنسكم بربكم سبحانه وتعالى.

أهل الطريق هم المتقون:

إن بعض أهل الطريق إذا رأوا أخا من إخوانهم عمل عملاً يخالف الشرع يتساهلون في نصيحته، وربما جادلوا عنه من نصحه من الناس، وأنكروا على الناصح، وهذا تعاون على الباطل، والتفات عن الحق، وربما أوقعهم الجدل في استحسان القبيح، والرضا بالمكروه، فكانوا ممن قال الله فيهم: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(١) ولكننا يا إخواني أرجو الله أن نكون من المتقين الذين استثناهم الله بقوله: ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٢) .

حقيقة الإخوان:

الإخوان حقيقة من كانوا لمرشدهم عوناً على عمل الخير، وعضداً على فعل القربات، واعتقدوا أنه بشر يخطئ ويصيب، فإذا أخطأ امسكوا ونبهوه لوجه الخطأ، فإذا كان على بينة من أمره - لعلمه بحكمة الأحكام وتصاريف الأمور - بين لهم وجه صواب ما ظنوه خطأ، وأثنى عليهم ومدحهم ونشطهم على هذا. وإن كان خطؤه لعجلة منه أو لمة شيطانية قبل منهم ورجع إلى الحق وأثنى عليهم، واعتقد أنهم إخوان حقاً وأعوان له صدقاً. أما الإخوان الذين إن أخطأ مرشدهم أخطأوا معه وإن أساء أساءوا معه فليسوا بإخوان وإنما هم آلات صماء. أو إذا

(١) من الآية ٦٧ من سورة الزخرف .

(٢) من الآيتين ٦٧، ٦٨ من سورة الزخرف .

أساء نصحوه فنفر، أو إذا أخطأ وعظوه فاستكبر ولم يبين لهم وجه الصواب من فهمه وعمله، فليس بمرشد للحق ولكنه مضل مبتدع .

يقظة القلوب:

إخواني - روحي الله وإياكم بريحان المعرفة، وناولني وإياكم راح الاجتناء - كل واحد منا يسعى لينجو من عذاب يوم القيامة، ويفوز بالنجاة من هولها، ويحظى بالنعيم المقيم والروح والريحان، ويسبح في فسيح الجنات. اعلّموا أن الصحة للرجل وبذل الأموال والأنفس وتصريفه في أنفسنا لننال تلك النعمة، ونفوز بالرضوان الأكبر بما ناله منه من المعرفة وعلوم اليقين، وكشف أسرار الآيات، وفهم معاني الصفات، ومشاهدة جمالات الملكوت الأعلى، والسير على الصراط المستقيم والمنهج القويم. فعلى كل واحد منا جماعة المسلمين أن نهتم في البحث عن الرجل الذي ننجو باتباعه، ونسعد بصحبته ونفوز بخدمته، ونتجمل بأخلاقه، ونتحلى بأعماله، ونتحقق بعلومه، ونتمكن بأسراره، فإذا ظفرنا به هانت علينا الدنيا وما فيها ومن فيها، وكنا بصحبته كأننا مع الله ورسوله، هذا الرجل هو متمنى المؤمنين، وبعية المحسنين، ومقصد الموقنين، تشتاق إليه القلوب وتحن إليه النفوس الزكية، وتسأل الله في كل وقت أن تلقاه .

لا يكن حظك الإنكار وهمك الجدل :

أيها الأخ - لا يكن حظك الإنكار وهمك الجدل، فإنهما صفتان تدلان على أن من اتصف بهما من إخوان الشياطين، لا تظن يا أخي أن الخصوصيات والمواهب تخرج الرجل الكامل عن الموازين الشرعية، أو تجعله سالكا في تيه الغفلة والنسيان، أما ما تراه أيها الأخ البار من أحوال بعض من فقدوا التوازن بين النفس والجسد، فذلك يا أخي لا يقتضي الإنكار عليهم، فإن الحريص على الدنيا قد يخرج عن التوسط حتى ييخل على نفسه حرصا على الدنيا، والحريص على الآخرة قد ييخل بها أن يضيع نفسا في الدنيا، وإنما هو شوق دعاه إلى الآخرة،

وعلم ألفته عن الدنيا، فاعذره حتى تذوق ذوقه، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١).

فإذا رأيتهم خرج عن الحدود الشرعية بأن ترك الأسباب، أو ترك النساء، أو لزم الصمت، أو غلب عليه الوجد فجعله لا يشعر بنهار ولا ليل، أو أفرط في أعمال التزكية حتى صار أقرب إلى الروحانيين منه إلى الإنسان، أو غاب عن حسه بمشاهد نفسه الملكية، فلم يشعر بوجوده لاستغراقه في شهوده، فلا تقتد بهم ولا تنكر عليهم، وسل مولاك ذا الفضل العظيم أن يمن عليك من فضله العظيم، واسع حتى تستدل على الباب الذي دخلوا منه، والروض الذي اقتطفوا منه، والنهر الذي اغترفوا منه، والموائد التي مدت لهم، وبذلك قد تنال ما نالوا، وتفوز بما فازوا، والله أسأل أن يمن علينا بالإسلام الحقيقي بجميع معانيه من التسليم والإسلام والمسألة، وأن يعيذنا من المعاصي إنه مجيب الدعاء.

(١) من الآية ٢٦ من سورة المطففين .

الباب الرابع

الآداب

الفصل الأول

آداب الإخوان وتأديبهم

من هم الإخوان الذين أعينهم ؟ :

أريد بالإخوان كل الناطقين معي — (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، المتفقين معي على التصديق بما أنزله الله على سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله، المؤمنين باليوم الآخر وإن تفاوتت مراتبهم من حيث فهم آيات الله، وذوق معانيها، وانبلاج أنوارها، ووضوح الحجج والدلائل بحسب المواهب التي يمن الله بها على كل أخ مؤمن من الفطنة والذكاء والنور والفقه والمعرفة والعناية، والتوفيق لعمل تزكية النفوس والقربات، ومكارم الأخلاق وحسن المعاملات، وعلوم اليقين. فإن هذا التفاوت — وإن أدى إلى اختلاف في مشاهدتهم وأحوالهم وخصوصياتهم بالنسبة لمن يمن الله به عليهم — من مزيد الإيمان. إلا أننا — والحمد لله — جميعاً نمثل أبناء والد واحد ووالدة واحدة، كلنا بار بوالديه، لا نشك ولا نرتاب في صحة نسبنا إليهما، إلا أننا نتفاوت في السن، وتفاوتنا في السن لا يؤدي إلى اختلاف بيننا، بل كل واحد منا — وإن كان رضيعاً — هو أخ للآخر — وإن كان كهلاً — حظه من والديه مع طفوليته كحظ الكهل منهما نسباً وميراثاً وحقوقاً إلا أن الصبي يعظم أخاه الكبير بالافتداء به، وتلقي علومه، ومعاونته له على النفع العام، والأخ الكبير يرحم الصغير بدلالته على الخير، وتربيته على ما به سعادته وسعادة أخوته، وموالاته بما لا بد له منه، من غذاء للجسم أو للروح أو تزكية للنفس، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ^(١) وقال ﷺ وآله: « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له

(١) من الآية ١٠ من سورة الحجرات .

سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمى»^(١) وقال ﴿وَاللَّهُ وَآلَهُ﴾: «المؤمنون كرجُل واحدٍ إن اشتكى عيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وإن اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنَيانِ يشدُّ بِعَضْهِ بَعْضاً، ثم شَبَكَ بين أَصَابِعِهِ»^(٣) وقال ﴿وَاللَّهُ وَآلَهُ﴾: «المُسْلِمُونَ مُتَكَافُونَ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلَاهُمْ»^(٤).

فكأنِّي والحمد لله إذا قلت: إخواني، فإنما أعني كل من اعتنق عقيدتي التي هي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وصدق بكتب الله، ورسَل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وملائكته، وقضائه وقدره، وآمن بالآخرة إيمانا حقيقيا جعلها مثلة أمامه فرغب في نعيمها، وخاف عذابها خوفاً تحقّق به أن الوقوع في المعصية هو عين العذاب الأليم، ورغبة في النعيم جعلته يتحقّق أن علم القربات والقيام بالواجبات هو عين النعيم المقيم، بهذا أراي منشرح الصدر إذا أنا خاطبت أخوتي بما أحاطب به نفسي، وقمت خادماً لهم بقدر ما وهب لي ربي، والمأمول من إخواني أي إذا كتبت ما هو خير وحق ونفع أن نشكر الله جميعاً على توفيقه وعنايته، فإن ذلك من روح الله وتوفيقه وعنايته. وإن أخطأت أو سهوت فعلى إخواني - أيديني الله وإياهم بنور الذكر الحكيم - أن يغيروا خطئي هذا بما هو الحق، ويستغفروا الله لي لأن ذلك من عجلتي التي أنا مفطور عليها، ومن نسياني الذي هو من أخص مميزاتي، أسأل الله تعالى أن يحفظني من سوء النية وخبث السريرة، ويعيذني سبحانه من أن أتبع غير سبيل المؤمنين، أو أن ابتدع ضلالةً أُغَيِّر بها سنن سيد المرسلين إنه مجيب الدعاء.

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل عن النعمان بن بشير بلفظ "مثل المؤمنين..." قال السيوطي: هو حديث صحيح الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٥٩ .

(٢) وهذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل عن النعمان بن بشير، الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٧٢ .

(٣) هذا الحديث رواه أبو موسى الأشعري، وقد أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، قال السيوطي هو حديث صحيح

(٤) أخرج ابن حنبل وأبو داود والنسائي والحاكم عن عليٍّ عليه السلام هذا الحديث بلفظ "المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم..." وكذلك أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس وعن معقل بن يسار. وله روايات أخرى، انظر الكثر الثمين ص ٦٠٧ .

خير الآداب:

إخواني - من الله علينا جميعا بالصفة القدسي إنه مجيب الدعاء - تعلمون أن خير الآداب ما أَدب الله به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، وأدب به المؤمنين، وقد بين سبحانه ذلك فيما وصف به عباده الصالحين من الصفات التي مدحها وأثنى عليها، وبشر عليها بالجنة وبالرضوان الأكبر بالمغفرة والعفو، وما بينه لنا رسول الله ﷺ وآله من الآداب النبوية والأخلاق الحميدة، وما عليه كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله وأئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ولما كانت تلك الآداب إما أن تكون آدابا في عبادات، أو في معاملات، أو في تزكية النفوس وتطهيرها، أو في طريق الدعوة إلى الله وإرشاد عباده بالحكمة والموعظة الحسنة، أو آداب تعليم العلم وتلقيه، وغير ذلك من الآداب، وكل نوع من تلك الأنواع له أحكام خاصة به، أما آداب العبادات والمعاملات فقد تقدم الكلام عليها في قسم الأحكام الشرعية من كتاب: (أصول الوصول) مستوفاة، ولا بد لكل مريد من تحصيل الضروري منها، وقد استوفينا آداب تزكية النفوس وتطهيرها في كتبنا. وآداب الأخوة وما يتعلق بذلك في كتاب: (شراب الأرواح) وقسم علوم اليقين من كتاب: (أصول الوصول) وعند بيان الطريقة المستقيمة في كتاب: (معارج المقربين) ^(١) .

ونريد في هذه الرسالة أن نبين الآداب التي ينبغي أن يكون عليها المسلم لأخيه المسلم، والمتعلم للمعلم، وآداب الدعوة إلى الله، وما ينبغي أن يكون عليه العلماء في حال إقامة الحجة لله، ودفع الشبهة عن سنة رسول الله، ومحو البدع والضلالة.

الآداب الواجبة على كل مسلم لأخيه:

لما كانت الآداب الواجبة لا بد وأن تكون أوجبها الله تعالى، أو أوجبها رسوله ﷺ وآله، وقد تتبعنا الأحاديث الواردة في حقوق المسلم على المسلم، فظهر منها - مع كثرة

(١) تطلب هذه الكتب وغيرها من مؤلفات الإمام أبي العزائم من مكتبة: دار المدينة المنورة التابعة لمشيخة السادة العزمية ١١٠ ش مجلس الشعب القاهرة .

رواها وانفراد كل بواجبات مخصوصة - إن جميع ما ورد عن رسول الله ﷺ وآله ﷺ في الحقوق الواجبة على كل مسلم لأخيه أربع عشرة خصلة. أما قولي: الواجبة على كل مسلم، فَلَمَّا ورد في لفظ الأحاديث عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «للمسلم على المسلم ست خصال واجبة»^(١) وعن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وآله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست خصال، وإن ترك منها شيئاً ترك واجباً عليه»^(٢) وحديث البراء عن عازب: «أمرنا رسول الله ﷺ وآله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع» وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «للمسلم على المسلم أربع خلال واجبات»، وحديث سيدنا سعد وسيدنا أبي هريرة في معنى ذلك.

وقد جمع تلك الخصال كلها بعد سرد الأحاديث كلها الإمام أبو طالب المكي في كتاب: (قوت القلوب) نبدأ أولاً بذكر عشر خصال ثم نذكر بعدها ما زاد عليها.

فأما الخصال العشرة التي كثرت الأخبار بها فهي:

- ١- أن يسلم عليه إذا لقيه . ٦- وير قسمه إذا أقسم عليه .
 - ٢- ويجيبه إذا دعاه . ٧- وينصح له إذا استنصحه .
 - ٣- ويشتمته إذا عطس . ٨- ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه .
 - ٤- ويعوده إذا مرض . ٩- ويجب له ما يجب لنفسه .
 - ٥- ويشهد جنازته إن مات . ١٠- ويكره له ما يكره لنفسه .
- أما حديث أنس فروينا عن أنس بن أبي زياد عن أبان بن عياش عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ وآله ﷺ: «أربع من حق المسلم: أن تُعين مُحْسِنَهُمْ وأن تُستَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ، وأن

(١) هذا الحديث أخرجه ابن حنبل والترمذي وابن ماجه عن علي عليه السلام، قال السيوطي هو حسن وتماه: "للمسلم على المسلم ست بالمعروف: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشتمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويجب له ما يجب لنفسه" انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٩ .

(٢) أورده السيوطي عن أبي هريرة بلفظ: "حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه" أخرجه البخاري في الأدب ومسلم. انظر الجامع الصغير ج ١ ص ٥٠٧ .

تَدْعُو لِمُدْبِرِهِمْ، وَأَنْ تُحِبَّ تَائِبَهُمْ» فهذه الخصال داخلة في تلك الخصال وجامعة لها في معنى النصيحة لأخيك، وفي أن تحب له ما تحب لنفسك. وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يؤكد هذا المعنى خاصة للمسلم على المسلم ويفرضه فرض الحلال والحرام، ويفسر به قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١) يعني متوادين بينهم، يدعو صالحهم لطالحهم. إذا نظر الطالح إلى الصالح من أمه محمد ﷺ وآله ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير، وثبتته عليه، وانفعنا به. وإذا نظر الصالح إلى الطالح من أمه سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله ﷺ قال: اللهم اهده، وتب عليه، واغفر له.

فهذه الخصال المذكورة جامعة مختصرة في حرمة المسلمين، ووجوب حق بعضهم على بعض، لا عذر لأحد منهم في تركها إلا عذرته السنة ويشهد له العلم، وبعضها أوكد من بعض وأكمل المؤمنين إيماناً أقومهم بها وأسرعهم إليها، وفي الخبر عن رسول الله ﷺ وآله ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ مُنِعَ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ مُنِعَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢).

(١) من الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٢) روى العسكري والقضاعي عن عائشة مرفوعاً: " من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة " أنظر كشف الخفا ج ١ ص

الفصل الثاني

آداب العلماء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) وقد أثنى الله تعالى على العلماء وضرب لهم الأمثال، ووصفهم بالخشية من عظمتهم، وجعلهم هم الأحياء، ومدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليهم وبين فضلهم. وأخبر صلوات الله وسلامه عليه أنهم ورثة الأنبياء، وأنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة.

والحقيقة أن العلماء هم أئمة المتقين، ونور الهدى، وأطباء النفوس، بهم تقوم حجج الله وبياناته، وهم خلفاء رسول الله ﷺ وآله، المجددون لسنته ﷺ وآله خلقاً وعملاً وقولاً وحالاً واعتقاداً، وإليك صفاتهم وسميتهم وحليتهم التي جعلهم الله بها، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(٤).

صفات العلماء

أولاً: التواضع لله تعالى:

التواضع لله تعالى في كل حال، خصوصاً عند رواية العلم أو بيانه بالكتابة أو الدراسة، لأنهم يكونون نواباً عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وآله، وخلفاء عنه ﷺ وآله وهي أكمل علامة للعلماء لأنها تدل على حقيقة الخشية من الله تعالى، وقد حصر الله

(١) من الآية ٢٨ من سورة فاطر .

(٢) من الآية ١١ من سورة المجادلة .

(٣) من الآية ٧٦ من سورة يوسف .

(٤) من الآية ١٣٨ من سورة البقرة .

تعالى خشيته في العلماء، والتواضع من صفات رسول الله ﷺ وآله ﷺ وهم خلفاؤه عليه الصلاة والسلام، والعلم إدراك المعلوم بوجه ما، فمن عرف نفسه وعلم ما يجب عليه لربه، وعلم من عناية الله به ومننه عليه، كيف يتكبر أو يعجب بنفسه؟! والكبر والعجب علامتان للجهل، واجتماع الضدين مستحيل، فمن ادعى العلم ولم يتواضع فهو عالم بعلوم إبليس، نعوذ بالله من ذلك .

ثانياً: الحلم والأناة:

لأنهما خصلتان يحبهما الله تعالى، وإذا تجرد منهما العالم هلك لأنه يتصف بالحقاقة والعجلة، فالعجلة توقعه في الخطأ، والحقاقة تنفر منه الخلق فيكون ضاراً، وقد يتتلى - إذا لم يتصف بالحلم والأناة - بالإعجاب برأيه والتعصب له فيجادل من خالفه، ويؤيد رأيه بالحجج ولو كان باطلاً، حتى يقع في تحريم الحلال وإباحة الحرام والحكم بغير ما أنزل الله، وقد تبلغ به الحقاقة والعجلة إلى لعن المسلم وسبه وقذفه، والحكم عليه بالردة أو بالفسق أو بالزندقة، كل ذلك لإعجابه برأيه. وليس هذا بعالم عندنا وإن كان خزانة علم، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(١) فنعوذ بالله من علم هو عين الجهل، بل يكون الجهل أقرب إلى الخير منه، لأن الجاهل يسعى ليتعلم .

ثالثاً: إخفاء الحكمة إلا عن أهلها:

من أكمل صفات العلماء أن يعلموا كل فريق من الناس ما لا بد لهم منه، ويخفوا الحكمة إلا عن أهلها كما قيل: (لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تعلموها غير أهلها فتظلموها) ومن علم الحكمة غير أهلها من العلماء فتح على نفسه باباً من الشر، وعلى المسلمين باباً في الفتنة. وتعليم الحكمة لغير أهلها يجعل من لم يتأهل للعلم ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٢) ينكرون أحكام الله وأحكام رسوله، ويحصل لهم الريب والشكوك، وربما كذبوا الله ورسوله، فالعالم الرباني يعلم

(١) من الآية ٢٣ من سورة الجاثية .

(٢) الآية ٧ من سورة الروم .

الناس على قدر عقولهم ويداريهم، كما قال ﷺ وآله: «خَاطَبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْنَا بِمَدَارَاةِ النَّاسِ»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنْ مِنْ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ، فَإِذَا ذَكَرُوهُ أَنْكَرَهُ أَهْلُ الْغِرَّةِ بِاللَّهِ» فمن أباح لطائفة من المسلمين علماً ليسوا له أهلاً فقد أخطأ آداب العلماء .

رابعاً: السكينة والرحمة :

فإن السكينة دليل على التمكين وبرهان على الرسوخ في العلم، بخلاف الانزعاج والرعونة وعدم التروي، فإنها دلائل على عدم البيان والتحقيق، ثم إن الرحمة من أخص صفات العلماء لأن العالم وارث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمل صفات سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أثبتها الله تعالى له صلوات الله وسلامه عليه بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) وبقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٤) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥) والعالم نجاة العالم، فإذا نزع الله الرحمة من قلبه نزع معها النفع بالعلم، وصار العلم من النقم بعد أن كان أعظم النعم، وقد كان إبليس من كبار العلماء ولم يمنح الرحمة فأهلكه علمه. قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تَعْلَمُوا الْعِلْمَ وَتَعْلَمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ لِيَتَوَاضَعَ لَكُمْ مِنْ تَعَلُّمُونَهُ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ». فالعالم الذي منحه الله السكينة والرحمة هو العالم الرباني الذي أثنى الله عليه ومدحه .

(١) هذا الحديث رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة، وقد أورده الغزالي في الإحياء ج ١ ص ٢٠ .

(٢) هذا الحديث رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة، وقد أورده الغزالي في الإحياء ج ١ ص ٢٠ .

(٣) من الآية ١٢٨ من سورة التوبة .

(٤) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٤ من سورة القلم .

خامساً: العمل بالعلم:

من أجل علامات العلماء الربانيين: العمل بالعلم في السر والظهر خشية من الله تعالى، والأخذ بالعزائم ولو كان في ذلك ما تكرهه نفوسهم أو تتألم منه أبدانهم أو أبدان من يحبونهم إرضاء لله تعالى، وخشية منه سبحانه، بأن يقوم بالعمل على الوجه الأكمل غير متأول لحظ خفي في نفسه، ولا يأخذ بالرخص من غير أسبابها، والأولى للعالم أن يتحرى العزائم وينهج على المنهج الوسط لأنه مسئول عن حقين: حق واجب على نفسه لله، وحق أوجه الله عليه لخلقه لأنه إمام للمؤمنين، وقدوة للمؤمنين. واقتداء الناس بعمله أشد من إقتدائهم بقوله، فليثق الله ربه وليراقبه فيما أوجه عليه خشية أن يزل فيزل بزلله العالم أجمع، كما قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زَلَّةُ الْعَالِمِ زَلَّةُ الْعَالَمِ»^(١) وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ وَكَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا إِذَا عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ»^(٢) وإلا فمقي يكون العالم عالما حقيقيا إذا نزع خشية الله من قلبه فترك العمل بالعزائم وفتح أبواب الحيل العلمية لجمع الفاني أو لتوَّلي المناصب؟ لعمرى إن هذا جهل المبدأ والمعاد ونسى يوم الحساب فجهل ما ينفع وعلم ما يضر، وليس هذا بعالم عندنا.

سادساً: الحكم بالعلم لا بالهوى:

التحفظ من أن يرى رأيا فيحكم به من غير أن يتثبت من أنه حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، أو أنه مأخوذ بالاستنباط من الكتاب والسنة، أو من عمل أئمة السلف، أو له نظير وأشباه من أعمالهم رضوان الله عليهم، فإن حكم برأيه غير مستند إلى بينة أو حجة قائمة أو سنة ماضية فقد حكم بالهوى، والعالم من حكم بعلمه لا بهواه.

(١) هذا الحديث رواه العسكري والديلمي عن عمرو بن عوف مرفوعا بلفظ " اتقوا زلة العالم وانتظروا فينته " ولكن هذا الحديث مشهور على الألسنة بلفظ " زَلَّةُ الْعَالِمِ زَلَّةُ الْعَالَمِ " انظر كشف الخفا ج ١ ص ٤١ .
(٢) هذا الحديث أورده السيوطي بلفظ " الفقه " بدل " العلم " وتمام الحديث: " ... إنما الناس رجالان: مؤمن وجاهل، فلا تؤذ المؤمن، ولا تجاور الجاهل " أخرجه الطبراني عن ابن عمرو، انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٢١٧ رقم ٦١٥٠ .

سابعاً: سد باب الذرائع والفتن:

الاجتهاد في سد باب الذرائع والفتن، وإراحة أفكار المسلمين من الاشتغال بما يضر ولا ينفع، الأمر الذي سبب تفرقة المسلمين ووقوع العداوة والشحناء بينهم، وأنسأهم ذكر الله والعمل بكتابه، بل أنسأهم ذكر الموت وما بعده، بل وجعل غير المسلمين يظنون أن الدين الإسلامي مؤسس على تعصب لأشياء لا حقائق لها .

ألمس من إخواني أن يمنحوني عفوا وعذرا إذا أنا خرجت عن التوسط في هذا الموضوع الذي أرى له في قلبي حرارة، وفي نفسي وجدا لما ألمَّ بالجماعة والوحدة والمنعة من نتائج ما أبينه لكم:

أول بلاء حصل للمسلمين، وأعظم دسيئة دسها إبليس بيننا شواظ نار التفاضل، ظهرت تلك الفتنة في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، ولكنها كانت بابا من أبواب التنافس في المسارعة إلى الخير، فكانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلون أبا بكر فعمرو فعثمان ويستمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكر عليهم، ولكن الشيطان - لعنة الله عليه - يفس أن يعبد من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو أن يعبد المسلم غير الله، فشد خيله ورجله ليوقع بينهم العداوة، والتفرقة والاختلاف في الرأي والفكر، فدرس بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى دسيئة التفاضل بينهم رضوان الله عليهم، ودخل بها عليهم من تأويل بعض آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله لمعان خاصة تناسب ما قام في النفس، حتى سلَّت السيوف بينهم رضوان الله عليهم، وتبادرت الرؤوس كالخنظل نفعا الله بهم، واشتد التعصب من كل فريق لمن فضله، حتى تفرقت الجماعة، وتشعب الأصل الواحد، واختلفت الآراء والمذاهب والاعتقادات، وإن كان أكثر الخلاف لفظيا إلا أنه أثر في قلوب العامة فكان ما تعلم، ولست في صدد بيان الفرق المختلفة وشرح أصولهم، ولكنني في مقام تنبيه القلوب إلى الاجتماع بعد الفرقة، والاتلاف بعد الاختلاف.

ما أنتجه الاشتغال بالتفاضل

أيها الحاكمون على أن فلانا أفضل من فلان، هل حكمكم هذا على ما عند الله؟ أو على ما عند أنفسكم؟ فإن كان على ما عند الله تعالى، فذلك مالا يحكم به إلا الله تعالى، وإن كان على ما عند أنفسكم فهذا شيء خاص بأنفسكم قد يكون عن حظ وهوى، وتكون الحقيقة عند الله غير ذلك، فإن كان حقا حصلت لكم النجاة، ولم يأمركم الله بأن تدعوا الناس إلى اعتقاد أن فلانا أفضل من فلان، لأن ذلك ليس من الدين في شيء. وإن كان باطلا أرحتم أنفسكم من تحمل عقوبة الدعوة إلى الباطل، وقد هانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحكم على الله بأن هذا من أهل الجنة أو ما أشبه ذلك بأن نقول: نحسب أنه كذا. وقد سد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الباب سدا محكما بأجلى مظاهر المبالغة فيه بقوله صلى الله عليه وسلم: « لا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُؤُسَ بْنِ مَتَّى » تنبيهاً لقلوب المؤمنين إلى أن الاشتغال بمثل هذا مفسدة للدين.

وإنما أنت أيها الأخ البار، عليك أن تقتدي بالعلماء العاملين، وتجتهد لأن تصل إلى مقاماتهم العلية، وتفوز بمشاهدتهم القدسية، وتتجمل بأحوالهم الروحانية، وتتعلم علومهم الربانية، لا لتشغل نفسك بتفضيل زيد على عمرو، وبكر على خالد، لأنك بذلك حرمت المسارعة إلى الخير والمبادرة إلى الغنيمة والمعاونة على البر والتقوى، واشتغلت بما لا ينفع. وما الذي ينتفع به منك من أنت تفضله على غيره؟ إلّا فَتَحَ باب المضرة عليه وتمكين الشيطان من قلوب المسلمين، وربما أدى ذلك إلى ما لا يرضاه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أيها الشيع المتفرقة.. والطوائف المختلفة.. تجمعنا جميعا كلمة التوحيد، ويجمعنا الإيمان بالقرآن، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعمال أركان الإسلام الخمس، والإيمان بيوم الحساب، فما لنا وكلنا واحد في الأصول والمرجع والإيمان والإسلام، وما الذي فرقنا؟.. لم نفرق لاختلاف في ديننا، ولا تفاوت في كتابنا موجب للاختلاف، ولا لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أخفى علما عن جماعة وأظهره لآخرين.. لا والله.. إنما التفرقة لجهل بالله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبكتابه وسنة نبيه، ولطمع في الدنيا ورغبة العلو

فيها، وأمل في البقاء الفاني، ومنافسة في السيادة والمجد والشرف ... قف أيها القلم ... لا تتجاوز - وأنت تكتب في الأدب - حدود الأدب .

هذا ما أنتجه الاشتغال بالتفاضل وهناك أسباب أخرى تليه - ليست بأقل منها - أوجبت التفرقة والنفور والعداوة والشحناء، ما هي؟ ومن هي؟ .. هي فتح باب الفتن بالتكلم فيما سكت الله عنه، وسكت عنه رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة بالمسلمين فلم يجرمها، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الورع اتقاؤها، فلم يحكم أنها محرمة لأن الورع من أخص صفات الموقنين، ومن أعمال القلوب التي يهب الله عليها رضوانه الأكبر. ومن الذي قام بها؟ .. قام بها أدعياء تحصلوا على قشور من أحكام الشريعة المطهرة، فلم تقع بهم عين اليقين على حقيقة العلم، ولم يطلعوا على حكمة الأحكام، ولم يذوقوا حلاوة لب اللباب، ولم يعلموا أن محل نظر الله تعالى القلوب، وأن الخير كله في عملها، وأن القرب كله متوقف على التخلق بأخلاق الله، والتشبه بالروحانيين من عمار ملكوت الله، فتركوا الجواهر تحت أقدامهم، وانصبوا بكليتهم على فتح أبواب الشبه والتي أجملها فيما يلي:

١- التشنيع على الذكر والذاكرين:

خذ لك مثالا أو مثالا: إذا رأوا جماعة يذكرون الله في بيت من بيوته قاموا فذموا وحكموا أن ذلك من البدع، وإذا سمعوا رجلا أعجميا فيهم لا يحسن النطق بكلمة التهليل أو بالاسم الشريف، أو سمعوهم لحنا في النطق بالذكر قاموا فرموهم بالضلال والبدعة ومخالفة الشريعة، وكان الأولى بهم - لو كانوا علماء حقيقة - أن يعتقدوا أن اجتماع هؤلاء على ذكر الله واشتغالهم به عما سواه دليل على طمأنينة قلوبهم بذكر الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١) فجلسوا معهم ليتعلموا منهم طمأنينة القلب الذي هو جوهر الدين وروح الإيمان، ويعلموهم - بلطف ورحمة - اعتدال اللسان الذي هو قشور بالنسبة لعمل القلوب. ولكنهم لقلة علمهم وجهلهم بحقيقة العلم، وبأن العلم كله في العالم

(١) من الآية ٢٨ من سورة الرعد .

كله، وبأنه ما من مسلم إلا وهو ممنوح من الله علما خاصا من خلق أو يقين أو صدق أو إخلاص أو تسليم، أو غير ذلك من أبواب العلم التي لا تحصى .

فيمرون عليهم مر السحاب إلى بيوتهم، ويتناولون القلم الذي هو سيف الفساد، ويسودون الصحف بالقذف والسب واللعن مما ينفر منه الحفظة أن تسمعه، حتى ينفروا منهم أهل التسليم الذين لو ألفوهم لكانوا أئمة لتسليمهم وصدقهم وإخلاصهم، وتواضعهم، فينتج من ذلك أن الذاكرين يكرهون العلماء، ويرون أن العلماء أعداء الطريق وأهله، فتحصل التفرقة بين العلماء وبين المؤهلين للعلم من أهل التسليم، وما ذلك إلا من عمل الجهلاء المغرورين بما تحصلوا عليه من قشور العلم.

٢- الإنكار على قراءة القرآن في بيوت الله:

وكذلك إذا جلس رجل في بيت من بيوت الله يقرأ سورة الكهف قاموا فأنكروا عليه ورموه بأن ذلك بدعة وضلالة، وسبوه وقذفوه، وجعلوا أن الغيبة ذكر الرجل أخاه بما يكره ولو كان فيه، فجعلوا قراءة القرآن في المسجد منكرا، وجعلوا الإصغاء بدعة وضلالة، مع أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون القرآن في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولنفرض أن الصحابة لم يقرأوا سورة الكهف في المسجد يوم الجمعة وأنها بدعة، فهل كل بدعة ضلالة؟.. فكم من بدعة هي حسنة من الحسنات، وكم أحدث سيدنا ومولانا أبو بكر وسيدنا ومولانا عمر بن الخطاب وسيدنا ومولانا عثمان بدعا هي عين السنة. وما رآه المسلمون حسنا فهو حسن. هذا، والحكم أن صعود الإمام على المنبر يترك به افتتاح صلاة النافلة، وكلامه يوجب ترك الكلام، وكان الإمام مالك بن أنس يجلس في المسجد يوم الجمعة فيسأله الناس فيجييبهم، ولا يترك الكلام حتى يتكلم الإمام على المنبر، وأصدق الحديث كتاب الله تعالى.

٣- ترك الحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة في الإرشاد:

نحن نعتقد حق العقيدة أن غيبة المسلم فسوق وهي من الكبائر، وأن قذف المؤمن وسبه من الكبائر، وأن الحكم بغير ما حكم الله من الكفر. تركوا الحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة في الإرشاد، وفتحوا أبواب الشر على المسلمين، وشغلواهم بما يضر ولا ينفع.

إذا رأوا رجلاً تعلم الواجب عليه من الدين، ومن الله عليه بعلوم اليقين كالحب والإخلاص والصدق والخشوع والرغبة والطمع والرجاء والخوف، واليقين الحق بالتوحيد، ومنحه الله الحكمة التي يمكنه أن يبينها بعبارة ليست بليغة، أو ليست موافقة للنحو والصرف، ولكنها تؤثر في القلوب لأنها صادرة من القلوب، قاموا عليه فرموه بأنه جاهل أو بأنه كافر، كأنهم يرون أن العلم كله هو علم اللسان ولا علم غيره.

أنا أشاركهم في أن من وهبهم الله تلك المنن، وأقامهم مقام الدعاة إلى الله، الأجل بهم أن يحصلوا ما لا بد منه من علوم اللسان، ولكنني أعتقد أن صغير مواهبهم أجل وأعظم مما اكتسبه هذا المغرور بقشور العلم.

٤- الوقوع في أكبر الكبائر حال الدعوة إلى ترك مكروه أو عمل مندوب:

قد تشتد حماقة الرجل منهم وغضبه على أمر هين كترك العذبة^(١) أو كشرب القهوة أو شرب الدخان، حتى يقع في أكبر الكبائر حال دعوته إلى ترك مكروه أو عمل مندوب وهو لا يشعر، وربما حكم بتحريم شيء وهو لا يميز بين معنى الحلال والحرام، وقد يحكم بنجاسة شيء وهو لا يميز بين الأنواع الطاهرة والأنواع النجسة، بل ولا الفرق بين نوع صفة النجاسة والطهارة، وكل ذلك من جهله بأسرار السنة ومن جهله بنفسه، وجهله بقدر علمه، وقد كان البلاء منهم على المسلمين أشد من البلاء على المسلمين من أعدائهم، فإنهم شغلوا المسلمين بالوقية، وملأوا قلوبهم ضغائن، وجعلوا الصغار يحقرون السلف الصالح، والكبار يحقرون كبار أهل عصرهم.

(١) العذبة: هي طرف الشيء، وعذبة العمامة هو طرفها، وهذا ما تعارف عليه هؤلاء من تركهم طرف العمامة متدلّياً وراءه على قفاه .

٥- مخالفة رسول الله ﷺ وآله في أخلاقه وسنته في الدعوة:

وكذلك ما يَحْصُلُ من بعض من نصبوا أنفسهم للإرشاد أو انتسبوا للعلم - عند الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر - من الفظاظة في الأخلاق، والغلظة في الطباع، والسخف في القول، متذرعين بحجة أن هذا من الدين وأن هذه نصيحة، وأن هذه الطريقة هي الطريقة الشرعية التي أمر الله بها، ويجهلون أنهم وقعوا في كبائر لا تحصى، منها مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه، ومخالفة سنته في الدعوة، وتنفير عباد الله ووقوعهم في بغض الدين وبغض أهله، وظنهم أنهم أحسنوا. وربما كان الذين يدعون إليه من الأمور المرغب فيها، أو كان الذي ينهون عنه خلاف الأوَّلَى. فعجبا كيف يُلقِي الإنسان بنفسه في الهاوية وهو يظن أنه يحسن عملا؟ ما ذلك إلا من جهله.

من مضارّ الجهل في اتباع الطريق

ومن الدعاة الجهلاء من يجلسون في وسط العامة، فيذكرون اسم ولي من أولياء الله، ويثبون عنه الأقايصيص المفيدة أنه ينفع ويضر، وأن من اتبعه يكثر ماله وأولاده، وأن من زار قبره تقضى حوائجه ويموت أعداؤه، ويذكرون لهم من الكرامات ما هو حق وباطل حتى يرغب الناس، فيكون الضرر بذلك من جهتين: من جهة أنهم يتبعون طريقة لعاجل فإن فيكونون ممن يعبدون الله على حرف، ومن جهة أخرى أنهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التي لا يمكنه أن ينفع نفسه ولا غيره لأن النافع هو الله. ويحرمون النفع من الجهة التي ينتفع منها لأن الله أقامه سببا للنفع، وهي جهة تلقي العلوم وفهم فقه القرآن الشريف، وتركية النفس، وفهم أسرار التوحيد، وكشف حكم الأحكام، والتجمل بعلوم اليقين مما به السعادة الأبدية التي لا تذكر الدنيا في جانبها بشيء إلا كما يذكر العدم من الوجود. وقد يحصل ضرر ثالث لا يقل عن هذين الضررين، وهو أن يكون الرجل الذي يدعون إليه متوفيا وليست له كتب علمية ينفع بها من يقتدي به، فيحصل الضرر لمن اتبعه بحرمانه من طلب الرجل العالم الذي جعله الله نورا، والانتفاع بعلمه والافتداء بعمله.

وقد كثرت تلك الطوائف وعم الضرر بهم، حتى صار أكثر العامة إذا اتبع طريقا فكثر ماله وأولاده فرح واعتقد أن هذا من اتباعه للطريق، وإن قل ماله تشاءم وقال: هذا من

الطريق. كما حصل في عصر رسول الله ﷺ وآله من الذين أنزل الله في حقهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١) ونخرج من ذلك بأمور

١- أن من دعت نفسه ليقوم داعيا إلى الله أن يدعوها أولاً:

كلنا - جماعة المسلمين - نعتقد أن الرجل العالم العامل إذا دعا إلى الله على بصيرة، وأقام حجج الله للقلوب فاطمأنت، وللنفوس فتزكت، ولالأبدان فنشطت، أكرم الله من اتبعه. بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) فإن الله تعالى يكرم من اتبع الرجل الحي العالم العامل بأن يشرح صدره، ويسر أمره، ويمنحه الصبر واليقين، لأن الرجل يدعو إلى التوحيد الخالص، والأعمال الواجبة والمسنونة ومكارم الأخلاق، ولحسن المعاملة .

وأنوار التوحيد إذا أشرقت على قوم اطمأنت قلوبهم برهم فرَضُوا عنه لكمال توحيدهم، أو صبروا لكمال إيمانهم فالواجب على من دعت نفسه أن يقوم داعيا لله أن يدعوها أولاً هي إلى الله، فإن أطاعته ألزمها أن يتعلم ما لا بد منه من معرفة الطريق، ويتحصّل على ما لا بد منه من الزاد والراحلة بالعلم والخلق والعمل، إذا أطاعت وحصلت فليطالها بالإخلاص والرحمة بجميع الناس، فإن قبلت بحث، فإن علم برجل أعلم منه بالله وبأحكامه وبأيامه، وأحاط علما بسنن رسول الله، فليسع إليه ولو بالصين، ليزداد علماً، ويكمل خلقاً، ويزكو نفساً، ثم بعد ذلك يقوم فيدعو بالتي هي أحسن.

٢- ألا يعمل الداعي إلى الله لعرض يفني أو غرض يزول:

بعض من ينتسبون للعلم أو للطريق يجعلون العلم أو الطريق باباً من أبواب جلب الدنيا، حتى تكون أعمالهم الواجبة ليست لله ولكنها للتوسع في الدنيا. كل مسلم لا يحرم الهدية، ولا يحرم الصدقة، ولا يحرم أن يسأل الأخ أخاه ما لا بد له منه منحة أو قرضاً، وأولى

(١) الآية ١١ من سورة الحج .

(٢) من الآية ٩٦ من سورة الأعراف .

الناس بهذا كله هم العلماء والمرشدون الذين أحسنوا التوكل على الله تعالى، وتركوا الأسباب توكلًا على مسبب الأسباب، واشتغلوا بتعليم العلم النافع أو بإرشاد النفوس لسبيل الخير ودلالة الخلق على الله وعلى ما يقرب إليه سبحانه، وما ينال به العامل الفوز في روضات الجنان.

إلا أني أرى العالم أو الداعي إذا تشوفت نفسه إلى الشيء من الناس لأنه يعلمهم، أو طلب الشيء لنفسه منهم لأنه يعلمهم، أو أن المرشد إذا تشوف أو طلب لأنه يرشد خرج من الدنيا بغير ربح، ويخشى عليه أن يضيع منه رأس المال أو بعضه. ولكن.. إذا تشوف للشيء لاحتياجه له، أو طلبه من أخيه كما أنه يرى في نفسه لو سئل عما في يده لأعطاه للحصول كمال المحبة والتعاون على الخير، لا يكون ذلك نقصًا في حاله. ولكن بعض الناس يرى الأكمل مجاهدة النفس، وأن الأفضل أن الإنسان الكامل لا يسأل ولا يرد، ولا بأس بأن يسأل عند الضرورة، لا لأن له حقا في نظير التعليم أو الإرشاد، بل لأن أخوة الإيمان جعلتنا كرجل واحد، وأن كل غني منا خزانة للجميع.

فعلى إخواننا الذين منحهم الله النشاط للسياحة في الأرض، ووهب لهم لسان حكمة، أن يظهروا قلوبهم لله عند دعوة إخوانهم إلى الله عن أن يكون العمل لعرض يفنى، أو غرض يزول، ولتحققوا أن هذا العمل الشريف هو عمل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا ينبغي أن يعمل عمل الرسل كلب من كلاب الدنيا، وليغاروا على قلوبهم وأبدانهم أن تستبدل رضوان الله وفردوسه الأعلى ومعية النبيين والصديقين والشهداء بممتاع يفنى وتبقى عقوبته، ويزول وتبقى تبعته، إن هذا هو الخسران المبين.

إن المرشد الذي جعل له نورا في قلبه، وآتاه من لدنه علما، ووهب له لسان الحكمة ومواهب المعرفة، لو أن الناس قدموا له نفائس أموالهم وقبلها منهم لكان ذلك قليلا في جانب علم سر من أسرار كتاب الله، أو فقه حكم من أحكام الله، أو تركية النفس. ومع ذلك فإنه يتره قلبه أن يقبل من الناس، أو يقبل عليهم بقلبه لغير الله تعالى، فالفقير في قلبه أجل وأعظم من ملوك الأرض، وإن دارى غيره .

٣- أن يسعى لتلقي العلم دون التعصب لشيخه:

إخواني: من أكمل آداب المؤمنين، إذا كان المؤمن يروي العلم عن رجل ولم يكن فقيه القلب، ورأى رجلاً عالماً آخر ولو كان لا يحفظ العلم أو كان أصغر سناً وشهرة، فعلى الأخ المؤمن الذي يروي العلم عن الرجل أن يسرع إلى هذا العالم فينتفع منه، ويترك التعصب لمن يروي عنه العلم، لأن ذلك من سنة السلف الصالح. كان سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما يجلس على باب سيدنا سلمان رضي الله عنه خاشعاً ينظر خروجه ليسأله. وكان أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرجع إلى رأي ابن عباس وهو أصغر الصحابة سناً.

ودخل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البصرة، فقال أصحاب الحسن البصري: هلم بنا نسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه معهم حتى وصلوا إلى الصحابي رضي الله عنه، فقال له الحسن: أسمعنا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام رسول الله، فحدثهم ثلاثة عشر حديثاً، فقال له الحسن: أشرح لنا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا صاحب رسول الله، فقال الصحابي: إنما أنا حامل علم. فقال له: أسمع مني؟ قال: قل يا بني. فابتدأ يروي له الحديث ويبين ما فيه من الفقه، وكان الصحابي رضي الله عنه على وسادة فتزل عنها وجلس على الأرض بين يدي الحسن، ونظر إلى أهل البصرة وقال: عجباً لكم!! بين ظهرايكم هذا وتقصدوني؟.

ولما دخل محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه مدينة بغداد يطلب العلم بعد أن سمع الموطأ من مالك بن أنس رضي الله عنه، لقيه أحمد بن حنبل رضي الله عنه فعلم منه ما منحه الله تعالى من الفقه والنور، فكان يُركبُ الشافعي على دابته ويمشي في جواره، فكان يقابله إخوانه متعجبين منه ويقولون: يا ابن حنبل، تترك سماع الحديث بالسند الأعلى وتسمعه بالسند البعيد؟ لأن ابن حنبل كان يتلقى مع إخوانه عن العلماء الذين هم في طبقة مالك رضي الله عنه وفوق طبقته من الرواة، فإن أعلى سند لمالك رضي الله عنه وأرضاه: مالك عن نافع عن سالم مولى بن عمر عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون سند الإمام الشافعي رضي الله عنه بالنسبة للرجال الذين يتلقى عنهم الإمام ابن حنبل سند بعيد، فكان يقول ابن حنبل لإخوانه الذين يتعجبون من خدمته للشافعي: لا

تتعجبوا، فإني إذا فاتني تلقي الحديث بالسند العالي القريب أتلقاه بالسند البعيد، وإن فاتني فقه هذا الفتى لم أنه من غيره .

وهكذا كان العلماء - رضوان الله تعالى عليهم - إذا بلغهم أن الله منح الفقه لمن هو دونهم سنا وحفظا هاجروا إليه، وتلقوا عنه متواضعين رغبة في رضوان الله تعالى، ومن علم أن الله منح الفقه لعبد من عبده - وإن كان أقل شهرة وأجهل نسبا وأصغر سنا، بل ولم يمنح الوسعة في علوم اللسان، فإن الفقه علم من علوم القلوب لا علوم الألسنة - ولم يبادر إليه ليتفقه على يديه، ويتواضع لله في ذاته ولو كان أكبر العلماء، فقد فاته خير كثير وحُرِمَ أسرار الحي القيوم. هذه سنة السلف الصالح وعادة الأنقياء البررة، وكذلك إذا تلقى بعضهم الطريق عن شيخ له وأمره بالأعمال البدنية فعليه أن يسعى للعالم ليتعلم منه ما لا بد منه، وإذا علم أن رجلا يعلم العلم ويسلك بالناس على الطريق المستقيم، ويزكي النفوس، ويبدل الأخلاق السيئة بالأخلاق الجميلة بالعلم والعمل والحال، فالواجب عليك يا أخي أن تسرع إلى اتباعه والافتداء به.

الفصل الثالث

آداب الدعوة إلى الله

أولاً: أن يكون الداعي إلى الله حكيماً رحيماً:

ينبغي أن يكون الداعي إلى الله تعالى حكيماً رحيماً حريصاً على النفوس، مُعْتَقِداً عند الناس، مشهوراً باتباع السنة والكتاب والعمل بهما، متباعداً عما ينفّر القلوب من كل الأعمال والأخلاق والأحوال، وأن يكون متمكناً من أصول التوحيد، عالماً بالدلائل والحجج التي أقامها الله على حقيقة التوحيد، طبيباً حاذقاً بأمراض النفوس ودوائها، خبيراً بمداراة الناس، فاهماً منزلة كل إنسان، له معرفة بسيما الناس التي تدل على خفيّ طباعهم وغرائزهم ومكنون أخلاقهم، لأن اختلاف تركيب الأعضاء وانحراف الأمزجة و وسعة الدنيا والوظائف والنسب والفقر والجهل والاحتقار، كل ذلك يغير سجاياء النفوس، ولا يدرك ذلك إلا المتوسم .

ثانياً: أن يألف الناس:

فإذا توفرت تلك الدواعي أمكنه أن يألف الناس أولاً، متحملاً ما هم عليه من الجفوة والمطامع والجهالات حتى يألفوه، فإذا ألفتهم دعاهم إلى الحق الصريح الذي ينفع العامة والخاصة، متحفظاً من تنفير الخلق بخلق سيئ، أو بعمل منكراً، أو بعلم لا تقبله العقول، بل يهتم أن يرغب الناس في تأدية واجبات الدين بنشاط ومحافظة على أن تُؤدَّى مُوَافَقَةً للسنة والكتاب، ثم يرغب الناس في بر الوالدين، والإحسان إلى الزوجة والأولاد بالتربية، وصلة الرحم، وإكرام الجار، ثم يرغبهم في الوفاء والصدق وحسن المعاملة مما هو مجمع على أنه خير شرعاً وعقلاً، ثم يدعوهم إلى فعل النوافل من ذكر وصلاة وحج وصيام بعد الفرائض، ثم يرغبهم فيما يقرب إلى الله من الإحسان في القول والعمل والحال من المسارعة إلى النفع العام من النصيحة يوجهها لخاصة المسلمين وعامتهم، ثم ينقلهم إلى الفكرة والعبرة حتى يكونوا روحانيين عاملين للدنيا والدين والآخرة، وبعد ذلك يشرح لهم من أسرار الحكمة وعجائب القدرة ما به يزيد إيمانهم ويكمل توحيدهم .

وفي كل ذلك يتباعد بكل ما في وسعه من أن يقع في كبيرة أو صغيرة تنفر، لأنه إن حصل منه شيء من ذلك أضر نفسه وأضر المسلمين، أما ضرره لنفسه فلا أنه وقع في معصية الله، وأما ضرره للمسلمين فإنهم بين رجلين: رجل جاهل يحبه فيقلده، وآخر ينكر عليه ويغري بها الناس على أذيته ويشيعها.

ثالثاً: أن يجاهد نفسه:

فالداعي إلى الله أشد الناس مجاهدة لنفسه، وأملك الناس لإربه، وليحذر أن يندل نفسه بشره أو طمع، أو يحسد آخر، أو يسعى في أذية أخ حسداً منه له، فإن ذلك مما يؤدي إلى التخلق بأخلاق إبليس لعنة الله عليه، ومن تخلق بخلق من أخلاقه أبعده الله عن منازل الإكرام.

رابعاً: أن يجعل أهل صفوته الفقراء:

الداعي إلى الله ينبغي أن يجعل أهل صفوته هم الفقراء، وإذا زاره فقير يلزمه أن يندل له ما في وسعه من البشاشة والإكرام والعطية بقدر ما يستطيع، لأن الفقراء السواحين هم ناشروا محاسن الرجال ومساويهم، وهم ألسنة لك أو عليك. وإن بعض من لا علم لهم - ممن يدعون إلى الله - إذا رأوا الفقير أهانوه، وإذا رأوا الغني عظموه. لا أقول لك أيها الأخ أنك إذا جاءك فقير وغني يجلس الفقير على مراتب الكرامة ويجلس الغني على فراش المهانة، أنزل كل واحد منهما منزلته، ولكن اجعل للفقير في قلبك محلاً، ومن بشاشتك نصيباً، ومن مالك جزءاً، حتى يفارقك داعياً فرحاً، ومهداً لعظيم القوم الفراش وحسن له الطعام فإن ذلك يسره، ويسره منك. فإنك تكرم الفقير لتنال الخير من الله. وتكرم الغني لتكتفي شره.

خامساً: ألا ينشر ما لا يليق بين الناس:

بعض من لا معرفة له بالطريق إذا كان له إخوان في بلد، وتوجه فوجد داعياً آخر يدعو لطريق آخر سَوَّلَ لكل واحد منهما الشيطان أن يقوم يجاهد في سبيله بإشاعة الفاحشة على أخيه، ونشر ما لا يليق بين الناس، وادعى أنه يضر، أو يدعو عليه فيقتله أمام العامة ممن يعتقدون فيه، فيفسد أخلاقهم ويوقع العداوة بين المسلمين، ويكون داعياً من دعاة جهنم. فإن

كان الآخر من أهل الجهالة كانت البلية ووقع النفور، وربما أدى إلى الخصام فالضرب بالعصى أو غير ذلك، كل ذلك حرصا على إلههم المعبود الذي هو الدرهم والدينار، وجهادا في سبيل ربهم الذي هو الحظ والهوى، قال رسول الله ﷺ وآله: «تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ وَالدِّينَارِ تَعَسَّ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ»^(١) وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾^(٢).

سادساً: ألا يكون حسودا لنظرائه:

أشر بلاء على المنتسبين للعلم حسد بعضهم بعضا، فإنك قلّ أن تجلس مع منتسب للعلم إلا ويأخذ في تنقيص من هو نظيره أو من فوقه علما، ويقيم الأدلة والبراهين على تحقيره، حتى تتمثل أنه لو حضر أمامه لقام إليه وضرب عنقه بالسيف، وبينما أنت جالس معه وإذا بذلك الآخر أقبل، فاستقبله ذلك المدعي العلم الذي كان يذمه من خارج الحجرة مطأطئا رأسه منحنيا، غاضبا بصره، معلنا بلسانه ما يكنه قلبه من التعظيم والسرور بتشريفه، ثم يجلس فيذكر لك محاسنه وعلومه ما يجعلك تتمثل أنه مالك في درسه، فما تلبث إلا وقد خرج هذا الزائر فيلتفت إليك قائلا: انظر إلى كيت وكيت، مقبّحا دأما، إن كنت تقيا تمني أن تكون زرت مقبرة أو جالست حيوانا أعجم، وإن كنت مثله خرجت فوقعت فيهما وشنعت، وذكرت كيف يكون الإنسان عالما وهو متصف بأقبح صفة أوجبت لعن إبليس وطرده من رحمة الله. أعالم يجهل ما به القطيعة والبعد؟! ليسوا بعلماء ولكنهم يحاكون كالبغاة.. وإنما العالم من علم الحق فاتبعه، وعلم الباطل فتحببه، وعلم قدر نفسه فسعى في خلاصها.

سابعاً: ألا يحرص على المال:

مما يلزم مراعاته من الآداب الواجبة على من اتصفوا بالدعوة والإرشاد، أن يديموا جهاد أنفسهم من وجهة الدنيا فإنها مهواة القطيعة، ترى الرجل منهم مشهورا بالكرامات

(١) هذا الحديث رواه البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، وفي لفظ آخر: "لعن الله الدينار" وتمام الحديث "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخلة وعبد الخميصة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبر قدماء، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع له لم يشفع" انظر كشف الخفا ج ١ ص ٣٦٦.

(٢) من الآية ٢٣ من سورة الجاثية.

منظورا بعين الإعظام، تفد عليه الأكابر، وتبذل له الأموال إكراما لاتنسابه لولي من أولياء الله تعالى، أو لإحياء معالم طريقه، ويظهر حب المرشد بكل روحه وبدنه، والفناء فيه عن المال والأهل والولد والنفس قربة إلى الله، وقيامًا بشكر النعمة التي أنعم الله بها عليه على يد المرشد، ومحبة في الله ورسوله، ثم يكون الدرهم عنده خيرا ممن يتظاهرون بالفناء فيهم، ويحرص على المال لينفقه على نفسه وزوجته وأولاده، ويخل به أن يقدم بعضه للمرشد أو أولاده أو أقاربه شكرا لله على النعمة، بل وربما بلغ به حب الدنيا إلى أن يخل بها على أخواته وأرحامه، فتراه يبذل كل شيء إلا الدنيا، فيبذل لسانه بالمدح، وجسمه بالخدمة، حريصا على معبوده السديء من دون الله.

إليك عني يا بطل.. متى تدعي محبة الرجل وقد سكن في قلبك حب الدرهم والدينار؟ .. متى تدعي الإخلاص للمرشد وأنت مخلص لحظك وهواك؟ .. تنشر ذكره لسلب أموال الناس. لو كنت صادقا لصغرت في عينيك الدنيا لنوال رضا. هل لو أمرك أن تقيم غيرك مقامك في الرياسة أو الخلافة عنه، أو فيما نلت من مشيخة السجادة، أو مشيخة الضريح، أو استغلال مال الوقف، هل ترضى منه؟ .. حاشا، بل ولا من غيره، وتحاربه وتدعى أنه ليس على شيء. فهذب نفسك وزكها أيها المريد.

ثامناً: أن يتأدب إذا جملة الله بلسان الحكمة:

يلاحظ الداعي إذا جملة الله بلسان الحكمة وألبسة حلة الجمع أن يتأدب بأدب معرفته بقدر نفسه، فلا يخطر على قلبه أنه رجل، أو باب، أو نائب، أو خليفة عن الرجل، أو يشير أنه واسطة للرجل من الأمور التي يدعوها إليها حظ خفي، وخبث في النفس ورعونة، وليعلم حق العلم أن هذا الفضل العظيم لم ينله لو لم يفز بنعمة الله عليه بمعاصرة الرجل، وبتوفيق الله له باتباعه، وبهداية الله له بفهم إشاراته وعباراته، خشية أن يكون الضرر به لعباد الله متحققا، وذلك أنه إذا أثبت لنفسه صفة، أو حصل له زهو وغرور بنفسه، ودعا الناس وتلقفت الأذان عبارته، فسكنت في الأذن ولم تصل إلى القلب، فيحصل الإقبال من الخلق بقدر سماع الأذن، ثم ما يمكنون إلا وينقلبون على وجوههم، وتحصل منهم المضرة، وربما تعدت المضرة إلى المرشد الذي لو أنهم اقتدوا به لسعدوا ووصلوا ونجوا .

فتنبه أيها الداعي، ولاحظ تلك الآداب ملاحظة من سعى لنجاة نفسه ونجاة الخلق أجمعين.

تاسعاً: ألا يترك الأسباب توكلًا:

العلماء والمرشدون إذا دعاهم داعي اليقين من قلوبهم أن يشتغلوا بالنفع العام ويتركوا الأسباب توكلًا على مسبب الأسباب، كان ذلك حسنًا إذا لم تحصل الغفلة للقلوب عن حسن النية في البداية، وصدق العزيمة في القصد، فتميل القلوب إلى طلب الدنيا بالتردد على أبواب الملوك، وزيارة الأغنياء، والتجمل للخلق. وعلى الداعي إلى الله إذا كانت بدايته حسن التوكل على الوكيل الأكبر سبحانه وتعالى، واعتراه ما ينقص هذا المقام في قلبه، أو يجعله يلتفت إلى الخلق ويطمئن بقلبه إليهم، أن يجاهد نفسه ليرتقي إلى مقامه الذي نزل عنه، أو يرجع إلى الأسباب خشية أن تخرجه الغفلة إلى الخروج من التوكل على الله والثقة به إلى التوكل على غيره وثقته بالخلق، ويظن المسكين أنه من أهل مقام التوكل مع سكون نفسه إلى الخلق وطمأنينة قلبه بهم، كما فعل كثير من أهل الصفة رضوان الله عليهم، فإنهم تركوا التجريد وقاموا في الأسباب محافظة على مقام التوكل على الله في الأمرين، ومنهم من تولى الولايات .

ولا ينسى تلك الآداب وتركبة للنفس إلا من حُجب، وكان من الذين أذهبوا طبيقتهم في حياتهم الدنيا، وسبب ذلك من دسائس الشيطان، فإنه يزين له الراحة والسيادة والتلذذ، ويفتح له أبواب التأويل الناتج عن خفي الحظ ودقيق الهوى ولقس النفس، فعلى المستبصر أن يزن نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وعمر الدنيا وعمر الآخرة، ويتدبر، ولا يكون كالحنون الذي يلقي بنفسه من شاهق الجبل ليستريح من تعب الانحدار على الطريق الموصل إلى الأرض، فلا يصل إلى الأرض إلا ممزقا، وكذلك الذي يستبدل الدنيا بالآخرة ويرضى بتلك اللذة العاجلة، كأنه تعجل بنفسه السقوط في الهاوية.

عاشراً: أن يكون عالماً بأحكام الشريعة وعلوم النفس:

إذا كان المرشد عالماً بأحكام الشريعة وعلوم التوحيد، وعلوم النفس وطرق تركيتها وتخليصها وتحليلها، كان الإمام الحجة الثابت، مرجع السالكين، ومقصد الراغبين، والواجب

على من تعلم علوم الأحكام وفنون الكلام أن يتبعه ليتعلم علوم التوحيد، ويزكي نفسه بصحته، ويظهر أخلاقه بالتسليم له، وعلى السالكين من أي طريق أن يتبعوه - ولو أنهم تكملوا بالرياضة والتزكية وطهرت أخلاقهم - ليدوقوا باتباعه حلاوة التوحيد، ولذة التزيه والتشبيه، وتنكشف لهم إشارات القرآن الشريف، وحكمة متشابهة، ونور محكمه، وتظهر لهم أسرار حقيقة ذاتهم وغيب صورهم، وتفلك لهم مر موزات حقيقة أنفسهم مما يحلو به الحال ويحسن به المآل .

أما إذا كان العالم بعلم الأحكام وفنون الكلام، فالواجب عليه أن يعتقد أنه أوتى قليلا من العلم، وأن ما تحصل عليه لا ينتج المطلوب من كشف أسرار الآيات، وانبلاج أنوار البينات، والتخلق بأخلاق الله، والخشية من الله. والواجب عليه أن يسعى بالبحث عن رجل زكت نفسه، وطهرت أخلاقه، وكمل يقينه بيوم الحساب، وصار على مزيد من الإيمان ليتهذب على يده، ويتجمل بالأخلاق بصحته، ويتمرن على الأجل من العمل والمعاملات والقول، ليفوز بالسعادة الحقيقية.

حادي عشر: أن يبادر إلى العالم فيما يجهل:

الداعي الذي يجهل بعض مسائل في أحكام الشريعة، أو في الآيات الدالة على الذكر والتدبر، يجب عليه أن يبادر إلى العالم ويتبع متواضعا له ليتحصل على ما به كماله، ومن تواضع لله رفعه. ومتى كان كل واحد منا يسعى لنجاة نفسه فلا يبالي أن يسلك سبل النجاة ولو كانت على شاق جبل، وأن يعد لها العدة التي يعتقد أنها تعينه على نجاة نفسه وحفظها، ولو باتخاذ الكلب والدابة وغيرهما، وهذا في نجاة النفس من توهم الموت، فكيف في نجاتها من العذاب الأبدي ؟ .

لعمري !! لئن تصور الإنسان هذا، لأنجى نفسه ولو بخدمة جاهل يهذب أخلاقه. أما من غرهم زهرة العاجلة، وعظمت في قلوبهم الدنيا، ولقست نفوسهم برجس الرياسة والعلو بغير حق، بأن يكون عالما أخذ شهادة الأزهر، أو خليفة عن الطريق الفلانية، أو مدرسا، أو شريفا، أو ابن الولي الفلاني، أو ابن الأمير، أو ورث من والده مالا وشهرة فانطمست

بصائرهم، وأعمت تلك البلايا قلوبهم، فأنكروا فضل الله أن يناله غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ ^(١) واستحققوا عباد الله في أعينهم أن يؤتيهم الله فضله، وحرموا علم أنفسهم ومعرفة الأسرار الخفية فيهم، وتلذذوا في تلك الدار الفانية القصيرة، حتى إذا جاءهم اليقين تمنوا أن لو عملوا الخير، ولات حين مندم .

دعوة إلى الاقتداء بالسلف الصالح:

فيا أيها العلماء والمرشدون، والخلفاء عن الطرق، وأبناء الأشراف، وورثة أهل العلم بالله والفضل: أنتم الأنجم في أفق العامة، فإذا هوت تلك الأنجم كيف تكون حالة الناس؟ وإذا كسفت تلك الكواكب فبم يهتدي الناس؟ .. هلا اقتديتم بسلفكم الصالح فزكيتم أنفسكم، وجاهدتموها حتى أطاعتكم، فملكتموها قبل أن تملككم، فكنتم بدور هدى كما كان سلفكم، وأنجم دلالات كما كان آباؤكم ومشايخكم ومن سبقكم، وأئمة للمتقين من أهل عصركم وذريتكم .. ولكن غركم علم بظاهر من الحياة الدنيا لم تتعلموه إلا للتقرب به من الأمراء، ونوال الجاه في الدنيا والوظائف العالية، وغركم نسب يطالبكم أن تشبهوا بأبائكم وإلا كنتم ظالمين لأمهاتكم .. وإلا فبحقك ! متى غرست بطيخا فأثمر حنظلًا؟! .. هلا قذعتم ^(٢) النفس عن غيها؟ .. رحمة بذكرى من أسهروا لله عيونهم، وأجاعوا له نفوسهم، وجاهدوا فيه سبحانه حق جهاده حتى سخر الله لهم ملكه وملكوته، وجدد الله بهم معالم السنة والكتاب، ألا تخرجون أن توسموا بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ^(٣).

يا خلفاء الطريق إلى من تسيرون ؟ ولمن تعملون ؟ :

يا خلفاء الطريق: أنتم تسيرون مع من معكم إلى من؟ وتعملون لمن؟ فإن قلتم: نحن سائرون إلى الله ونعمل لله، أقول لكم: يا إخواني: الطريق الذي سلك عليه السائرون إلى الله

(١) من الآيتين ٣١، ٣٢ من سورة الزخرف .

(٢) قذعه: أي كفه ومنعه، فالمراد هنا: هلا كففتم أنفسكم ومنعتموها عن غيها ؟ .

(٣) الآية ٥٩ من سورة مريم .

معلوم لا يجهل، معروف لا ينكر، فهل عليه سلككم؟ وعلى جادته فحجتم؟ ومن الميل عنه تحصنتم؟ إن كان ذلك فلم الاختلاف بينكم؟ ولم الشغل بالمنافسة فيما لا ينفع؟ .. عجا لكم!! لو أنكم على الطريق المستقيم والنهج القويم سرتم، ويحصون أمنه تحصنتم، لترع الله ما في صدوركم من غل، ولأشهدكم من جمال آياته وعجائب قدرته و غرائب حكمته ما به تبتهج أنفسكم فتسكن إلى الله، وتطمئن قلوبكم فتحب الله، وتلين أعضاؤكم فتعمل بطاعة الله.

الطريق المستقيم يا إخوان أقرب الطرق، هو كما قيل: من لحة تقع الصلحة، وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١) وكما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢) فتنبها إخواني، واجتثوا بإخلاص وصدق عن الصراط المستقيم، والطريق القويم الموصل إلى الحق، الذي تنالون به النجاة من عدوكم والفوز بالنعيم الأبدى، فاسلكوا عليه مستبشرين بنعمة من الله وفضل، فرحين بفضل الله ورحمته، محقرين للدنيا وزهرتها، معظمين لله سبحانه راغبين فيما عنده من النعيم المقيم والبهجة الدائمة والسرور الأبدى. وإلا فالأولى لكم يا إخواني أن تشتغلوا بالدنيا للدنيا، وتتركوا العمل للأخرة حتى يمن الله تعالى عليكم بسلامة القلوب وإخلاص النية، ويدلكم على الطريق المستقيم.

ولمن تعملون؟.. إن قلتم لله، أقول لكم: إن كان العمل لله فلم تنشطون أمام الخلق وتحسنون العمل وتكسلون الخلوة؟ بل فلم تتحملون أمام الناس وتعصون الله في الخلوة؟ بل فلم تحملون ظاهرهم وفي قلوبكم من الحقد والغل والحسد والهوى ما لو ظهر للناس لرجوكم أو قتلوكم؟ .. كل واحد منا أعلم بنفسه من غيره ، أنا إنما أكتب عما كان في نفسي ، ولا ينبئك مثل خبير ، وإنما الدليل من سلك الطريق وعلم مفازاته وصواته^(٣)، وأماكن الخوف منه

(١) من الآية ١٨٦ من سورة البقرة

(٢) من الآية ٦٩ من سورة العنكبوت

(٣) الصوى جمع صوة ، والصوة هي ما غلظ من الأرض وارتفع ، وفي الحديث الشريف " إن للإنسان صوى ومنارا كمنار الطريق".

والأمن، ورجع لإخوانه فرسمه لهم بتصوير العبارة أو بصورة الخطوط بل لم تذكر الأعمال أمام الناس وتنشرون الخصوصيات التي بينكم وبين ربكم ؟ هل أنت معصوم لم تفعل سيئة قط ؟ لو كنت تعمل لله لأكثر من ذكر مساوئك ، ونسيت القربات وأخفيت عنها عن الناس . ولو كنت تعمل لله لواجهك بأنوار جماله ، وقربك لحضرة معيته ، وصبغك بصبغته ، وأطلق لسانك بالحكمة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^(١)

وكما قال الله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾^(٢) ولجملتك بالجمال الذي جعل به من أطاع الله ورسوله بقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾^(٣) ولكم لك بالنعوت التي نعت بها أهل معية حبيب محمد ﷺ وآله في كل كتبه المتزلة في سر قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾^(٤).

تنبيه للمريدين:

فتنبه أيها المريد، واعلم أنك دخلت الطريق لتسير إلى مولاك، ولتخرج من هواك، ولتتحصن بحصون الأمن من مخالفة الله ورسوله، ومن وسوسة الشيطان الرجيم، ومن الاقتداء بخبيث لثيم. الحمد لله، قد وضع الحق لذي عينين، فما بقى يا إخواني إلا أن نتخلص من شباك حظوظنا وأطماعنا، ومن قيود هوانا وجهلنا، ونجتمع جميعا لتعاون على البر والتقوى، ونترك التعاون على الإثم والعدوان، ونسارع إلى مغفرة من ربنا ورضوان كما قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾^(٥) الآية، إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٦).

(١) من الآية ٣٠ من سورة الكهف .

(٢) من الآية ٦٤ من سورة يونس .

(٣) الآيات ٢، ٣، ٤ من سورة الأنفال .

(٤) من الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٥) من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران .

إرشاد لأبناء الأمراء والأغنياء:

وأنتم يا أبناء الأمراء والأغنياء، كأنكم رضيتم بالحياة الدنيا واطمأنت قلوبكم بها وأترفتم فيها، لو كنتم تعقلون لصعب عليكم التمتع بنعمة لم يجهدوا أنفسهم في تحصيلها، ولم تعملوا عملاً نافعاً مبادلة لها، صغرت نفوسكم حتى رضيتم أن تكونوا أقل من البعوضة التي تكبر نفسها عن أن تأكل من رطوبات الأرض المتوفرة، فترتفع إلى الجو لتعمل وتأكل من عملها، عطلم أعظم قوة أودعها الله فيكم، حتى صرتم والنبات سواء، يمر عليه النسيم برطوبته، ثم تطلع عليه الشمس بجرارها، وتمده عيون الأرض بالغذاء والماء. أستغفر الله.. لقد نقصتم النبات وظلمتم، لأنه يعمل أهم الأعمال: ينتج لنا الغذاء ومادتي الملابس والفرش وآلات العمارات والصنائع، وينفع بظله وطيبه ولونه. فإذا كان النبات يستنكف أن يكون مثالا لهم.

أين تلك النفوس التي أولدتكم؟ .. كلنا نعتقد أنها كانت نفوساً كبيرة. عملت للدنيا حتى تحصلت عليها، وفكرت في مراتب المجد فيها حتى ارتقت إليها، وعملت للنفع حتى أحببتها القلوب وسخرت لها الناس. هل أنتم أبناؤهم؟ أو أنتم منهم؟ فإن كنتم كذلك، فأين المشاهدة بين الفرع والأصل؟ .

تنبهوا، ودعوا الترف، ولا تظنوا أن كمالات الإنسان مأكلاً ومشرباً ومنكحاً وعمل كل ما يخطر على البال، تلك - والله - ملاذ أدنى البهائم، وسعادة أسفل الحيوانات كالخنازير واليوم والغربان قوموا من نومة الغفلة واستيقظوا من رقدة الجهالة، وكما ورثتم كنوز آبائكم فجاهدوا أنفسكم لتعلو هممكم، وتنالوا مزاياهم حتى تكونوا ذكرى لهم ويقتدي بكم من بعدكم، وجهوا هممكم إلى الأعمال التي ينتفع بها إخوانكم في الدين والوطن نفعاً لدنياهم ودينهم، وإلا كنتم كبلاء على الأمة في الدين والدنيا.

أما بلاء على الأمة في الدين: فإنكم تجاهرون بترك الدين، والاستهانة به، وعمل ما حرم وترك ما أمر، فتستبدلون بالحج السياحة للتره في بلاد أجنبية، تنفقون فيها ما أهلككم في حاجة إلى جزء من ألف منه، ووطنكم في فقر إلى بعضه، وربما كان العمال الذين اكتسبتم

(١) من الآية ١٣٤ من سورة آل عمران .

بواسطتهم تلك الأموال يكاد الجوع يهلكهم، والبرد يقتلهم، والحر يمرضهم، وأنتم لا ترحمونهم، ولا تعتنون لتحسين مستقبلهم ولا لتربية أولادهم، الرجل منكم لا يأمن على نفسه - في الأكل والشرب والمنكح والنوم - إلا من ليسوا من أهله ولا من دينه ولا من وطنه، فيكون البلاء بهم أعظم .

أما البلاء بالمترفين على الأمة في الدنيا: فإنهم لجهلهم بنعمة الأموال وغفلتهم عن قدر الاحتياج إليها، ربما أضاعوا ثروة آبائهم في محرم، فانتقلت من أيدي أبناء الوطن المسلمين إلى أيدي الأجانب الذين هم ليسوا بمسلمين، فليت آباءهم كانوا عقماء ولم يخلفوا وراءهم هذا السوء. فتنبهوا، فإنكم لو تنبهتم نبهتم الأمة، لأنكم يمكنكم أن تفعلوا الخير بما من الله به عليكم من الأموال. ، ولأن أكثر الناس يقلدونكم، فقوموا إخواني بالأعمال النافعة كإنشاء المصانع والمعامل ودور الكتب، مجالسة العلماء العاملين، وإنشاء المدارس للعلوم النافعة، وتربية أولاد الفقراء، وعمل المستشفيات، والمساعدة إلى تأدية فريضة الحج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، والابتهاج بالأعمال الدينية، وإكرام العلماء والصالحين، لتكون لكم السيادة في الدنيا، وتكون لكم السعادة في الآخرة، والله أسأل أن يحفظنا من المعاصي والفجور، وينفعنا في الدنيا والآخرة وينفع بنا آمين.

الفصل الرابع

آداب المتعلمين والمريدين

صحبة العلماء:

معلوم أن الإنسان هو حيوان ناطق، وأنه إذا أهمل صار أقل من أرذل الحيوانات، وأضر من الشياطين، وإذا تعلم وتربى رقى إلى أن يصير في مقعد صدق عند مليك مقتدر، تؤانسه الملائكة الروحانيون، ويكون له في الجنة ما يشاء، تتولى جميع شئونه الملائكة يدخلون عليه من كل باب بالتحية والإكرام، وإنما يصل إلى هذا المقام العلي بالعلم النافع، والعمل الخالص لذات الله تعالى، وتركبة النفس، والتخلق بأجمل الأخلاق. ولا ينال هذا كله إلا بصحبة العلماء العاملين والأفراد الراسخين في العلم.

فإذا ميزت أيها الأخ البار بين منزلة أعلى عليين وهوة أسفل سافلين، وتصورت أنك لا تبلغ تلك المكانة العلية، وتخلص من تلك الهوة والبلية إلا بالعالم الرباني، العامل الروحاني، وفكرت في الذي تحب أن تتقرب به إليه، وتقدمه له لتحل من قلبه محل الرحمة بك، والعناية والشفقة عليك والرعاية، وبذل ما في وسعه لتخليتك من الرذائل والرعونات، وتخليتك بالكمالات، أظنك لو ظفرت بمثل هذا الرجل، وتحققت باليقين أنه هو المطلوب الذي به نيل المقصود، رأيت أن بذل مالك له شيء قليل، وقيامك بين يديه لخدمته أمر يسير. عن سيدنا معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ وآله أنه قال: « ليس من أخلاق المؤمنين الملق إلا في طلب العلم »^(١) وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: « ذَلَّتْ طالبا فعَزَزَتْ مطلوباً » وقال ﷺ وآله: « خِيَارُ شَبَابِكُمُ الْمُتَشَبِّهُونَ بِشِوْخِكُمْ، وَشَرَارُ شِوْخِكُمُ الْمُتَشَبِّهُونَ بِفَتْيَانِكُمْ » وقال ﷺ وآله: « من تشبه بقوم فهو منهم »^(٢) وقال ﷺ وآله: « هَلَا

(١) هذا الحديث أورده السيوطي، وقال رواه البيهقي في شعب الإيمان عن معاذ، ولفظه: " ليس من أخلاق المؤمنين التملق والحسد إلا في طلب العلم " انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٣٩ رقم ٧٦٧١ .

(٢) رواه أبو داود عن ابن عمر، والطبراني في الأوسط عن حذيفة، قال السيوطي: حسن، انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٥١٠ رقم ٨٥٩٣ .

سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال ^(١) وقال ﷺ وآله: «حُسْنُ السُّؤالِ نصفُ العلم» ^(٢).

آداب الطالبين للعلماء:

فآداب الطالبين للعلماء، أن يعلموا حق العلم أن العلماء تصحب لثلاثة أمور:

١- المحافظة على تحصيل علومهم وفهمها فهما حقيقيا يطمئن به القلب، والسؤال منه عن كل ما وقف عن إدراكه الفكر، أو قصر عن فهمه العقل، ليبينه بمثلٍ تقربه، وكشف مالا يستبين للعقل بحجةٍ تقررره أو برهان يؤيده، ويلزم في هذا القسم الأول أن يقيد ما يتلقاه في بطون الدفاتر خشية من ضياعه أو نسيانه.

٢- التشبه بالعلماء الروحانيين في أساليب عباراتهم، وطرق تعليمهم، وفنون استدلالاتهم، وحميل أحلاقهم، ولطيف سمتهم، وظريف هديهم، حتى يكون نسخة كاملة طبق الأصل، ولا يصل إلى هذا المقام العلي إلا إذا كان العلم مطلوباً لذاته، مرغوباً فيه للوصول إلى الحق سبحانه، وللعمل بما يرضيه جلت قدرته، وللمعاملة التي يجبها تزهت ذاته، لأن من تحقق بتلك الحقيقة تلقى العلم الحقيقي من العالم بالقول والعمل والحال، فإن العالم الرباني السوارث لرسول الله ﷺ وآله قوله علم، وعمله من عبادات ومعاملات وحقوق لذاته علم، وأحواله من بسط وقبض وأنس ووحشة وتواضع وعزة في النفس وغير ذلك علم.

٣- العمل بما علمه من غير تأنٍّ، ولو كان في العمل عناء لنفسه، أو ضياع لماله وجاهه، أو فقد لعضو من أعضائه إذا اقتضى ذلك العلم. بذلك يعلمه العلم اللدني الذي لا يمكنه أن يتعلمه من غير الله تعالى، وليحذر أن يميل عن العمل بالعزائم في خاصة نفسه ويعمل

(١) رواه ابن ماجة من طريق الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس: أن رجلاً أصابه جرح على عهد رسول الله ثم أصابه احتلام فأمر بالاغتسال فمات فبلغ ذلك النبي فقال: "قتلوه قتلهم الله أو لم يكن شفاء العي السؤال" ورواه أيضاً أبو داود وأحمد والدارمي والدارقطني. انظر كشف الخفا ج ١ ص ٢٤٧.

(٢) هذا الحديث رواه البيهقي والعسكري والديلمي والقضاعي عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ "الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتوود إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم" ورواه الطبراني أيضاً مع اختلاف في اللفظ عن هذا الحديث. وله شواهد أخرى، انظر كشف الخفا ج ١ ص ١٧٩، ج ١ ص ٤٣٠. انظر السيوطي الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٧.

بالرخص والتأويلات التي تحتملها بعض ألفاظ الأحكام الشرعية، فإن فهم الرخص وفهم التأويل - وإن كان علما - إلا أنه جهل إذا تعلم الرجل العلم ليتبع الرخص ويعمل بالتأويلات الملائمة لحظه وشهوته وهواه، ومن قدم حظ نفسه على حظ ربه لم يخش ربه، ومن لم يخش ربه فليس بعالم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) فإن قال: إني عالم. نقول: عالم بالحيل وفتح أبواب الذرائع.

الأدب مع العالم الرباني:

إذا كنت - أيها الأخ البار - اتبعت العالم الرباني فاصبر يا أخي على جفوته إن جفا، فإن للعلماء دلة على الطالين، وامتحانا لأخلاقهم، واختبارا يكشفون به ما طوى عنهم من فطرهم، واعتبر يا أخي من التماس سيدنا ومولانا موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام من العالم بقوله: ﴿هَلْ أَتَبِعُكَ﴾^(٢) ففي لفظة: (هَلْ) الاستفهامية دليل على أنه لا يكلفه ولكن يلتبس منه، وفي قوله: (أَتَبِعُكَ) ما فيها من التملق للعالم تشعر بأنه جاء مقتديا مأمورا ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾^(٣).

انظر يا أخي إلى مقام كلم الله ومتزلة ذى العزم، كيف تواضع للعلم وذل له وهاجر إليه، فإذا كانت هذه حالة كلم الله ﷻ وآله ﷺ في طلب العلم والسعي للعالم، فكيف بك أيها الأخ؟ اعتبر بقول العالم له: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٤) وفي هذه العبارة من الدلال، ونظر، ونظر المتعلم بنظر المتبع الصغير ما في ذلك، وتفكر في تعليل ذلك بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(٥) لأن العالم الرباني العارف الروحاني، يعمل أعمالا عن سر القدرة وعجيب الحكمة ينكرها العابد، فكيف بالنبي؟ وقد علم العالم أن الذي يكلمه من أولى العزم، وأنه سيدنا موسى بن عمران، وتحقق أن الأعمال التي يعملها منكورة عند

(١) من الآية ٢٨ من سورة فاطر .

(٢) من الآية ٦٦ من سورة الكهف .

(٣) من الآية ٦٦ من سورة الكهف .

(٤) من الآية ٦٧ من سورة الكهف .

(٥) الآية ٦٨ من سورة الكهف

العباد- فضلا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- وتأمل في إجابة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(١) فكأنه أقره على أنه يمكنه أن يشهد الأعمال التي ينكرها ويصبر عليها، وأنه يطيعه إذا أمره بأمر لا يظهر له وجه الحكمة فيه.

هذا هو أدب الله تعالى الذي أدب به رسله صلوات الله وسلامه عليهم فتأدب أيها الأخ الطالب بهذا الأدب مع العالم الرباني، والعارف الروحاني، والراسخ في العلم المتمكن، وتيقن أن عمله علم، وقوله علم، وحاله علم، فما انكشف لك وجهه فاعمل به مطمئنا .

واشكر الله على ذلك، وعلمه غيرك. وما لا ينكشف لك وجهه فاحفظه في ذاكرتك أو مذكرتك، واحفه عن غيرك، وتأوله أو سلّمه حتى تنكشف لك حكمته من العالم، أو يجعل الله لك نورا يورثك به علم ما لم تعلم، لأن الذين أخبر الله عنهم أنهم يخشون الله، يجب علينا أن نتحقق من آية القرآن أنهم يخشون الله في أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم، ومواجيد قلوبهم، وفي الخلوة والمجتمع، وإلا، فمن كان يخشى الله في عمل ولا يخشاه في غيره فليس بذي خشية.

زلل العلماء :

وإن للعلماء زللاً كما قال ﷺ وآله: « أَتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ وَانْتَظِرُوا فَيْتَهُ »^(٢) فإذا زل العالم أمامك زلة بأن أخطأ في حكم، أو احتد عند إظهار الحق، أو اهتم بأمر من الأمور البسيطة، كأكل أو شرب أو لباس أو فراش أو ما أشبه ذلك، فغض بصرك، وافرض أنك لم تر، واستر هذا الأمر، والأولى أن تنساه مرة واحدة حتى لا يخطر على قلبك، حتى يفى العالم إلى الله تعالى، فإذا ذكر هذا الأمر أمامك مستغفرا، فأحذر أن تتحرك أو تتكلم خشية أن ينقبض صدره منك، وأحذر أن تقلده في شيء من ذلك، أو تنشر عنه هذا الأمر، وكن محافظا على ما يجب عليك شرعا، لا يبلغ بك الاعتقاد أن تراه معصوما من الهفوات الصغائر، أو أنه

^(١) من الآية ٦٩ من سورة الكهف

^(٢) هذا الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في السنن، عن كثير بن عبد الله عن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده. انظر الجامع الصغير ج ١ ص ٢٣ رقم ١٤٧ .

ملك من الملائكة لا يشتهي الأكل والشرب والمال والملابس ولا يحب التحف، فينتج عن ذلك مضرتان:

١- أن ترى ما يحصل منه سهوا من النقائص كمالات، أو ما يقع من الصغائر طاعات، فيكون ذلك سببا في الحرمان من العلم، وهي مضرة التغالي في التسليم.

٢- أنك إذا اعتقدت ذلك، وحصل من العالم ما ليس مترها منه، ولا معصوما عنه، صغر في عينيك، وانقبض صدرك منه، وحرمت النفع به، وذلك لجهلك بمعرفة العلماء.

تعظيم المرشد:

أيها المريد: كن على يقين أنك بصحبتك للعلماء الراسخين، لا تزداد في كل يوم إلا حبا فيهم، ورغبة وتعظيما لهم ما دمت قد منحك الله السابقة الحسنى. قد يخطر على بالك - أيها السالك المسترشد - أنك صرت على علم إذا أنت غبت عن العالم زمنا ما، ولكنك بحضورك في مجلسه، وبسماعك علومه، تحقّر الدنيا أمامك، وتعظم الآخرة لديك إذا كنت سالكا، فإذا كنت ممن أنس بمعرفة نفسه، وفتح له كثر حقيقته، وتناول من طهور أسرار معانيه، علت همته عن الدنيا، وكبرت نفسك عن أن تشغلها بكون أن تقف بها عند كون، واشتقت أن تجاهد نفسك سعيًا وراء الفوز بالنعيم الأبدي، رغبة في المكوّن سبحانه، وعظم الرجل في قلبك حتى صار في أعلى المراتب منك، تعظيما للمقصد الأعظم، واحتراما للغاية القصوى التي جعله الله سببا لنوالها، وميزابا لفيضها، وبابا من أبواب الوصول إليها .

وليس كل مَنْ صَحِبْتُهُ يرشدك هو ذلك الرجل، لا، الرجل لا يعرفه إلا أولياء الله، ولا يصل إليه إلا من أراد الله أن يوصله إليه، ولا يحبه إلا من أحبه الله. سبق لك يا أخي حادثة سيدنا ومولانا موسى بن عمران مع العالم، هل وصل إليه إلا بعد أن أمره الله تعالى؟ وهل عرفه إلا بعد معرفة الله تعالى ؟ .

تلك الآداب التي أكلفك بها - أيها السالك - إنما هي للعالم الرباني، العارف الروحاني، الذي حققه الله بالخشية منه، وأخبرنا الله تعالى أنه عالم. إذا ظفرت به - يا أخي -

فاجعله روحك التي بها حياتك، ونفسك التي بها قيامك، وإمامك الذي لا تخالفه، واعتقد أنك به تكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وبغيره تكون مع العامة الهمج الرعاع. وإن خفيت عليك معاملة، وانمحت آثاره، ولم تستدل عليه، ولا على من استدل عليه، فاصحب من ينهضك حاله، ويدلك على الله مقالته، وخذ منه ودع، واعمل بعمله واترك، سلامة لنفسك من الآفات، ومحافظة على دينك وأخرك .

أسرار الرجال منا كير عند غيرهم :

أيها المرید المخلص: سارع في مرضات العالم، وكن حكيما، لا تبخ لغير نفسك أسرار، ولا تظهر لغير عقلك كمالاته، فإنك إن فعلت غير ذلك كنت مدعيا حبه، وساعيا في ضره، وربما ظهر له فنفر منك نفرة صرت بها محروما، أو سقطت من قلبه سقوطا تصير به مبعودا، لأنك إذا أبحت أسرار غيرك - وأسرار الرجال منا كير عند غيرهم، ومقامات الرجال مستحيلة عند من لم يؤهلهم الله تعالى لهذا العلم، فإذا كنت تعلمت العلم لتنال السعادة فاشكر الله على ما كشف لك من أسرار العالم، وعلى ما منحك من التسليم له والتصديق، وما فهمك من مرموزات إشاراته، وحقيقة عباراته، وابخل بها على غير نفسك، غيرة على الحكمة أن يعلمها غير أهلها، فإذا خالفت هذا، وفتحت على الأستاذ باب الإنكار عليه، ونهت ألسنة السوء إليه - بما أبحته من علومه، وما أظهرته من أسرار - فأنت صديق جاهل، والعدو العاقل خير من صديق جاهل .

حسن إتباع العالم :

من أكمل آداب المتعلمين للعلماء أن يجعل نفسه خادما للعالم، وأن يرى أن كل ماله، وما من الله به عليه - من العلم والجاه والمال والأولاد والإخوان - تحت تصرف العالم وإشارته، متحققا بذلك، معتقدا أن ذلك نجاة له وسعادة في الآخرة، ويرضى من كل شيء بالدون، ويجعل خير كل شيء مبدولا للعالم، بحيث يكون مشغولا في سره وعلنه بإتباع العالم، والافتداء به، متباعدا عن مخالفته، محافظا على إكرامه وكرامته، وإذا رأى من نفسه غير ذلك اتهمها، وخشي أن توقعه في الحجاب والغرور أو الغفلة، نعوذ بالله من ذلك، وليعمل ذلك كله ابتغاء وجه الله تعالى، ورغبة في نوال فضله ورضوانه .

بعض المريدين يجهلون قدر الرجل، فيتبعونه لحظ عاجل من حظوظ الدنيا، أو يجعلونه وسيلة ليوهموا الناس وينالوا أغراضهم، أو للشهرة والسمعة، أو لمدارة الناس، ومن هؤلاء تحصل المضار للرجل وللمخلصين من أصحابه، وهؤلاء أقرب إلى أهل النفاق منهم إلى أهل الإيمان، وقد ينتفع بعضهم فيتوب ويخلص، ومثل هؤلاء لا يخفون على العالم لأنه يعلمهم بسيماهم ولكنه مأمور أن يأخذ بالظاهر ويترك السرائر لله تعالى ولكنهم يخفون على غير العارفين من المرشدين. وإنما التحفظ منهم يكون بالتنبيه على الخلق لأن الذي يتساهل بالواجبات الشرعية وآداب الطريقة، الأولى هجره وطرده، خوفا من شره على الإخوان .

ورثة أحوال العالم :

بعض المريدين يعتقد في العالم عقيدة لا ينبغي أن يعتقدوها مريد سالك، وذلك مما يسمعون من إشاراته القدسية، وتلويحاته الروحانية، وكشفه لرموزات مُثل القرآن الشريف، فيعتقد المريد - لقصر عقله - أن تلك الإشارات والرموزات خاصة بالعالم، ولكني أئين له أن كل مريد صادق مستعد ومؤهل أن يرقى إلى أن يصير مجملاً بأخلاق الله، روحانيا كاملا، تسلم عليه الملائكة في الطرقات وتزل عليه البشائر والتحيات كل ذلك بصحبة العالم، والافتداء به، والسعي في تلقي علومه وأسراره، وكشف فهمه وأسراره.

أما من يعتقد في العالم أنه هو المتجمل بتلك المعاني، المخصوص بتلك الإشارات دون غيره، فتلك العقيدة توقف المريد عن أن يقتدي بالعالم، ويعمل بعمله، وعن أن تعلو همته ليترك الدنيا الغارة وراء ظهره، التي هي الحرص والتلذذ بالشهوات الحيوانية، والأمل المضر، ويقوم عاملا لله، نافعا نفعا عاما بقدر استطاعته، مجملا نفسه بجماله الروحاني، ومجملا جسمه بجماله الشرعي، وبذلك يرث أحوال العالم، ويشهد مشاهدته، قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسْرَ مَعَهُمْ »^(١).

(١) هذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه، ورواه الطبراني، والضياء عن أبي قرصافة بلفظ " من أحب قوما حشره الله في زمركم " ويشهد له الحديث: " المرء مع من أحب " المتفق عليه عن أنس وأبي موسى وابن مسعود. انظر كشف الخفا ج ٢ ص ٢٨٣، وانظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٧٨ رقم ٨٣١٧ .

لم أقل لك أيها المريد أن نفسك تكبر مرحا في الأرض، وغرورا واحتقارا للخلق وتصغيرا، ولم أقل لك إنك تصل إلى مقامات المرشد فتنسى فضله أو تساويه. أو تغفل عن شكره. ولكني أردت أن تكبر نفسك عن أن تدنس بالردائل، وعن أن تشتغل بالسفاسف، وعن أن تطمع فيما يزول ويفنى، وعن أن تتلذذ بما تتلذذ به الخنازير واليوم والكلاب والنمل من المأكّل والمشرب والمنكح والحرص. فلا ترضى إلا بالله ربا، ولا ترغب إلا في النعيم الأبدي، ولا تستأنس إلا بعمل الخير الحقيقي، ولا تتلذذ إلا بكشف أسرار الكائنات ومشاهدة الآيات .

لم أقل لك: إنك تصل إلى مقامات المرشد لتساويه في شهرة وتعظيم، ومشاهدة في مأكّل ومشرب وملبس، وعزة في النفس، وإقبال وجوه الخلق عليه.. لا.. ولكني أريد أن تساويه في معرفته لنفسه، وعلمه بحقيقته، وتخلقه بأخلاق ربه، ومشاهده القدسية، ومواجهته العلية، وفنائه عن نفسه، واحتقاره للدنيا، ورغبته في الآخرة، لا لملاذها الحسية، بل لأنوارها وأسرارها وبهجتها الدائمة القدسية.

إنما تعطي الحكمة لأهلها:

ما بينته في موضوع الآداب هو طلبة الراغبين، والضيعة المنشودة للمخلصين، تتعطش إليه قلوب من تزكت أنفسهم، ويتمسك به المسارعون إلى الخلاص من يوم الحساب والفوز بنعيم الجنات وحقيقة الرضوان، لا يقع نظر مريد صادق عليه إلا تمسك به، وجاهد نفسه في العمل به، وشرح الله صدره له، وأشهده بدائع حكمه، وكاشفه بالمواهب التي ينالها من تمسك، وهو سخف عند الجاهل المبعود، وخرافات عند عمى الطرف المطرود. فعليك - أيها المريد الصادق - أن تخفي - ما استطعت - تلك الإشارات والحكم عن غير أهلها، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٢).

(١) الآية ٧ من سورة يونس .

(٢) من الآية ١٨٥ من سورة آل عمران .

أيها الأخ الراغب في النجاة من هول يوم القيامة، الطامع في الفوز بالسعادة الحقيقية في دار الكرامة، جاهد نفسك، واقهرها حتى لا تقف عند هذا النعيم المحسوس واللذة العاجلة، وأحذر أن تأتي يوم القيامة فتنادى مع من أبعدهم الله بقوله تعالى: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾^(١).

إني أيها الأخ - وَدَّكَ اللهُ وَأَمَدَّكَ وَإِيَّايَ بِالْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْعِنَايَةِ - بينت لك طرفاً مما يتأدب به العالم والمرشد، والمتعلم والمسترشد من الآداب التي لو أهملت لكان العالم جاهلاً، والمرشد مضلاً، والمتعلم مفسداً، والمسترشد مغروراً، وإلما لأنوار لا تشهدها إلا عيون البصائر، ولا تسمعها إلا آذان الضمائر، فبشرى لمن كان له سمع يسمع به، وبصر يبصر به، وقلب يفقه به.

لا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين:

ما لا يمكنك - يا أخي - أن تقهر نفسك عليه، أو لم تفقه المراد منه، فتحقق أن ذلك - يا أخي - من لقس نفسك. فقم وتطهر ظاهراً وبضوء، وباطناً بتوبة وندم، وتوجه إلى ربك مصلياً ضارعاً متبتلاً، حتى يمنحك الله، ويمدك بما به تملك نفسك وتلين لك، وأحذر أن تتعاصى عليك نفسك، وتنفر عن عمل القربات والمصارعة إلى الفوز بالغفران والرضوان، فتعينها على ذلك وتحميلها، فإن ذلك مهواة البعد ومدارج القطيعة، أعيد نفسي وأعيدك يا أخي من هذا. وأحذر أن تقهر نفسك على عمل ما تنفر منه مرة واحدة خشية أن تمل، أو تنفر، أو تضل، أو يحصل الغرور لنفسك، ولكن كن رفيقاً بها، حكيماً، فرغباً وهوناً عليها.

أحذر أيها المريد الصادق أن تجالس أهل البطالة والكسل، أو أهل الغرور والجدل، أو أهل الغفلة والفساد، أو المكذبين بيوم الحساب، إلا بقدر الضرورة الداعية والحاجة القاضية، بأن تضطر إليهم فيما لا بد لك من مصالح دنيائك وضرورياتك أو في سفر. فإذا ابتليت بالاحتياج إلى أحدهم فدارهم، وتباعد عن مجانستهم بعد مجالستهم، فإن من جالس جانس،

(١) من الآية ٢٠ من سورة الأحقاف .

ومن جانس شاكل، واعلم أن الطباع جذابة أكثر من المغناطيس في جذب الحديد، فقد يجلس المبتدئ مع مخالفة في المذهب والرأي والاعتقاد فيؤثر عليه، لأن المرید الصادق يسعى في تزكية نفسه وحرمانها من حظوظها وشهواتها ليتحمل بالفضائل - وهي تنافر حظوظ النفس وشهواتها - ويرغب في نعيم الآخرة - وهي غيب - والنفس تميل إلى المشهود العاجل. فإذا جلس مع أهل الغفلة مِلَّوه إلى المحسوس الملائم، وهكذا كل فريق مما ذكرته لك مريض بمرض مجانسته تمرض النفس. أسأل الله تعالى أن يمنحنا اليقين الذي لا شك بعده، وأن يحفظنا من كفران النعمة وحرمان الرضا، ويحملنا بما يحب، ويمنحنا ما نحب، إنه على كل شيء قدير .

الباب الخامس

في تزكية النفس ووصايا للدعاة إلى الله

الفصل الأول

في أمراض النفوس وعلاجها

نتكلم في هذا الموضوع على التأديب الذي يلزم أن يلاحظه المرشد في إرجاع صحة النفوس لها، وعلى التأديب الذي يجب أن يقوم به المريد لحفظ صحة نفسه عليها، لأن المريد مطالب بواجبات عليه يجب أن يقوم بها لنفسه قبل كل شيء، لأن المريد أعلم بنفسه وأحرص على نجاحها وعلى تكميلها وفوزها، وكل مريد سلك الطريق لا بد وأن يكون على علم من الأخلاق الجميلة والأخلاق السيئة مالا يعلمه غيره ممن لم يسلك الطريق، ومن آمن بيوم القيامة الإيمان الكامل كان أهم شيء أمامه فوزه بنعيم الآخرة، ونجاته من عذاب النار، ولذلك فإنك ترى المريد المخلص أشغل الناس بعيوب نفسه، وأحرص الناس على المحافظة عليها من الوقوع في الأمراض أشد من حرص أهل الدنيا على صحة أبدانهم، وعلى حفظ أموالهم وحرمتهم، بحيث أن المريد الصادق لو سقط سقطة، أو زل زلة، أو هفا هفوة، أو غضب، أو احتد، أو بخل بما لا يبقى، أو أسرف فيما ينفع، أو تهاون في واجب، أو تساهل في عمل فضيلة، تحقق أنه كاد أن يهلك، فأخذ يداوي نفسه إن علم الدواء بندم واستغفار، أو توبة وإنابة وعمل قربات، وخروج من مال للفقراء، حتى يتحقق أنه عالج نفسه مما ألم بها من مرض المعاصي والردائل.

وإن كان حصل منه أمر دعاه إليه مرض في النفس من أمل أو طمع أو حرص أو حب علو في الأرض، أو تكاثر في الدنيا أو لسبب من أسباب المعاصي، كمجاورة من يفسد عليه حاله، أو نيل رزقه على يد قوم يسببون له أمراض النفس، أسرع إلى الطبيب الحاذق بأمراض النفس وهو المرشد الحقيقي، فرفع إليه الأمر بدون أن يستحي أو يخجل كما يكشف الرجل عورته والمرأة عورتها على الطبيب ليعرف المرض ويعالجه ويُفهم المرشد أنه يريد النجاة بأي دواء، فإذا كاشفه بحقيقة الأمر وظهر له أسباب المرض أمره بالعلاج النافع والدواء الناجع،

فقبله منه فرحا لأنه وجد لمرضه دواء، وأسرع إلى استعمال الدواء مبادرا بدون تأن ولا تأويل، هذا هو الواجب على المريد، ومن كان هكذا في بدايته فاز بأمرين عظيمين:

الأمر الأول: أنه يكون طبيبا حاذقا.

الأمر الثاني: أنه يكون وارثا من ورثة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - متصفا بصفات التوابين المتطهرين، منعما عليه بمحبة الله تعالى .

علامات أمراض النفس:

أما المريد الذي تمرض نفسه فيستر مرضه ويخفيه، حتى إذا ظهرت علاماته وكلمه فيه صديق له أو محب، نفر منه وعاداه وأنكر عليه ذلك، واشتغل بعيوب غيره فذلك ليس بمريد، إنما ذلك جاهل بنفسه عدو لها، سالك بها سبل الهلاك.

قلتُ: ظهرت علامات أمراض النفس - هل لأمراض النفس علامات؟ .. نعم لها علامات، كما أن لأمراض الجسم علامات، فإنك ترى الجسم إذا مرض فإنه قد يتغير عقل المريض، ولا تكون آراؤه صحيحة، وقد يعتريه النسيان والذهول وإنكار نفسه وأقاربه وأهله وتلك من مرض الجسم.

وكذلك إذا مرضت النفس بعشق شهواني، أو بعمل معاصي شهوانية، أو بغلّ وحسد، أو مرضت النفس بمرض الغضب والحماقة، أو بالحزن أو بغير ذلك، فإن الجسم يصفر ويرتعد ويضعف، وتنقص قوته وتقل شهواته، كما قدمنا من أن قوة العقل والفكر تضعف بضعف البدن، كذلك يضعف الجسم بمرض النفس، وأمراض النفس لا تخفى على المتوسمين.

أمراض النفس:

تمرض النفس لأمرين عظيمين:

الأمر الأول: اختلاف تركيب الجسم أو فساد المزاج.

الأمر الثاني: من سوء الاعتقاد والعياذ بالله تعالى.

أنواع تلك الأمراض:

أولاً - أنواع اختلاف التركيب وسوء المزاج:

- ١- فساد الرأي. ٦- التهيج مما لا يتهيج منه.
- ٢- البله. ٧- الغلو في كل شيء حبا أو بغضا، مدحا أو ذما.
- ٣- الحيرة في الأمر البسيط. ٨- الشره.
- ٤- ضعف الذاكرة. ٩- فساد التخيل وهي أهمها.
- ٥- عدم الفكر في غد.

ثانياً - أنواع فساد النفس من جهة فساد العقيدة:

- ١- الجدل.
- ٢- إنكار غير المحسوس.
- ٣- الشك في يوم القيامة.
- ٤- حصر الملاذ في تلك الحياة الدنيا.
- ٥- الحرص على الدنيا.
- ٦- حب المرء ذاته حبا يجعله يعق والديه، يقطع الرحم، يسيء إلى المحسن، يتمنى زوال نعم غيره ونوالها لنفسه.
- ٧- البخل بالمال حتى على النفس.
- ٨- ومن أمراضها بذل الفضائل لاكتساب شهواتها.
- ٩- التجرد من الحياء.
- ١٠- التهكم بالعلماء العاملين والعباد الزاهدين.
- ١١- تقبيح مجاهدة النفس وحبسها عن الشهوات والردائل.
- ١٢- غلوه في الحب لذاته غلوا يجعله يرى كل ما هو عليه فضائل وكمالات، وإن كانت من أرذل الردائل.
- ١٣- التلذذ بفعل الفواحش والمنكرات.

١٤- الفرح بالانتقام والأبىة.

١٥- ومن أمراضها: الجبن لخوفه على نفسه من الموت لاعتقاده أنه يموت ويفارق الملاذ والكرامات.

١٦- اليأس عند أقل مؤلم.

١٧- القنوط عند فقد الأسباب لجهله بالله تعالى.

١٨- ومن أمراضها التملق والتذلل عند الاحتياج، والغرور والطيش والكبر عند عدم الاحتياج لجهله بالمستقبل.

١٩- ومن أمراضها: الكذب تخلصاً من المؤلم، أو انتقاماً من عدو جهلاً بيوم الحساب.

٢٠- الغيبة والنميمة للإفساد بين الناس لينال خيراً لنفسه.

٢١- ومن أمراضها التجمل للخلق، والغفلة عن تحمل السريرة للحق، لأنه لم يؤمن بيوم القيامة.

٢٢- ومن أمراضها: الذل والتملق لمن يظن أنه ينفعه أو يضره في دنيا، والمصارعة إلى رضاه وكوفي معصية الله لسوء ظنه بالرزاق المقدر، حتى قد يبلغ به أن يستعمله من له عليه نعمة أو رياسة في عمل أكبر الكبائر، كأذية الخلق أو شهادة الزور أو التجسس والتحسس، أو الاشتراك معه في عمل الفواحش وارتكاب الرذائل، ويفرح المسكين بذلك ويرى في نفسه أنه وثق برزقه وضمن سعادته وأذل عدوه ونفع حبيبه، وينسى أنه سقط إلى مكان سحق وانحط عن المرتبة الإنسانية إلى أقل من رتبة الحيوانات الداجنة، واستحق مقت الله وغضبه وأليم العذاب يوم القيامة.

علاج تلك الأمراض:

أولاً: علاج الأمراض الناتجة عن اختلاف التركيب أو انحراف المزاج:

١- أهم علاج لاختلاف التركيب:

فأهم علاج لاختلاف التركيب أن يعتني بالطفل من صغره، فيعلم ما يستطيع تعلمه من الحرف النافعة لمعاشه التي تستغرق وقته فمارا في شغل، ثم يلحق أركان الإيمان وأركان

الإسلام، ثم تفصل له - من أركان الإيمان - الآخرة بمُثلٍ تنقش في نفسه من صغره، تجعله يشاق إلى النعيم فيعمل لنواله، ويخاف من العذاب فيتباعد عما يوقعه فيه، ثم يمرن على الأعمال الواجبة شرعا من الصلاة وغيرها من أول ما تندب عليه، ويحافظ عليه من صحة الأشرار والفجار ليكون أبعد عن موجبات أمراض نفسه المفطور عليها.

ومثل هذا لا دواء له إلا الرضا منه بما أهل له، وعدم مطالبته بما لا طاقة له عليه، من أعمال الفكر والتدبير والتبحر في العلم، وخير له أن يعيش بين نظرائه في العلم والفكر بشرط أن يكونوا أتقياء، وأن يكلف بكثرة الأذكار والأعمال البدنية ليشغل بها عما يوقعه في المرض، كما يتحفظ على الأطفال والصبيان من الوقوع فيما يضر أبدانهم.

٢- علاج أمراض النفس الناتجة عن انحراف المزاج :

تقدم بعض أنواع تلك الأمراض وأهم علاج لها العناية باعتدال الأمزجة، ورد الصحة على الجسم، وهذا منوط بفن الطب الجسماني.

ثانيا: علاج أمراض النفس الناتجة عن فساد الاعتقاد :

اختلف العلماء في هذا الموضوع فمنهم من رأى أن الإنسان يتخذ له صاحبا يسأله عن علوم نفسه، وليست هذه بالطريقة المهيئة للشفاء، واستحسن بعضهم أن يعلم عيوبه من عدوه، وإني أرى أن هذا الدواء لا ينفع إلا للأخيار، لأنه لا ينتفع من عدوه إلا الرجل التقى الورع، وأرى أكثر الناس يتغالى كل واحد في إذلال عدوه، ونسبة عيوب له ليست فيه لمهانتة وعداوة الناس له. ولذلك فليس هو الدواء الوحيد إلا للكامل العالم الذي إذا سمع عدوه ينسب إليه عيبا من العيوب بادر بمحوه واستبداله بفضيلة ومكرمة، كما إذا رأى في عينيه قذى أو على وجهه أوساخا بنظره في المرأة، بادر إلى نظافة وجهه، وإني إذا تكلمت في هذا الموضوع فلنما أتكلم عن تجربة في نفسي، ومعرفة بآداب أهل التقوى والصلاح من السلف ومن عاصرتهم، وعن خيرة ومزاولة لأمراض النفوس وأخذ في علاجها.

لما كان علم الطب الجسماني يراد منه أمران: حفظ الصحة وردها إذا فقدت، وكان حفظ الصحة على الجسم يقتضي التوسط فيما لا بد منه للجسم، والحفاظة عليه مما لا يتحمله،

والعناية بمواد الأغذية من جهة النظافة والجودة والسهولة والمقدار، ومراعاة الوقت المناسب، والبعد عن المؤثرات الشديدة، كل تلك لازمة لحفظ الصحة الجسمانية، فكذلك ينبغي لصحيح النفس أن يجتهد في حفظ صحتها عليها، باستعمال ما أوجبه عليه الشرع بنسبه ومقاديره في أوقاته، من عبادات وأخلاق واعتقادات ومعاملات بحيث لا يتهاون فيسبب مرض النفاق والقطيعة والبعد، ولا يتغالى فيقع في الفتن والضلال ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١) وأن يتباعد بكل ما في وسعه عن المبتلين بالأمراض النفسانية، كأهل الجدل والإنكار والفساد وغيرها، وعن أهل الشغف بالملاذ الحيوانية، وعن مطالعة سيرهم وأخبارهم، ويتباعد عن أهل الخبث والمفسدين وأهل الشر المضلين، فإنه قد يقع في أمراضهم من حيث لا يشعر. بمجرد مجالستهم، وذلك لأنه لصحة نفسه أول ما يقع نظره عليهم يرى فيهم علامات الأمراض والسقم، كما يحس الإنسان من الآخر بمرض الجسم بعلامات المرض، فكذلك صحيح النفس إذا جلس مع مريضها أنكر عليه، ومريض النفس يرى أن الصحيح الحقيقي مريض فيحصل الإنكار من كل على الآخر فيكون بمجرد جلوسه معه مرض بمرضه، فعلى صحيح النفس أن يتباعد عن مرضى النفوس إلا إذا جاءه مريض النفس فشكى إليه مرضه، وطلب منه دواءه.

العناية بحفظ الصحة على النفس:

ومن العجب أن الرجل الصحيح النفس يهمل صحته حتى يقع في الأمراض، لأن أمراض الأجسام يشعر صاحبها بألم يدعوه إلى الطبيب، وأما أمراض النفوس فقد يحصل منها اللذة للنفس والأنس لها، لأن غالب أمراض النفوس مما يلائم النفوس، فينسى الرجل قبائحه ويغفل عن دواء نفسه، وإذا ذكره أخوه بعيوب نفسه قذفه وعاداه وهو يظن - المسكين - أنه على أكمل الفضائل وأجمل الأخلاق، ناسيا أمراض نفسه لحبه لنفسه، فتجب العناية بحفظ الصحة على النفس خشية من الوقوع في المرض .

(١) من الآية ٦٧ من سورة الفرقان .

العلاج عند حصول المرض :

فإذا حصل للنفس مرض من الأمراض السابقة فعلاج ذلك محصور في أمرين أساسهما العلم .

الأمر الأول: أن يبادر من حصلت منه المخالفة للمرشد - إن كان مسترشداً - فيعرض عليه أمره، ثم يعمل ما يكلفه به مما هو شفاء لنفسه، وتوبة من ذنبه، غير خجل ولا مستتر، فإن أصحاب رسول الله ﷺ وآله كان الرجل منهم إذا نسي أو أخطأ رفع الأمر إلى رسول الله ﷺ وآله ، وقام فنجز ما يكلفه به، فمنهم من يقول: زينتُ يا رسول الله، وغير ذلك مما قلَّ أو كثر. فإذا خجل المخالف، أو رأى أن رفع الأمر للمرشد فضيحة تهاون بيوم القيامة وجهل الفضيحة فيه، ودعاه التساهل بصغير المخالفة إلى الوقوع في كبيرها، حتى قد تبلغ به الحالة إلى أن يترك عمل الواجبات. أما إذا كان ليس له مرشد بأن كان من العلماء، أو كان من القائمين بالدعوة إلى الله، فالواجب عليه إذا رأى نفسه أوقعته في الحماقة والغضب والعداوة بين الناس، أن يبادر بأن يتعرض لسفيه أحق يسبه أمام الناس ويتحمل ذلك ويفرح، ليعالج نفسه ويرد عليها صحتها، أو يبادر بأن يبذل نفسه لمن كان يعظمه ويقبل يده ويخدمه، ويتوب مجاهداً بترك تلك الصفة القبيحة، وإن شعر منها بحب الشهرة والسمعة بادر بأن يعرض عليها مبدأها ونهايتها وحقارة الدنيا وزوالها .

الأمر الثاني: وأكمل دواء للنفس المبادرة بتلقي علوم الدين من أهل اليقين، الذين يعلمون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدعونهم إلى الله على بصيرة، ويجعلون أساس دعوتهم كشف عناية الله بهم وإظهار آياته في الآفاق وفي أنفسهم بطريق مقنع، ويبينون أسرار الصورة الإنسانية، وما احتوت عليه من غرائب الحكمة وعجائب القدرة، وكيف كان مبدؤها من آيات القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(١) الآية. ويتباعد في الدعوة عن غير ذلك بذكر عناية الله تعالى وإبداعه للعالم كله، وهو الأمر الجامع، حتى إذا اطمأنت القلوب وانشرفت، دعاهم بعد ذلك إلى التصديق بالآخرة ويبين لهم حقارة الدنيا

(١) الآية ١٢ من سورة المؤمنون .

وزوالها، ودعاهم لمعرفة أنفسهم وما به تكميلها وسعادتها .. وهذه هي طريق القرآن في الدعوة، وسبل رسل الله صلوات الله عليهم في الدلالة والبيان.

فاقرأ أيها الأخ البار كتاب الله متدبرا، وتأمل قصصه متفكرا، واعتبر بتكرار أخبار الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأساليب البيان، وحكم التبيان الجلية لكل ذي بصيرة في كل مكرر القرآن، يظهر لنور شرك ساطع حجج القرآن الكريم، وجلي نور براهينه، وما حث فكرك عليه، وما نبه قلبك إليه، وما دعاك إلى تدبره والنظر فيه من الآيات الدالة على كمال عنايته، والحجج المؤيدة أنه هو المبدع الخلاق .

فإذا زكت نفسك أيها الأخ المؤمن، وتناولت من سلسيل القرآن الشريف، ومن كافور كلام رسول الله ﷺ وآله ﷺ سكنت نفسه، واطمأن قلبك، وانشرح صدرك، ودعاك شرك دعوة الحق إلى الحق، وانكشفت لك سيما الناس، فعلمت بسيماهم مقادير استعدادهم وفطر نفوسهم، فدعوت عباد الله إلى الله بالحكمة والموعظة على قدر النفوس ومناسبات العقول، ناهجا على الطريق المستقيم، لا تميز بين المسلم وغيره مادمت تجعل أساس دعوتك طريق القرآن العظيم.

وأحذر يا أخي - أيدي الله وإياك بما أيد به الصديقين والشهداء من عباده الصالحين - أن تتجاوز هذا الطريق في الدعوة والإرشاد، وأن تسلك مسالك النظر بعقولهم فتفتح أبواب الجدل والشكوك والريب، فتكون من الفتانين النائهيين في بيداء الغفلة، وتحقق أن كل من أراد أن يجادل أو يعارض فهو عدو لأخوة المؤمنين محروم من التصديق واليقين، والأولى الإعراض عنه وعدم العناية به، فإنك إن أعرضت عنه هلك وحده، وإن جاريته في الجدل والمعارضة ربما هلك وأهلك معه كثيرين، والله أسأل أن يهدينا بالقرآن، ويعصمنا بسنة رسول الله ﷺ وآله ﷺ آمين .

أسباب مفسدات النفس:

اعلم أيها الأخ - رُوحي الله وإياك بروح العناية والولاية وربحان الإحسان والرضوان - أن أمهات الخطايا التي بها لُعِنَ إبليس، وأُخرج أبونا آدم من الجنة، وقَتَلَ قابيل أخاه هابيل ترجع إلى أصول الكبائر وهي:

١- الكبر: الذي أوقع إبليس في القطيعة واللعنة.

٢- الطمع: الذي هو سبب المعصية لأبينا آدم، وأُهَيِّطَ بسببه من الجنة لأنه طمع في الخلود في الجنة.

٣- الحسد: الذي دعا قابيل أن يقتل هابيل حسدا له على النعمة عليه بأخت قابيل .

وما من رذيلة من الرذائل إلا وهي ترجع إلى أصل من تلك الأصول، فإذا حفظ الله العبد من تلك البليات الثلاث وفروعها كان وهو في الدنيا من أهل الآخرة، وقد بين لنا رسول الله ﷺ وآله تلك المعاني بكلمة هي الحصن الحقيقي للسلامة بقوله ﷺ وآله: « حبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خطيئةٍ » .

ليس المراد ترك الأسباب في الدنيا :

لعلك أيها الأخ تظن أن المراد من ذلك ترك الأسباب في الدنيا، وعدم العمل فيها وخراجها، لا، إنما المراد من ذلك أن الدنيا هي عبارة عن الدون، ومعنى هذه اللفظة: أمور الشرور والرذائل المنتجة للمضار والمفاسد، التي أصولها: الكبر والحرص والحسد، وكيف لا؟ وقد جعل الله تعالى تلك الدار محل التكاليف والتعريف والتقرب والإسلام والإيمان والإحسان، والعمل للسعادة الأبدية، والجهاد في سبيل الله وإطاعة أمره، والقيام بنصرة الحق وتأييده بالنفس والمال والعلم .

أوجب عليك فيها الزكاة، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وإكرام الجيران، ومعاونة الفقراء، والحج، والجهاد، وعق الرقاب، والدبة عند اللزوم، ولا يتحقق شيء من ذلك إلا

بالمال، فجعل المال سبيلاً من سبل الوصول إليه، وباباً من أبواب الإقبال على حضرته العلية حتى قال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾^(٢).

فلا تظن أن المذموم العمل في الدنيا واكتساب الأموال، والاجتهاد في عمل المصنوعات المفيدة للدين، والمخترعات المعينة لجماعة المسلمين، والسعي في تقديم التجارات والزراعات، فإن ذلك كله - مادمت لم تخرج فيه عن الوسط الشرعي، ولم تقصد به إلا الخير لنفسك وأهلك وإخوانك المسلمين جميعاً، والعمل لله كما أمر - فإنك أيها الأخ المخلص لست من أهل الدنيا بل من أهل الآخرة وأنت في زراعتك وتجارتك، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

وكان ﷺ وآله يتتاع لنفسه ما يلزم، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكثير من أئمة الصحابة يتجرون، وكان عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة يشتغلون بحراثة الأرض وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فلم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا عن إقام الصلاة، وهم في التجارة. فاعمل في الدنيا أيها الأخ للآخرة، واعمل في الآخرة لله، لتقوم بما أوجبه الله عليك، وتتقرب إليه بما رغبت فيه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾^(٤).

إذا كان أهل التقوى وأهل الدين المخلصون في عبادة الله وطاعته، العاملون بسنة رسول الله ﷺ وآله، والغيورون عليها، يهملون الوجه الذي به حفظ نصرته الدين وقوة أهله وإقامة حدوده وإذلال أعدائه، من العمل النافع للدنيا، وفي جمع الأموال لتكون خزانة لله وخزانة لجماعة المسلمين، ومن إتقان الصنائع والفنون لعمل الحصون النافعة لحماية الثغور ودفع

(١) من الآية ٢٤٥ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٧ من سورة التغابن .

(٣) من الآية ٣٧ من سورة النور .

(٤) من الآية ١١١ من سورة التوبة .

أهل الفجور، ولراحة المسلمين من الأشرار، من الذي يقوم بالدنيا؟ .. أيقوم بها الذين يجمعونها لحظهم وهواهم، ويقوم بها المترفون الذين لا خلاق لهم المنهمكون في الحظوظ والشهوات؟ أو يقوم بها الفساق الذين هم أشد على المسلمين من أعدائهم؟ فتكون عوناً لهم على عمل المعاصي والمظاهرة بالإنكار على أهل الحق ومعاداتهم، والإعانة على أذيتهم وإذلالهم.

فيا أيها الإخوان - تدبروا في كتاب الله تعالى، وفي كتاب رسوله صلى الله عليه وسلم، واعملوا للآخرة العمل الذي أمر الله به حتى تذوقوا حلاوة قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(١) هذا هو الصراط المستقيم الموصل إلى حضرة الله، والمبلغ إلى دار كرامة الله، فالسالك حقاً من سلك على محجة الطريق، وقام عاملاً لله، نافعا عباد الله قدر ما وهبه من قوة في جسم، أو وسعة في رزق، أو مزيد من علم، أو فضل جاه، حتى يكون عمل بالدين كله، ويتحقق بما تحقق به الراسخون في العلم من قوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

قد أفلح من تزكى :

فإذا جاهدت نفسك حتى تزكت فقد أفلحت، فامش في الناس عاملاً عمل أهل الدنيا غير خائف فإنك في الآخرة. دليل ذلك من كتاب الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(٣) فالملت من زكى نفسه حتى صار من أهل الملكوت الأعلى، فجعل الله له نورا من اليقين والعلم والفقه يمشي به في الناس آمناً لانكشاف الحق له وبيانه، فلا يضره مشيه في الناس وعمله معهم، لأنه ينفعهم النفع الحقيقي وينفع نفسه .

(١) الآيات ١٧، ١٨، ١٩ من سورة الحديد .

(٢) من الآية ٧ من سورة آل عمران .

(٣) من الآية ١٢٢ من سورة الأنعام .

دواعي الذنوب والكبائر:

ظهر لك يا أخي مما تقدم أن الذنوب كلها ناتجة إما عن اعتقادات أو عن أعمال البشرية أو أقوال، وأشهرها ما كان عن اعتقادات، لأنها تشبه كبائر إبليس من الاعتقادات والأخلاق، وهي الموبقة المخلدة في النار. والمعاصي التي هي أعمال؛ إما أن يدعو إليها شهوة حيوانية فهي كبائر ولها حدود وزواجر في أحكام الشرع. وإن كانت ناتجة عن خبث في الضمير فهي من أعمال إبليس أيضا، كقتل المسلم عمدا وكعمل المكائد التي تؤدي إلى إهلاك النفوس والسعي بالغيبة والنميمة لحصول المضار والمفاسد، فإنها - وإن كانت أقوال وأعمال بالجوارح - إلا أنها عن صفات إبليس.

فحافظ يا أخي على نفسك أن تقع في كبيرة من تلك الكبائر، واجتنبها مرة واحدة، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(١).

بيان الكبائر:

وإليك بيان الكبائر - وإن كنت قد بينتها في كتاب: " شراب الأرواح " :

١- كبائر القلب أربع:

أ- الشرك. ج- القنوط من رحمة الله.

ب- الإصرار على المعصية. د- أمن جانب الله.

٢- كبائر اللسان أربع:

أ- شهادة الزور. ج- اليمين الغموس.^(١)

(١) الآية ٣١ من سورة النساء.

ب- قذف المحصن المسلم البالغ. د- السحر.

كبائر البطن ثلاث:

أ- شرب الخمر وكل مسكر. ج- أكل الربا مع العلم.

ب- أكل مال اليتيم ظلماً.

كبائر الفرج اثنتان:

أ- الزنا ب- عمل قوم لوط.

كبائر اليدين اثنتان:

أ- القتل. ب- السرقة.

كبيرة الرجلين:

أ- الفرار يوم الزحف بغير وجه شرعي.

كبيرة الجسم كله:

أ- العقوق.

(^١) اليمين الغموس هي اليمين الكاذبة، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم، وفي الحديث الشريف: "اليمين الغموس تذر الديار بلاقع".

الفصل الثاني

وصية لمن أهلهم الله للدعوة

وصية لمن منحهم الله المواهب التي بها أهلهم للدعوة، من العلم والحكمة وجمال الأخلاق وصرف الأوقات في عمل القربات والطاعات:

إخواني، اعلّموا - حفظني الله وإياكم من حب الدنيا والرغبة فيما فيها - أن تلك الإقامة التي أنتم قائمون فيها هي وظيفة العلماء الربانيين، والأمناء الروحانيين ورثة رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأبدال الصديقين والشهداء، فمن أقامه الله تعالى مقام رسله جعل له علامات هي الحجج المؤيدة لصدق إقامته، والبراهين التي في قوة تصديق الله له أنه سبحانه منّ عليه بميراث الرسل عليهم الصلاة والسلام.

علامات الدعاة إلى الله:

١. الحرص على عباد الله من أن يقع أحدهم فيما يغضب الله بسببكم.
٢. الرأفة والرحمة بالمؤمنين.
٣. لين الجانب.
٤. الخلق العظيم.
٥. الصبر على جفوة من تدعوهم.
٦. دعوة الخلق كل على قدر عقله.
٧. مُدارة الناس
٨. الغضب لله والرضا لله.
٩. الحب في الله والبغض في الله.

١٠. الإحسان إلى المسيء وصلّة القاطع، وتأليف النافر.

١١. ترك الجدل مرة واحدة، إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه، ويكون بالتي هي أحسن .

١٢. التباعد بالكلية عن تنفير الخلق، وعن نية السوء، أو قصد الشر أو العزم عليه، أو التكلم بما لا يليق من قبيح الكلام في غيبة الناس أو في مواجهتهم .

١٣. التباعد عن سماع الشر في حق الناس .

١٤. الزهد فيما في أيديهم .

١٥. بذل ما في اليد لهم تألفا لهم .

١٦. المسارعة إلى فعل الواجبات والفضائل والمكرمات ومنافستهم في ذلك حتى يقلدوا الداعي .

١٧. الشفقة عليهم، والاجتهاد في دفع المصائب عنهم، وتخفيف آلامهم، ومشاركتهم في مهماتهم مشاركة عملية بالمال والنفس .

١٨. ذكر محاسنهم، وستر عيوبهم في غيبتهم .

١٩. الاجتهاد في تنبيههم لترك المعاصي التي يقع فيها بعضهم، وعمل الفضائل التي تركها بعضهم، بطريق محفوظ من أن يتوهم أحدهم أنه مقصود بالذات خشية من التنفير، بل يكون بتنبيه عام يبين فيه قبح المعصية وسوء عاقبتها، وحسن الفضيلة وجميل مآلها .

دوام الفضل بمراعاة تلك المعاني :

فهذه الأخلاق هي التي يجب أن يكون عليها المتصف بصفات الداعي إلى الله أو النائب عنه، لأنها من أخص صفات رسول الله ﷺ وآله، والخادم إذا ناب عن سيده يلزمه أن لا يخالفه، فإن خالفه هلك وأهلك .

فمن أقامه الله بدلا عن الصديقين والشهداء، ونائبا عن العلماء الربانيين، وغلبته نفسه فغضب، أو شتم آخر أو سبه، أو كرهه بقلبه، أو ظن في أخيه سوءا، أو قطع أخا له لغرض من أغراض الدنيا أو لعلة من علل الخطوط، أو تهاون بواجب، أو ترك المنافسة في عمل الخيرات ونافس في عمل الشرور، فكأنه يريد أن لا يقبل فضل الله ونعمته، لأن هذا الفضل

العظيم يمنح بالفضل من الله تعالى، ويدوم ذلك الفضل بمراعاة تلك المعاني، ونعوذ بالله من حال عبد يتفضل الله عليه فيأبى فضل الله، وينعم الله عليه فيرد نعمة الله، وأسأل الله تعالى لي ولأهلي وأولادي وإخواني أن يعيننا على شكر النعمة، ويمدنا بما به حفظ فضله العظيم لنا، حتى يكون ميراثاً لأبنائنا وإخواننا المؤمنين .

أيها البدل عن العالم الرباني - بم صرت بدلاً؟ قل معي: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾^(١) نعم، فعليك أن تشكر ربك جل جلاله بمجاهدة نفسك حتى تتصف بصفات أهل الفضل، وأحذر أن تمنح الفضل بالفضل وتنسى المتفضل وفضله، فيسلب - والعياذ بالله - الفضل بالعدل، واستعذ بالله أيها الداعي من السلب بعد العطاء .

تودد إلى الأبعد، وأحسن إلى الأقارب، وغض بصرك عن عيوب إخوانك المؤمنين، واستر زللهم، واعف عن سيئهم، واصفح عن ظالمهم، واشكر الله الذي جعلك من أهل الفضل علماً وخلقاً وحالاً وعملاً، وتحقق أن أجمل نعمة ينعم الله بها على عبده - يدوم بها الفضل العظيم ويبقى في ذريته بعده - أن ينعم الله عليك بجميل الأخلاق، وأن يملكك نفسك فلا تخرج بك عن طاعة الله، ولا توقعك في معاصي الله، وبذلك يحبك الله، وتحبك ملائكة الله ورسول الله، ويحبك الناس أجمعون، إلا من كرهك لأنك على الحق وهو على الباطل في الاعتقاد والرأي والعمل. فلا يكرهك أحد من الخلق لحماقة لأنك حليم، ولا لعمل سوء لأنك رحيم، ولا لجفاء وقسوة لأنك رءوف. ولا لبخل لأنك كريم، ولا لنفور منك لأنك صفوح عفو، ولا لطمع فيما في أيديهم، لأن الله أغناك عن شرار خلقه وجعل غناك في قلبك، ولا لترك واجب لمسارعتك لعمل الواجب والمندوب، ولا لسوء أدب لخشيتك من الله .

وتحقق أن بغض الناس - خصوصاً الأقارب: خصوصاً الوالدين والأولاد - دليل على أنك من أهل الكبائر القلبية أو البدنية، فبادر بسرعة وتب إلى الله، وجاهد نفسك متخلقا بأخلاق العلماء الربانيين، والعارفين والروحانيين، ليدوم لك الفضل العظيم في الدنيا وفي

(١) من الآية ٤٠ من سورة النمل .

البرزخ وفي الآخرة، وتدبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(١) أسأل الله تعالى الحفظ والسلامة، والنعيم والإحسان والفضل العظيم والمعونة على الشكر إنه يجيب الدعاء .

كيف تعامل أخاك ؟ :

إذا جفاك أخ من إخوانك، أو بلغك عنه شر، أو علمت أنه وقع في المعاصي، هنا تظهر رحمتك وحرصك ورأفتك ولين جانبك التي ورثتها عن العلماء الراسخين ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتفكر في نفسك إذا رأيت أجنبيا وقع في البحر، أو خرجت عليه اللصوص في الطريق، أو احتوشته الوحوش، ما الذي تعمل؟ هل تمر ثاني عطفك^(٢) أو تسبه وتذمه وتشتت فيه؟ أو تتألم أن تنجيه وتنجي نفسك بما في وسعك؟؟ إحتذر لك واحدة فإن كان هذا من أقاربك لعل الرحمة والشفقة عليه تدفعانك إلى أن تفديه بنفسك، وتلك الشدائد نزول وتنتهي، فكيف إذا بلغك عن أخ أنه كاد أن يقع في نار جهنم خالدا فيها أبدا؟.

فإن أنت ذمت وقبحت وشنعت لم تكن أخا للمؤمنين متصفا بصفات الربانيين، وإن مررت ثاني عطفك لم تكن وارثا لعلوم الصديقين، وإن أسرعت بحكمة ورحمة وشفقة وحرص فخلصت أخاك وأنجيته من غير أن تنفره ولا توبخه ولا تفشي سره، وبذلك لذلك فطنتك ومالك وجميل أخلاقك، ثم أفهمته إنما أنجيت نفسك لنجاته، كنت يا أخي بدلا من أبدال الرسل، ونائبا من نواب الأفراد العارفين بالله، أما إذا عملت غير هذا العمل، فنفرت الأخ وأشعت عنه القبيح وجفوته حتى جاهر بمعصية الله، كنت داعيا من دعاة القطيعة. والحق قد انبلج قرن نفسك بموازينه، وأنزلها منزلتها، ولا تتجاوز قدرك، وسارع في مرضات ربك والافتداء بنبيه ﷺ وآله ﷺ لتنال السعادة .

(١) من الآية ١١ من سورة الرعد .

(٢) ثاني عطفه: أي معرضا متكبرا، كما قال الله تعالى: ﴿ثَانِي عَظْفِهِ لِيُظِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الآية رقم ٩ من سورة الحج .

تأديب المريدين :

أما تأديب المريدين فأدبهم إذا أتى المريد منهم يشكو نفسه من كسل أو هوان أو سهو أن يكلفه بعمل قربات لا تنفره، أما إذا تساهل عن عمل المنذوبات، أو عن عمل الرواتب، التي ليست من الأوامر الشرعية، فتأديبه بالدعاء له، وتيسير ما به نشاطه، وبالسؤال عنه، وبمساعده فيما يلزم .

وإذا حصل بين الإخوان خلاف في أمور دنيوية، فالأولى النظر فيها برحمة وشفقة خشية على قلوب الإخوان من التفرقة، وإذا حصل بينهم منافسة في فهم أسرار الطريق، أو في أعمال البر لم تكن إلا غيرة من كل أخ ليساوي أخاه في عمل الخير ابتغاء مرضاة الله، وذلك من روح القدس. ومن أبواب التفرقة أن تبغى الإخوان بشر هو أن يتعصب بعضهم لأخ منهم، ويتعصب فريق آخر لأخ آخر، فإن ذلك باب من أبواب إبليس يؤدي إلى التفرقة، فإذا قيل: إن فلانا يفهم أسرار الحكمة وكريم النفس حسن الأخلاق، فليحذر الآخر أن يقول فلان خير منه، والأولى أن يقول: صدقت .. وفلان أيضا من صفاته كذا .

هذا، وكل ممنوح من الإخوان بخصوصيته ينبه الناس لخصوصيته أو يدعو الناس إليه، أو ينقص الممنوح الآخر، كان بابا من أبواب الشيطان على الإخوان، فليحذر ذلك. والواجب على الأفراد الممنوحين أن يفتنوا عن خصوصيتهم ويحفظوها بسترها، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) فكل من نبه الناس لخصوصيته ونقص أخاه الممنوح ولو كان أقل منه علما وفضلا جعل ما أنعم الله به عليه زبداً، ربما ذهب جفاء لأنه يريد أن يضر الناس ويوقع بينهم التفرقة، وأما من أخفى خصوصيته ولم يفتح باب التفرقة على الإخوان فإنه يكون مما ينفع الناس، فيمكث في أرض قلبه محفوظاً من السلب .

(١) من الآية ١٧ من سورة الرعد .

عاقبة كفران النعمة :

بعض الجهلاء - ممن منحوا موهبة الجمع والعبارة - قد يغترون بكثرة الناس حواليتهم، ويظنون أن هذه هي النهاية والنعمة والكمال، وهذا لجهلهم بحقيقة السعادة والنعمة فينسون المرشد الذي هو نعمة الله عليهم وفضله لهم، فيُحَرِّمون النعمة والفضل لكفرانهم. فمن أجرى الله لهم النعمة على يديه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾^(١) فيحرمون الفضل والنعمة في الدنيا والآخرة بسبب غرورهم بما لا يغتر به إلا الجاهلون فتنبه أيها الممنوح، وَحَصِّنْ النعمة بالشكر والمنة .

وإلى هنا أنه فكر المطلع على تلك الإشارات أن لا يقرأها ليزن بها غيره، ولا يجعلها حجة على غيره، فيكون كالمسنن: يشحذ ولا يقطع، أو كالسراج: يضيء لغيره ويحرق نفسه، ومن تعلم العلم ليحادل به أولياء الله أو يناظر به عباد الله كان عوناً من أعوان الشياطين أو شيطاناً إنسياً. والأولى لك أيها السالكُ مُريد الآخرة ومبتغي فضل الله ورضوانه أن تقرأها مجاهدًا نفسك أن تعمل بها، وإن غلبك حظك وهواك وأملك فتحقق أنها أعداء لك، فحاربها محاربة أشد الأعداء حتى تقبل العمل بما به السعادة، والله هو الموفق المعين لا إله إلا هو بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

تلقين الطريق والإذن باللطائف والأذكار

تلقين الطريق :

أساس التلقين السماع من العالم العامل العدل التقي الورع، الناطق بلسانه (عن قلبه) وقولي: عن قلبه أي لأن الله سبحانه وتعالى يجعل في القلوب نور الفقه، ونور الفقه يكون على لسان ملك الإلهام، لأن كل قلب يلم به لمتان: لمة من الشيطان، ولمة من الملك، فقلب العلماء الراسخين والشهداء الروحانيين محفوظ من لمة الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَنَسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ

(١) الآية ٣٨ من سورة الحج .

(٢) من الآية ٤٢ من سورة الحجر .

لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢﴾ وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَآ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ (٣) (٤) وترهّلهم عليهم حال الموت لا يمنع ترهّلهم عليهم قبل الموت، وقد تزلّت الملائكة على الصّديقين بالطعام وبالتحف، وفيما كان يجده سيدنا زكريا عليه السلام عند السيدة مريم عليها السلام حجة، فكان لسماع كلمة التوحيد من اللسان المتلقي عن القلب المتلقي عن ملك الإلهام في أذن الإنسان المسلم المعتقد تدخّل إلى القلب بنور مبين لأسرار التوحيد، فتشرق على القلب أنوار التوحيد، فيحصل اليقين ويمنح الله التوفيق .

ولما كان الرجل الذي يلقّن رجلٌ علام رباني أو المتعلم من العالم الرباني، فإنه يشرح معاني الكلمة وأسرار الأذكار، ويبين حكم الأعمال والاعتقاد حتى تحصل للمريد المعرفة ويكون على مزيد، وحجتهم في ذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ وآله ﷺ جلس معه أصحابه فقال لهم « أفیکم غریب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: أحيّفوا الباب (أغلّقوا) ثم أستمعهم كلمة التوحيد، وأمرهم بالنطق بما ليسمعها ﷺ وآله ﷺ، ثم قال: أبشركم بأن الله غفر لكم » .

ولهذا التلقين أسرار تُلقَى لا تُرسم بالكتابة، وتلقين الكلمة من العالم الرباني كأن الذي سمعها يقول له رضيت بك معلما ودليلا لي تدلني على الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وآله ﷺ وأصحابه، وتعيني على تزكية نفسي بما سنّه ﷺ وآله ﷺ وأمر الله تعالى به وما زكّى به الأئمة أنفسهم، فصار له حقوق على المرشد يطالبه بها يوم القيامة أمام الله تعالى، وكان بتسليمه هذا تخلص من دسيسة الكبر والغرور، وتخلص من بليّة الجهل، وحفظ نفسه من مخاوف المهالك ومن رعونات النفس ووسوسة الشيطان، ووجب عليه للمرشد أن يطيعه في كل معروف أمره به، وفي كل منكر نهاه عنه، وأن يسارع إلى ما يصرح له بعمله مما به تزكية نفسه سواء لاعم طبعه أم لا بشرط أن لا يكون محرما، ويجب عليه للمرشد أن يكون

(١) الآية ٨٣ من سورة ص .

(٢) من الآية ٨٢ من سورة الأنعام

(٣) من الآية ٣٠ من سورة فصلت .

له كآبته حُكْمًا فيحافظ على أن لا يتعرض لعوراته أو ينظر إلى عيوبه، وعليه يتودد إليه ببذل ما لا بد له منه، وأن لا ينتظر أمره ولا سؤاله له بل يقدم له بلا سؤال .

الإذن باللطائف والأذكار :

هو أن يخص المرشد بعض الأفراد المسارعين إلى الخير، المتعاونين على التقوى، بأذكار قلبية أو لسانية، أو بمراقبات أو تدبر وفكر، أو بلطفية من لطائف القلوب، أو بخدمة خاصة لتزكية النفس واستعدادها للمشاهدات، كخدمة النعال والطحن والعجن والطبخ والكنس، وخدمة الماء وخدمة المرضى والعجائز، أو تكليفه بخدمة الاكتساب بأن يأمره بالتسبب، أو يأمره بترك الأسباب، أو يأمره بترك نوافل البر من الصلاة والصيام، أو يشتغل بقراءة القرآن أو بيقظة الإخوان لصلاة الصبح .

أما غوامض أسرار الإذن وكشف أسرار مراقبي السالكين، وأنوار الحال وغيوب الجلوة ومشاهد الخلوة وشراب الختم، قد كتبت في رسالة في رسائل (المكنون)، تكون دليلاً للمرشدين ونبراساً للواصلين. والله أسأل أن ينفعني بفضلته العظيم وإحسانه العميم، وأن ينفع بهذا، النفع الحقيقي، إنه محيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب السادس

الشفقة والرحمة على الخلق والحب في الله ومن الله

الفصل الأول

الشفقة والرحمة على الخلق

أحاديث من الصحاح في هذا الباب :

عن جرير بن عبد الله^(١) رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله: « لا يرحم الله من لا يرحم الناس »^(٢) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وآله فقال: أتقبلون الصبيان؟ فما قبلهم، فقال النبي ﷺ وآله: « أو أمْلِكُ لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟ »^(٣) عن عائشة أنها قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ثم خرجت، فدخل النبي ﷺ وآله وحدثته فقال: « من يلي من هذه النبات شيئاً فأحسن إليهنَّ كنَّ له سترًا من النار »^(٤) وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله: « من عالَ جاريتين حتى تبلغَا جاء يومَ القيامةِ أنا وهو هكذا - وضم أصابعه »^(٥) وقال: « الساعي على الأرملة والمسكين

(١) هو الصحابي الجليل: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، نزل الكوفة ثم تحول إلى قرقيسيا وتوفي بها سنة ٥١ هـ

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن حنبل عن جرير، كما أخرجه الترمذي وابن حنبل عن أبي سعيد بلفظ: " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " الكثر الثمين ص ٥٩٩ .

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله انظر صحيح البخاري طبعة دار الشعب ج ٨ ص ٩

(٤) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، انظر صحيح البخاري طبعة دار الشعب ج ٨ ص ٨ .

(٥) هذا الحديث أخرجه مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه بلفظ " حتى تدركا " بدل " حتى تبلغا " انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٣٧ .

كالساعي في سبيل الله - وأحسبه قال: كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»^(١) وقال: «أنا وكافل اليتيم له ولغيره في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً»^(٢).

وقال ﷺ وآله: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣) وقال ﷺ وآله: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»^(٤).

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ وآله أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه»^(٥).

وعنه عن النبي ﷺ وآله أنه كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال: «اشفعوا فلتؤجرُوا، ويقضي الله على لسانِ رسوله ما شاء»^(٦).

وقال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصُرهُ مظلوماً فكيف أنصُرهُ ظالماً؟ قال تَمْنَعُهُ من الظلم فذلك نصرُك إيَّاه»^(٧).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حنبل عن أبي هريرة. الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود وابن حنبل، عن سهل بن سعد مع اختلاف يسير في الألفاظ. الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٦٥.

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل، عن النعمان بن بشير بلفظ "مثل المؤمنين..." الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٥٩.

(٤) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل، عن النعمان بن بشير، انظر: الجامع ج ٢ ص ٥٧٢.

(٥) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم، والترمذي والنسائي، عن أبي موسى الأشعري، الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦٩.

(٦) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وأبو داود، عن أبي موسى الأشعري، الجامع الصغير ج ١ ص ١٣٨.

(٧) هذا الحديث أخرجه البخاري والترمذي وابن حنبل، عن أنس رضي الله عنه. الجامع الصغير ج ١ ص ٣٦٩.

وقال: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه كربةً من كربات الآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١).

وقال: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا — ويشير إلى صدره ثلاث مرات — بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه»^(٢).

وقال: «أهل الجنة أربعة: ذو سلطان مقسط ومتصدق موفق، ورجلٌ رحيماً رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيفٌ متعففٌ ذو عيال. وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبيغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ — وإن دق — إلا خائناً، ورجلٌ لا يُصبح ولا يُمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك^(٣) وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش .

وقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٤).

وقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(١) وقال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(٢).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما. انظر الكثر الثمين ص ٦٠٧ .

(٢) هذا الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة — رضي الله عنه — انظر الكثر الثمين ص ٦٠٧ .

(٣) هذا الحديث رواه مسلم عن عياض بن حماد رضي الله عنه — إلا أنه لم يذكر: " وأهل النار .. إلى آخره " . الكثر الثمين ص ١٩٥ .

(٤) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حنبل عن أنس رضي الله عنه، دون قوله " والذي نفسي بيده " الكثر الثمين ص ٦٥٣ .

وقال: « ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثُني »^(٣).

وقال ﷺ وآله: « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنانِ دونَ الآخرِ حتى يختلطوا بالناسِ، فإن ذلك يحزنه »^(٤).

وعن تميم الداري أن النبي ﷺ وآله قال: « الدينُ النصيحة - ثلاثا - قلنا: يا رسول الله لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(٥).

وعن جرير أنه قال: بايعتُ رسولَ الله ﷺ وآله على إقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة والنصح لكلِّ مسلمٍ .

من الأحاديث الحسان :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « لا تُترَعُ الرحمةُ إلا من شقي »^(١).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وابن حنبل عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري عن أبي شريح الكعبي. الكثر الثمين ص ٦٢١ .

(٢) هذا الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة، قال السيوطي هو حديث صحيح. الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٥٢ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي، وابن حنبل، عن ابن عمر، وأخرجه البخاري ومسلم وابن حنبل والأربعة وعن عائشة. انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٢٧ .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن حنبل عن ابن مسعود الجامع الصغير ج ١ ص ١١٠ .

(٥) هذا الحديث رواه مسلم عن تميم الداري مرفوعا، وعزاه في الجامع الصغير للبخاري في التاريخ عن ثوبان، مقتصرًا على صورته فقط والحديث الذي معناه هنا: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

وقال رسول الله ﷺ وآله: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ وآله: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر»^(٣).

من الأحاديث الغريبة :

وقال: «ما أكرم شاب شيخاً من أجل سنّه إلا قيض الله له عند سنّه من يُكرّمه»^(٤)
وقال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»^(٥).

وقال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»^(١).

(١) أخرجه ابن حنبل وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم، عن أي هريرة. الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٤٣ .

(٢) أخرجه ابن حنبل وأبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عمر، وزاد بعضهم: "والرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعته الله" الجامع الصغير ج ١ ص ٦٠٤ .

(٣) هذا الحديث أخرجه الترمذي وابن حنبل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال السيوطي هو حديث حسن . الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٠١ .

(٤) هذا الحديث أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه، وقال السيوطي حديث حسن. الجامع الصغير ج ٢ ص ٤١٨ .

(٥) هذا الحديث أخرجه أبو داود عن أبي موسى الأشعري، قال السيوطي هو حديث حسن. الجامع الصغير ج ١ ص ٣٣٢ .

وقال: « من مَسَحَ رأسَ يَتِيمٍ لم يَمَسَحْهُ إلا الله كان له بكلِّ شعرةٍ ثَمَرٌ عليها يَدُهُ حسنات، ومن أحسن إلى يَتِيمَةٍ أو يَتِيمٍ عنده كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين - وفرَّق بين أصبعيه »^{(٢) (٧)}.

وقال عليه الصلاة والسلام: « من آوى يَتِيمًا إلى طعامِهِ وشرابه أوجبَ اللهُ له الجنةَ البتَّةَ، إلا أنْ يعملَ ذنبا لا يُغْفَرُ »^(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: « ومن عالَ ثلاثَ بناتٍ أو مثلَهُنَّ من الأخواتِ فأدَبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ حتى يُغْنِيَهُنَّ اللهُ أوجبَ اللهُ له الجنةَ، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ أو اثنتين؟ قال: أو اثنتين. حتى لو قال: أو واحدة لقال: وواحدة »^(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: « ومن أذهبَ اللهُ كريمَتَيْهِ وَجَبَتْ لَهُ الجنةُ، فقل: يا رسولَ اللهِ وما كريمَتاهُ؟ قال: عَيْنَاهُ »^(٥).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب، وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة، وقامه: "..... أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" قال السيوطي هو حديث صحيح. الجامع الصغير ج ١ ص ٥٤٩.

(٢) أورده السيوطي عن الحكيم والترمذي الشطر الثاني للحديث " ومن أحسن إلى يَتِيمٍ " ورواه عن أنس. الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٨٠.

(٧)

(٣) أخرج السيوطي عن الطبراني في الأوسط عن ابن عباس: " من آوى يَتِيمًا أو يَتِيمَيْنِ ثم صبر واحتسب كنت أنا وهو في الجنة كهاتين " وقال السيوطي حديث حسن. الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٧٣.

(٤) أورده السيوطي عن أبي داود عن أبي سعيد الخدري. الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٣٧.

(٥) أخرج الترمذي عن أنس: إن الله تعالى يقول: " إذا أخذت كريمتي عبي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة " قال السيوطي حسن. الجامع الصغير ج ١ ص ٢٥٨.

عن جابر بن سمرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله: «لأن يُؤدَّب الرجلُ وَلَدُهُ خيرٌ له من أن يتصدق بصاع»^(١).

وروي: «ما نحلَّ الوالدُ وَلَدَهُ من نحلٍّ أفضلَ من أدبٍ حسنٍ»^(٢).

عن ابن مسعود قال: «قال رجل للنبي ﷺ وآله: كيف لي أن أعلم إذا أحسنتُ أو إذا أسأتُ؟ فقال النبي ﷺ وآله: إذا سمعتَ جيرانَكَ يقولون: قد أحسنتَ فقد أحسنتَ، وإذا سمعتَهُم يقولون: قد أسأتَ فقد أسأتَ»^(٣).

من الأحاديث المرسلة :

عن عوف بن مالك الأشجعي^(٤) أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله: «أنا وامرأةٌ سَفَعَاءُ»^(٥) الخدين كهاتين يومَ القيامة - وأوماً الراوي بالسبابة والوسطى - امرأةٌ آمَتٌ من زوجها ذات منصب وجمال، حبست نفسها على يتاماها حتى بائنا أو ماتوا .

عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله: «من كان له أنثى فَلَمْ يَبْدُهَا ولم يُهْنِهَا ولم يُؤْتِرْ وَلَدَهُ عليها - يعني الذكور - أدخله الله الجنة»^(١).

-
- (١) هذا الحديث أخرجه الترمذي عن جابر بن سمرة. انظر الجامع الصغير. ج ٢ ص ٣٤٣ .
- (٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص قال السيوطي: هذا الحديث صحيح. الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٥٤ .
- (٣) هذا الحديث أخرجه ابن حنبل وابن ماجه والطبراني، عن ابن مسعود، وأخرجه ابن ماجه عن كلثوم الخزاعي. قال السيوطي وهو حديث صحيح. الجامع الصغير ج ١ ص ٩٠ .
- (٤) هو الصحابي الجليل عوف بن مالك الأشجعي، شهد فتح مكة وكانت معه راية أشجع، توفي بدمشق سنة ٧٣ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان .
- (٥) معنى سفعاء: سوداء الخدين من الشحوب، وقد أصابها ذلك بسبب إرهاقها في تربية يتاماها.

عن أنس عن النبي ﷺ وآله أنه قال: « من اغتیب عنده أخوه المسلم وهو یقدرُ على نصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة، فإن لم ينصره وهو یقدر على نصره أدركه الله به في الدنيا والآخرة »^(٢).

وقال: « مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ »^(٣) وعن أبي الدرداء أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وآله يقول: « ما من مسلم يرُدُّ عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرُدُّ عنه نارَ جهنم يوم القيامة. ثم تلى هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ »^(٤).

عن جابر أن النبي ﷺ وآله قال: « ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع يُنتَهَكُ فيه حرمةُ ويُنتَقَصُ فيه من عِرضِهِ إلاَّ خذله الله تعالى في مواطن يحبُّ فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصُرُ مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله »^(٥).

(١) هذا الحديث أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما . انظر الكثر الثمين ص ٥٩٠ .

(٢) هذا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، عن أنس، قال السيوطي: حديث حسن. الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٩٨ .

(٣) هذا الحديث أخرجه ابن حنبل والطبراني عن أسماء بنت يزيد، ولكن بلفظ: " من ذب عن عرض أخيه .. " الكثر الثمين ص ٥٦٦، وفي الجامع الصغير: " أن يقيه من النار " الجامع الصغير ج ٢ ص ٥١٨ . وقال السيوطي: " حديث حسن "

(٤) هذا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ولفظه: " من ذب عن عرض .. " الكثر الثمين ص ٥٦٦ والآية من سورة الروم آية ٤٧ .

(٥) هذا الحديث أخرجه ابن حنبل وأبو داود والضياء عن جرير وأبي طلحة بن سهل، قال السيوطي: حديث صحيح. الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٣٨ .

وقال: « من رأى عورةً فَسَتَرَهَا كان كمن أحيا موعوداً »^(١) وقال: « مَنْ حَمَى مؤمناً مِنْ منافقٍ بَعَثَ اللهُ مَلَكاً يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ، ومن رمى مسلماً بشيءٍ يريد شَيْئَهُ به حَبَسَهُ اللهُ على جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ » .

عن عائشة أن النبي ﷺ وآله قال: « أنزلوا الناس منازلهم »^(٢) وقال: « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق »^(٣).

وقال: « مِنْ أعظمِ الأمانةِ عندَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرجلُ يُفْضِي إلى امرأته وتُفْضِي إليه ثُمَّ يَنْشُرُ سرَّها »^(٤).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وآله: « إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرَّةً أَخِيهِ، فَإِنْ رَأَى فِيهِ أَذَى فَلْيُحِطْهُ عَنْهُ »^(٥).

(ضعيف) وفي رواية: « المؤمنُ مِرَّةً المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ، يَكْفُ عَنْهُ ضِعَّتُهُ ويحوطُهُ مِنْ ورائِهِ »^(١).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب، وأبو داود والحاكم عن عقبة بن عامر، قال السيوطي: حديث حسن. الجامع الصغير ج ٢ ص ٥١٩ .

(٢) هذا الحديث أخرجه مسلم وأبو داود عن عائشة، وقال السيوطي حديث صحيح انظر الجامع الصغير ج ١ ص ٣٦٨ .

(٣) أخرجه أبو داود عن جابر قال السيوطي: حديث حسن الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٧٣ .

(٤) هذا الحديث أورده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وقال: رواه مسلم من حديث أبي سعيد. انظر الإحياء للغزالي ج ٢ ص ٥٦ .

(٥) أخرجه السيوطي عن الطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس، بلفظ: " المؤمن مِرَّةً المؤمن ". قال السيوطي: حديث حسن الجامع الصغير .

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ وآله: « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »^(١).

الفصل الثاني

الحب في الله ومن الله

أحاديث من الصحاح في هذا الباب:

قال رسول الله ﷺ وآله: « الأرواح جنودٌ مجنودةٌ فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ »^(٢).

وقال: « إن الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبه، قال فيحبه جبريلُ، ثم ينادي في السماء فيقول: إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبه، فيحبه أهلُ السماءِ ثم يوضعُ له القبولُ في الأرض، وإذا أبغضَ عبداً دعا جبريلَ فيقول: إني أبغضُ فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه »

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦٩، والكثر الثمين ص ٦٠٣ .

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي وابن حنبل والحاكم عن ابن عمرو قال السيوطي: حديث حسن. الجامع الصغير ج ١ ص ٥٤٣.

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري عن عائشة، ومسلم وأبو داود وابن حنبل عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن مسعود. قال السيوطي: هذا الحديث صحيح. الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٥ .

جبريلُ ، ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يغيضُ فلاناً فأبغضوه قال : فيبغضونه ثم يُوضع له البغضاءُ في الأرضِ «^(١)» .

وقال: « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظْلِمُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي »^(٢) .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وآله: « أن رجلاً زارَ أخاً له في قريةٍ أخرى فأرصدَ الله له على مدرجته مَلَكَاً قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية قال: « هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: كَلَّا، غيرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ، قال: فإني رسولُ الله إليك بأن الله قد أَحَبَّكَ كما أَحَبَّتُهُ »^(٣) .

عن ابن مسعود أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وآله فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجلٍ أَحَبَّ قومًا ولم يَلْحَقْ بهم؟ فقال: « المرءُ معَ مَنْ أَحَبَّ »^(٤) .

عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وَيْلَكَ وما أعددت لها؟ قال: ما أعددتُ لها إلا أَنِّي أَحِبُّ الله ورسوله قال: « أَنْتَ معَ مَنْ أَحْبَبْتَ »^(٥) .

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال السيوطي: حديث صحيح. الجامع الصغير ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) أخرجه مسلم وابن حنبل عن أبي هريرة قال السيوطي: الجامع الصغير ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، ومسلم وابن حنبل عن أبي هريرة، انظر الكثر الثمين ص ٣٠٠ .

(٤) أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود والبخاري ومسلم وابن حنبل عن أنس، وأخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود. الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٧٤ .

(٥) أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم عن أنس. الكثر الثمين ص ١٩٠ .

وقال رسول الله ﷺ وآله: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً» (١).

من الأحاديث الحسان :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وآله يقول: « قال الله تعالى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» (٢).

وفي رواية قال: « يقولُ الله تعالى: المتحابُّون في جَلَالِي لهم منابرٌ من نورٍ يَغْبِطُهُمُ النُّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ » (٣).

عن أبي مالك الأشعرى أنه قال: كنت عند النبي ﷺ وآله إذ قال: « إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ لِقُرْبِهِمْ وَمَقْعَدِهِمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ، حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ: هُمُ عِبَادُ اللَّهِ مِنْ بِلْدَانِ شَتَّى وَقِبَائِلَ شَتَّى، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ يَتَوَصَّلُونَ بِهَا، وَلَا دُنْيَا يَتَبَاذَلُونَ بِهَا، يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ يُجْعَلُ اللَّهُ وَجْهَهُمْ نُورًا، وَتُجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ قُدَّامَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ » (٤).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري عن أبي موسى. مع اختلاف يسير في اللفظ. انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٥٦.

(٢) أخرجه ابن حنبل والطبراني والحاكم والبيهقي عن معاذ بن جبل، قال السيوطي هو حديث صحيح. الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) أخرجه الترمذي عن معاذ بن جبل، قال السيوطي هذا حديث صحيح. الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٠٠.

(٤) هذا الحديث أخرجه ابن حنبل عن ابن عباس رضي الله عنهما: مع اختلاف في اللفظ. انظر الكثر الثمين ص ١٥٧ رقم ١٠١٢.

عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله ﷺ لأبي ذر: « يا أبا ذر، أيُّ عُرا الإيمان أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله والحب في الله والبغض في الله » .

من الأحاديث الغريبة :

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وآله ﷺ قال: « إذا عادَ المسلمُ أخاه أو زاره قال الله عز وجل: طُبت وطابَ ممثالك وتبوأَت من الجنةَ منزلاً » ^(١).

عن المقدم بن معد يكرب عن النبي ﷺ وآله ﷺ أنه قال: « إذا أحبَّ الرجلُ أخاه فليخبره أنه يُحبه » ^(٢).

عن أنس أنه قال: مرَّ رجلٌ بالنبي ﷺ وآله ﷺ وعنده ناس فقال رجلٌ من عنده: إني لأحبُّ هذا لله، فقال النبي ﷺ وآله ﷺ: أعلمته؟ قال: لا، قال: قم إليه فأعلمه، فقام إليه فأعلمه، فقال: أحبَّك الذي أحببتني له، قال: ثم رجع فسأله النبي ﷺ وآله ﷺ فأخبره بما قال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت » ^(٣) وفي رواية « المرء مع من أحبَّ وله ما اكتسب » ^(٤).

(١) أخرج هذا الحديث الإمام الغزالي في الإحياء، قال الحافظ العراقي: أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، قال الترمذي غريب. الإحياء ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب وابن حنبل وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم، عن المقدم بن معد يكرب، انظر الكثر الثمين ص ٢٢ .

(٣) سبق تخريج هذا الحديث فليرجع إليه .

(٤) أخرجه الترمذي عن أنس، قال السيوطي حديث صحيح. الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٧٤ .

عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ وآله يقول: « لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي »^(١).

وعن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله: « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »^(٢).

عن يزيد بن نعمة أنه قال: قال رسول الله ﷺ وآله: « إذا آخى الرجل الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فإنه أوصل للمودة »^(٣).

أسأل الله حسن الخاتمة

(١) هذا الحديث أخرجه ابن حنبل، وأبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد. قال السيوطي: هو حديث صحيح. انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٣٦ .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وقال حسن، رواه البيهقي والقضاعي عن أبي هريرة. انظر كشف الخفا ج ٢ ص ٢٨١ .

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري في التاريخ، والترمذي عن يزيد بن نعمة الضبي، الجامع الصغير: ج ١ ص ٤٥ .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنعم الوهاب، المتفضل التواب، الفتاح العليم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل، وإمام الرسل المكرمين، والشفيع يوم الهول الأكبر في المذنبين، والوسيلة العظمى للمتوسلين، رحمة الله العامة، المبعوث من الله تعالى بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا، وآله صحبه وورثته .

(وبعد) فيقول الخويدم المسكين محمد ماضي أبو العزائم: إني والحمد لله قد وفقني الله تعالى وأعاني ومنّ عليّ بما هو أهله من المواهب الربانية، والمنن الإلهية بما فتح به على المسكين من كتاب: (مذكرة المرشد والمسترشد) الذي جمع ما لا بد منه من حقيقة الطريق المستقيم، والأخلاق التي يجب أن يتصف بها أهل الطريق، وآداب الطريق، وما يتعلق بذلك من تزكية النفس، وحسن المعاملة مما به يصل السالك إلى حضرة القرب، ويفوز بخالص الحب .

وإني وإن كنت كتبت في شهر رمضان المكرم سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين، مع شغلي بالصيام، واشتغال قلبي بإنكار أهل الغرة بالله عليّ، وحصول الافتتاح فيه اليوم الثاني عشر من رمضان، وختامه وتنقيحه في اليوم الثاني والعشرين منه، ولكنني أشكر الله تعالى وأحمده على معونته وعنايته، وأعتقد أن ما وضعته فيه من الحق والحكمة: هو من توفيق الله تعالى وإمداده الروحاني، ومن سر توجهات حضرة رسول الله ﷺ وآله، وما وضعته فيه مما ليس كذلك: فمن عجلتي وسهوي ونسياني حسب فطرتي الإنسانية .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لي، ولا يؤاخذني بنسياني أو خطئي، وأن يجعله نافعا لوجهه الكريم، مفيدا لمن طالعه، وأن يكرم من ساعد في نشره أو شرحه أو أعان على تنبيه المسلمين إلى العمل بما فيه، وأن يحفظني بحفظه من المعاصي، ويعيذني من سوء النية وقبح السريرة، وأن ييسر مطالبي وإخواني ويتوفاني مسلما ويلحقني بالصالحين، ويجعل قبري روضة من رياض الجنة، ويمنّ عليّ وعلى إخواني المسلمين بإتباع سنة رسول الله ﷺ وآله، والعمل بكتاب الله تعالى، آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين .

من مؤلفات الامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

في جانب تفسير القرآن :

- ١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن " .
- ٢ تفسير سورة القدر .

في جانب العقيدة :

- ١- كتاب عقيدة النجاة .
- ٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها .

في جانب العلوم الفقهية:

- ١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﷺ وآله ﷺ .
- ٢- صيام أهل المدينة المنورة .
- ٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

في جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

- ١- سيرة النبي ﷺ وآله ﷺ .
- ٢- وسائل إظهار الحق .

في جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

- ١- النشأة الثانية .
- ٢- الوسيلة وما اختلف فيه من السنة والبدعة .
- ٣- الشفاء من مرض التفرقة .
- ٤- الجفر .

- ٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.
- ٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.
- ٧- الرد على نظرية دارون.

في جانب الأخوة الإسلامية :

- ١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﷺ وآله.
- ٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

في جانب المناسبات الدينية :

- ١- السراج الوهاج في الإسراء والمعراج
- ٢- بشائر الأخيار في مولد المختار
- ٣- مشارق البيان في فضائل شعبان
- ٤- لبيك اللهم لبيك.

في جانب المسرحيات الدينية :

- ١- محكمة الصلح الكبرى.
- ٢- العالم والتاجر والفلاح.
- ٣- المقتصد والمسرّف والفاقد.
- ٤- السياسى والحكيم والغشيم.
- ٥- الصالح واللص والسكرى.

في جانب الصلوات والأدعية :

- ١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
- ٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

في جانب التصوف :

- ١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
- ٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
- ٣- معارج المقرين.
- ٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
- ٥- من جوامع الكلم.
- ٦- الطريق إلى الله تعالى.
- ٧- الفرقة الناجية.
- ٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.
- ٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
- ١٠- مصطلحات الصوفية
- ١١- آداب آل العزائم
- ١٢- دروس تزكية النفوس
- ١٣- موارد أهل الصفا
- ١٤- قبس من المضمون
- ١٥- الصوفية والتصوف

في جانب المواجيد:

- ١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.
- ٢- المواجيد العزمية في مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

الفهرس

الصفحة

الموضوع

التماس الطبعة الأولى

فاتحة الكتاب

مقدمة

حكمة

الباب الأول: مقامات الدين الإسلامي

أولاً: الإسلام

المسلم

أوامر الله

١- العقيدة

٢- العبادة

٣- المعاملة

نموذج من حسن المعاملة

٤ - الأخلاق

ثانياً: الإيمان

المؤمن

١ - الإيمان الظاهر

٢ - الإيمان الباطن

المؤمن ظاهراً

المؤمن باطناً

ثالثاً: الإحسان

المحسن

ما ينبغي أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان

الموضوع

١ - أن يعمل الأعمال الموافقة للأحكام الشرعية

٢ - أن يحسن نيته في العمل

٣ - أن يجتهد في إخلاص العمل لوجه الله

٤ - أن يستحضر مقام من يعمل العمل له سبحانه

٥ - أن يعتقد أن العمل بتوفيق الله ومعونته

٦ - أن يقصد بالعمل القيام بحقوق العبودية

رابعاً: الإيقان

الموقن

من أمثلة أعمال اليقين

الزاهد والعابد والعارف

الورع

تعريف الورع

درجات الورع

أنواع الورع

الباب الثاني: في الذكر وأهل الطريق وآدابهم واصطلاحاتهم ومعارفهم

الفصل الأول: الذكر

من خصائص الذكر

الفكر

أنواع الفكر

أقسام الفكر

آداب الذكر في الخلوة والمجتمعات

١- ذكر القلب واللسان

٢- ذكر القلب

٣- ذكر اللسان فقط

الموضوع

آداب الذكر باللسان

١- إذا كان في الخلوة منفردا

٢- إذا كان في المجتمع

مراعاة المعاني القلبية

عموميات

الغرض من الذكر في الأماكن العامة

الحاضرون مجالس الذكر العامة

هيئة الذكر والأسماء التي تذكر في المجتمعات والخلوات

أعمال النجيب في الذكر

١- المحافظة على رواتب الطريق

٢- أن يرفع صوته بالتهليل

٣- أن يروح الذاكرين باسم من أسماء التفصيل

٤- أن ينقل الذاكرين إلى اسم آخر

آداب ختم الذكر

الفصل الثاني: أهل الطريق

الواجب على أهل الطريق

صفات أهل الطريق

كيفية التقرب إلى الله

طريقنا هو طريق السلف الصالح

ترك الكشف عند مخالفته للسنة

خصوصيات المرشد التي لا يقلده فيها المرید

أنواع الرجال

أولاً: الإمام

ثانياً: البدل

الموضوع

ثالثاً: النقيب

رابعاً: النقيب

خامساً: الوتد

الفصل الثالث: آداب أهل الطريق

أولاً: في حضور البدل

ثانياً: الأخ في الله يخدم لينتفع إخوانه

ثالثاً: كيف تكون النصيحة وأين؟

رابعاً: إصلاح ذات البين

خامساً: النصيحة بالحكمة

سادساً: النصيحة لمن يخالف الشرع أو المرشد

سابعاً: الإيثار

ثامناً: الشفقة والرحمة والعطف للفقير

تاسعاً: البذل والبشاشة وإدخال السرور على الإخوان

عاشراً: غض البصر

حادى عشر: القيام بالواجب

ثانى عشر: المذاكرة والتأليف بين المسلمين

ثالث عشر: البعد عن الجدل وأبوابه

رابع عشر: المحبة لأهل لا إله إلا الله

خامس عشر: الغضب لما يغضب الله

الفصل الرابع: اصطلاحات أهل الطريق

اصطلاحات أهل الطريق

١- الوقت

٢- السفر

٣- المريد

الموضوع

٤- المقام

٥- الحال

٦- الكشف

٧- الوهب

٨- الشطح

٩- الصولة

١٠- الالتجاء

١١- التجلي

١٢- الاصطلام

١٣- الجلال

١٤- الطوالع

١٥- المشاهدة

١٦- الحرية

الفصل الخامس: من معارف أهل الطريق

أولاً: العقل

منازعة الهوى للعقل

ثانياً: النفس

أ- النفس الأمارة

ب- النفس المطمئنة

ج- النفس اللوامة

ثالثاً: الروح

رابعاً: الخواطر

الباب الثالث: في الطريقة المستقيمة وحصون الأمن والمرشد والمسترشد

الفصل الأول: الطريق المستقيم

الموضوع

من هم أهل الطريق

لزوم البحث عن الرجل الحي

الطريق المستقيم واحد وإن تعددت أنواع السير عليه

علامات أهل الطريق

الشفقة بمرضى النفوس

وجوب السعي لتحصيل ما به القيام بالواجبات الشرعية

تلقي الأسرار والأنوار عن الحي الممنوح

البحث عن الرفيق العالم بالطريق

السنة العملية أن يكن لكل سالك رفيق

حال الغافلين عن الآخرة

حال من منحوا التسليم والانقياد

وجوب الاقتداء بإمام المتقين

فيم ينافس أهل الطريق؟

ما كان عليه أهل الطريق

الطريق أهله الآن

مآل من نسي يوم الحساب

الصراط المستقيم

تزكية النفس

الفصل الثاني: حصون الأمن

أولاً: معرفة ما لا بد منه للمؤمن

ثانياً: أن يراقب خوافره وهممه

ثالثاً: أن يحاسب نفسه بعد كل يوم وليلة

رابعاً: أن يجعل له في كل يوم جديد درسا

خامساً: أن يتحصن من الوقوع في الشبهات

الموضوع

سادساً: أن يقوم بعمارة كل وقت بواجبه

سابعاً: أن يتجنب في كل وقت شياطين الجن والإنس

ثامناً: أن يتمثل صورة الموت وما بعده

جمال المقربين

١- الجمال الباطن

٢- الجمال الظاهر

جمال السالكين

١- الجمال الباطن

٢- الجمال الظاهر

امتحانات السالكين

الفصل الثالث: المرشد والمسترشد

أحوال المرشد واقتداء المسترشد

المسارعة إلى تنجيز أوامر المرشد

بيان في تقليد المرشد

عدم الإنكار على أهل أسرار الله تعالى

الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

كيف الإباحة بالأسرار؟

أهل الطريق هم المتقون

حقيقة الإخوان

يقظة القلوب

لا يكن حظك الإنكار وهمك الجدل

الباب الرابع: الآداب

الفصل الأول: آداب الإخوان وتأديبهم

من هم الإخوان الذين أعينهم؟

الموضوع

خير الآداب

الآداب الواجبة على كل مسلم لأخيه

الفصل الثاني: آداب العلماء

صفات العلماء

أولاً: التواضع لله تعالى

ثانياً: الحلم والأناة

- ثالثاً: اخفاء الحكمة إلا عن أهلها
 رابعاً: السكينة والرحمة
 خامساً: العمل بالعلم
 سادساً: الحكم بالعلم لا بالهوى
 سابعاً: سد باب الذرائع والفتن
 ما أنتجه الاشتغال بالتفاضل
 ١- التشنيع على الذكر والذاكرين
 ٢- الإنكار على قراءة القرآن في بيوت الله
 ٣- ترك الحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة في الإرشاد
 ٤- الوقوع في أكبر الكبائر حال الدعوة إلى ترك مكروه أو عمل مندوب
 ٥- مخالفة رسول الله في أخلاقه وسنته في الدعوة
 من مضار الجهل في اتباع الطريق
 ١- أن من دعت نفسه ليقوم داعياً إلى الله أن يدعوها أولاً
 ٢- ألا يعمل الداعي إلى الله لغرض يفنى أو عرض يزول
 ٣- أن يسعى لتلقي العلم دون التعصب لشيخه
 الفصل الثالث: آداب الدعوة إلى الله
 أولاً: أن يكون الداعي إلى الله حكيماً رحيماً
 ثانياً: أن يألف الناس
 الموضوع
 ثالثاً: أن يجاهد نفسه
 رابعاً: أن يجعل أهل صفوته الفقراء
 خامساً: ألا ينشر ما لا يليق بين الناس
 سادساً: ألا يكون حسوداً لنظرائه
 سابعاً: ألا يحرص على المال

ثامنا: أن يتأدب إذا جملة الله بلسان الحكمة

تاسعا: ألا يترك الأسباب تواكلا

عاشرا: أن يكون عالما لأحكام الشريعة وعلوم النفس

حاددي عشر: أن يبادر إلى العالم في ما جهل

دعوة إلى الاقتداء بالسلف الصالح

يا خلفاء الطريق إلى من تسيرون ولمن تعملون؟

تنبيه للمريدين

إرشاد لأبناء الأمراء والأغنياء

الفصل الرابع: آداب المتعلمين والمريدين

صحبة العلماء

آداب الطالبين للعلماء

الأدب مع العالم الرباني

كذلك العلماء

تعظيم المرشد

أسرار الرجال مناكير عند غيرهم

حسن اتباع العالم

وراثه أحوال العالم

إنما تعطي الحكمة لأهلها

لا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين

الموضوع

الباب الخامس: في تزكية النفس ووصايا الدعاة إلى الله

الفصل الأول: في أمراض النفوس وعلاجها

علامات أمراض النفس

أمراض النفس

أنواع تلك الأمراض
علاج تلك الأمراض
أولاً: علاج الأمراض الناتجة عن اختلاف التركيب أو انحراف المزاج
١- أهم علاج لاختلاف التركيب
٢- علاج أمراض النفس الناتجة عن انحراف المزاج
ثانياً: علاج أمراض النفس الناتجة عن فساد الاعتقاد
العناية بحفظ الصحة على النفس
العلاج عند حصول المرض
أسباب مفسدات النفس
ليس المراد ترك الأسباب في الدنيا
قد أفلح من تزكى
دواعي الذنوب والكبائر
بيان الكبائر
الفصل الثاني: وصية لمن أهلهم الله للدعوة
علامات الدعاة إلى الله
دوام الفضل بمراعاة تلك المعاني
كيف تعامل أخاك
تأديب المريدين
عاقبة كفران النعمة
تلقين الطريق والإذن باللطائف والأذكار
الموضوع
تلقين الطريق
الإذن باللطائف والأذكار
الباب السادس: الشفقة والرحمة على الخلق والحب في الله ومن الله

الفصل الأول: الشفقة والرحمة على الخلق

أحاديث من الصحاح في هذا الباب

من الأحاديث الحسان

من الأحاديث الغريبة

من الأحاديث المرسلة

الفصل الثاني: الحب في الله ومن الله

أحاديث من الصحاح في هذا الباب

من الأحاديث الحسان

من الأحاديث الغريبة

أسأل الله حسن الخاتمة